بسم الله الرحمن الرحيم

الـــكـــتـــاب: قاهر أمريكا
الـــكـــاتـــب: د. محسن صالح
إصـــــــــدار: مؤسسة محمديون للثقافة والنشر
تــصـــمــيـــم: DBOUK 009613336218
الطبعة الأولى: 2021م

قاهر امريكا

«الموت في حياتكم مقهورين»

«الحياة في موتكم قاهرين»

الإمام علي عليه السلام

عناوين الكتاب الرئيسية

بيان قائد الثورة الإمام السيد علي خامنئي دام ظله 7

كلمة سماحة السيد حسن نصرالله (حفظه الله) 11

مقدمة: الثورة والثائر 21

الفصل الأول: النموذج السليماني لثورة الإمام روح الله الموسوي الخميني قدس سره 27

الفصل الثاني: الجمهورية الإسلامية: ظهور القوة الإقليمية العظمى 49

الفصل الثالث: إعادة التركيب، والتحولات الجيو-ثقافية والاستراتيجية 73

الفصل الرابع: نصوص مترجمة 99

الفصل الخامس: مقابلات 131

وصية الشهيد القائد الحاج قاسم سليماني 143

خلاصات استراتيجية مفصلية وبنيوية 153

مصادر ومراجع الكتاب 159

بيان قائد الثورة الإمام السيد علي خامنئي دام ظله

إثر استشهاد القائد الكبير
الحاج قاسم سليماني وصحبه الميامين

بسم الله الرحمن الرحيم

الشعب الإيراني العزيز

ها قد حلق لواء الإسلام العظيم وشامخ القامة إلى السماوات. لقد عانقت ليلة أمس أرواح الشهداء الطيبة روح قاسم سليماني الطاهرة. إن سنوات من الجهاد الخالص والشجاع في ساحات مقارعة شياطين وأشرار العالم، وأعوام من تمني الشهادة في سبيل الله بلغت أخيرا سليماني العزيز هذه المنزلة الرفيعة، إذ سفكت دماؤه الطاهرة على يد أشقى أفراد البشر على وجه الأرض. إنني أتقدم بأسمى آيات التبريك لصاحب العصر والزمان بقية الله الأعظم (أرواحنا فداه) ولروحه الطاهرة، وأعزي الشعب الإيراني. لقد كان نموذجا بارزا للناهلين من فيض الإسلام ومدرسة الإمام الخميني قدس سره، فقد أمضى جل عمره بالجهاد في سبيل الله. الشهادة كانت جراء مساعيه الحثيثة طوال كل هذه الأعوام. سوف لن يتوقف عمله ونهجه برحيله بحول وقوة من الله، ولن يبلغ طريقا مسدودا. لكن الانتقام القاسي سيكون بانتظار المجرمين الذين تلوثت ايديهم القذرة بدمائه ودماء سائر شهداء حادثة الليلة الماضية. الشهيد سليماني شخصية مقاومة عالمية وأن جميع محبيه يطالبون بالثأر لدمائه. فليعلم جميع الأصدقاء- والأعداء أيضا- أن نهج الجهاد في المقاومة سيستمر بدوافع مضاعفة وأن النصر الحاسم سيكون حليف مجاهدي هذا المسار المبارك. فقدان قائدنا المضحي والعزيز مرير لكن استمرار النضال وتحقيق النصر النهائي سوف يكون أشد مرارة على القتلة والمجرمين.

سوف يكرم الشعب الإيراني اسم وذكرى الشهيد رفيع الشأن اللواء قاسم سليماني والشهداء الذين كانوا معه، خاصة مجاهد الإسلام الكبير السيد أبو مهدي المهندس، وأنني أعلن الحداد في البلاد لثلاثة أيام، وأتقدم بأسمى آيات التبريك والعزاء لزوجته الكريمة وأبنائه الأعزاء وسائر أقربائه.

السيد علي خامنئي

2020/1/3

كلمة قائد المقاومة الإسلامية الأمين العام لحزب الله
سماحة السيد حسن نصرالله (حفظه الله)

إثر استشهاد «سيد شهداء محور المقاومة» الفريقِ قاسم سليماني والحاج ابو مهدي المهندس.

السادة العلماء، الاخوة والأخوات، السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠ ۞يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾

صدق الله العلي العظيم.

اليوم، نحن نُقيم احتفالاً تأبينياً تكريمياً لقائدٍ جهاديٍ إسلاميٍ عالميٍ عظيم هو الحاج قاسم سليماني قائد فيلق القدس في حرس الثورة الإسلامية، ولقائدٍ كبيرٍ ومجاهدٍ عزيزٍ الحاج أبو مهدي المهندس نائب رئيس هيئة الحشد الشعبي المقدس في العراق وصحبهما من الشهداء الإيرانيين والعراقيين الذين استشهدوا في الجريمة الأخيرة.

اسمحوا لي في البداية أن أقف قليلاً عند الجانب الشخصي من الحادثة ومن الجريمة ومن الاغتيال.

في مساء الخميس، الآن سوف أظل أقول مساء الخميس، 2 كانون الثاني 2020، حقّق الحاج قاسم سليماني، الأخ الحبيب والعزيز، غاية آماله وأمانيه. حقّق هدفه. أليس نحن دائماً نتكلم عن تحقيق الأهداف، وأن هذا العمل هو يُحقق هدفنا أو يُحقق هدف عدونا؟ الحاج قاسم سليماني تحقق له هدفه في ليلة الجمعة الماضية، لأن هذه الأمنية وهذا الهدف الشخصي، دائماً في ذكريات الشهداء. كنت أقول: الشهادة عند المجاهدين وعند

القادة هم لا يريدون الشهادة للأمة، الشهادة هو مشروع شخصي، يُريدون للأمة الخير والحياة الهانئة، والسعادة في الدنيا والآخرة والعزة والكرامة، والقوة والمنعة، والعيش في طيبات الله وفي حلال الله، أما على المستوى الشخصي مشروعهم الشخصي هو الشهادة.

هذه هي نيته منذ أن كان شاباً والتحق بجبهات القتال في إيران، وبقي يحمل هذه الأمنية وهذه الغاية وهذا الهدف، الذين يمشون في هذا الطريق بعضهم يسقط في ربعه أو في وسطه قبل النهاية، تَخمد فيه هذه الشعلة، ويذوي فيه هذا العشق، ويموت فيه هذا الشوق للقاء، وقومٌ آخرون كلما تقدم بهم الزمن ازدادت توهجاً وقوةً وحضوراً واشتعالاً، الحاج قاسم وأبو مهدي المهندس كانا من النوع الثاني، وخصوصاً في السنوات الأخيرة، وعندما يمتد العمر بالإنسان ويرى الشيب قد ملأ لحيته وشعره ويُصبح خائفاً من أن يموت مريضاً أو على الفراش، وهو الذي كان حاضراً دائماً في الجبهات بين القذائف والشظايا التي تملأ جسده، الحاج قاسم في السنوات الأخيرة عندما كان يأتي إلى الشام، كان الإخوة من عندي هم يستلمون أمنه وحمايته ويبقون معه في الليل وفي النهار إلى أن يعود إلى مطار دمشق، الكثير من الليالي كان يقضيها باكياً، عندما يُذكر الشهداء يبكي، في كثير من اللقاءات كان يقول لي: ضاق صدري في هذه الدنيا من شدة شوقي للقاء الله وللشهداء الذين مضوا، إخوته وأصدقائه وأحبائه الذين عاش معهم وقاتل معهم وتألم معهم وعانى معهم، أغلبهم مضوا، وكان مشتاقاً جداً للالتحاق بهم.

أتوجه إلى عائلة الحاج قاسم سليماني وإلى كل أقاربه وأهله، وخصوصاً إلى زوجته الفاضلة وإلى أبنائه وبناته، وأقول لهم: إن ما يجب أن يُواسيكم هو أن أباكم حقق غاية الآمال، ووصل إلى منتهى المنى، وأنا أعلم وأنتم أكثر مني تعلمون أن هذا كان دائماً هدف وأمل وغاية وشوق وعشق وحب وأمل الحاج قاسم سليماني. نفس هذا المعنى بالنسبة للحاج أبو مهدي، قبل شهرين أو ثلاثة كان عندي، هنا في بيروت في الضاحية زارني وشرّفني بزيارته، وجلسنا لساعات، وفي آخر اللقاء قال لي: يا سيد، يبدو أن المعركة مع داعش في العراق شارفت على النهاية، وقد استشهد من استشهد، وبقيت على قيد الحياة، وقد طال بي العمر وشاب رأسي ولحيتي، ادعواالله لي أن تكون عاقبتي الشهادة، وأيضاً من نفس هذا النوع، وأيضاً أقول لزوجته الفاضلة ولبناته الكريمات، لبنات الحاج أبو مهدي الكريمات: إن

هذا يجب أن يكون عامل مواساةٍ لكنّ جميعاً، وهذا حال الشهداء الأحبة الذين استشهدوا مع الحاج قاسم ومع الحاج أبو مهدي.

في ثقافتنا الإيمانية، الشهادة هي احدى الحسنيين؛ النصر او الشهادة، فمن عجائب الثقافة الإيمانية كيف تبدل المعادلات إذ إن اقصى ما يملكه عدونا هو ان يقتلنا، وإن اقصى ما يمكن أن نتطلع إليه هو أن نقتل في سبيل الله عز وجل. المعادلة الإيمانية تحول نقطة العدو القصوى إلى نقطة قوتنا القصوى. وبالتالي نحن لا نهزم.

ثانياً: ندخل إلى صلب الموضوع، طبعاً اليوم أنا أود أن أتحدث مباشرةً عن هذا الحادث، الحدث الكبير والعظيم، ماذا حصل؟ ولماذا حصل؟ ولماذا الحاج قاسم سليماني ومعه أبو مهدي بالذات؟ ماهي الأهداف؟ المنطقة إلى أين؟ وما هو الموقف وما هو الواجب وما هي المسؤولية؟

أنا قلت نحن أمام مرحلة جديدة بالكامل، طبعاً لو أردت أن أتحدث الآن وهذا لم يكن موضوع حديثي عن شخصية الحاج قاسم، عن مميزاته وعن صفاته وعن تدينه وشجاعته وعلمه ومعرفته وعقله الإستراتيجي وتواضعه و.. و.. كل الصفات الجميلة التي يحملها، وعن إنجازاته وعن تعبه وعن سهره وعن جهاده وعن تضحياته، وكذلك عن الحاج أبو مهدي سنتحدث لساعات وأيام وأسابيع، وهذا سوف نجد له إن شاء الله وقتاً آخر، لكن ما يجب أن ندخل إليه هو صلب الموضوع، لنبني على الشيء مقتضاه.

هناك أمران:

أ. فشل كل محاولات الاغتيال السابقة من دون بصمة، من دون دليل. حصلت محاولات عديدة، بعض المحاولات كُشف عنها - لاغتيال الحاج قاسم - بعض المحاولات ما زالت طي الكتمان، وآخر المحاولات، شاهدوا العقل الشيطاني الجهنمي الذي يعمل به الأميركيين والإسرائيليين، والذي كان يتحضر للحاج قاسم في كرمان واعتقلوا المجموعة وبعد أن جاءت بالمتفجرات وكانوا يحضرون أن يشتروا بيت قرب الحسينية ويحفرون نفق تحت الحسينية من البيت وصولاً إلى أسفل الحسينية ويضعوا فيه كمية هائلة من المتفجرات لأن الحاج قاسم له التزام سنوي بالذهاب في بعض

المراسم والمناسبات الدينية لإقامة مجالس العزاء في تلك الحسينية، ويحضر فيها بين 4 آلاف و 5 آلاف إنسان، كانوا يريدون قتل 5 آلاف إنسان في الحسينية ليضمنوا أنهم قتلوا الحاج قاسم سليماني، شاهدوا العقل الإجرامي.

الله سبحانه وتعالى أجّل له وحماه وحرسه واختار له هذا النوع من الشهادة - كما قال سماحة السيد القائد - وأنه هو لائق بهذا النوع من الشهادة، بهذا المستوى من الشهادة، إذا، فشل كل محاولات الاغتيال السابقة من دون بصمة، من دون دليل، ألجأهم إلى الذهاب إلى العمل العلني والمكشوف.

ب. الأمر الثاني الذي له علاقة بالدوافع أيضا، للإقدام في هذا التوقيت وبهذا العمل المفضوح والعلني، هو مجموعة الأوضاع والظروف التي تعيشها منطقتنا والإخفاقات والإنجازات ومحصلة الصراع القائم وصولا إلى تطورات (الوضع في) العراق الأخيرة، ونحن على أبواب انتخابات رئاسية أميركية.

لماذا قاسم سليماني؟ تبين لديهم الذهاب الى نقطة مركزية في محور المقاومة، حسناً، من هي هذه النقطة المركزية؟ ايضاً اجروا دراسة وهذا كل يوم كنا نقرأه، انا قبل اسابيع عدة كان الحاج قاسم عندي وقلت له هذا الكلام، وسبحان الله هو يوم الاربعاء أول يوم في السنة الميلادية الجديدة أتى لزيارتي، هو ليس لديه عمل، لكن قال لي ليس لدي شيء لكن اتيت لكي اراك واسلّم عليك ونتحدث، وانا قلت له، هذا بداية عام جميل ان يبدأ عامي الميلادي بلقائك والجلوس معك والتشرف بالنظر الى وجهك الشريف، لكن قبلها بمدّة كان عندي قلت له حاج هناك تركيز كبير في اميركا، في الصحف والمجلات الاميركية عليك، يقومون بوضع صورك في الصفحات الاولى، وبدأ الكلام في اميركا «الجنرال الذي لا بديل له» هذا تمهيد اعلامي وسياسي لاغتيالك، طبعاً الحاج «بيضحك، يا ريت ادعي لي»، عندما كنا نتكلم عن كرمان قلت له الحمدلله عالسلامة، قال لي والله الحمدلله عالسّلامة «بس» ضاعت الفرصة». هكذا كان يفكر الرّجل، حسناً بدأوا يحضّرون للحاج قاسم، عندما وضعوا دراسة رأوا انهم عندما يذهبون الى محور المقاومة اينما ذهبوا يوجد واحد متكرر اسمه قاسم سليماني. نذهب الى فلسطين، الى غزة، إلى المقاومة الفلسطينية وإلى فصائل المقاومة الفلسطينية، إلى دعم المقاومة الفلسطينية بالسلاح والتدريب والإمكانات التكنولوجية،

وعلى دعم القضية الفلسطينية بالإعلام والمؤتمرات والعلاقات ودفع كل ما عندنا في المنطقة باتجاه فلسطين، يجدون قاسم سلماني. يأتون إلى لبنان والمقاومة وتحرير ال2000 وحرب ال2006 وتعاظم قوة المقاومة في لبنان وقدراتها الصاروخيّة والنوعيّة والصواريخ الدقيقة وثباتها وصلابتها يجدون قاسم سليماني، يذهبون إلى سوريا تراهن أميركا وإسرائيل على الإرهابييّن التكفيرييّن، فإلى جانب الجيش والشعب في سورية والقيادة في سورية يجدون قاسم سليماني، يريدون السيطرة على العراق واللعب في العراقيين من خلال داعش لعشرات السنين يجدون قاسم سليماني، يراهنون على تمزيق العراقيين فيجدون أن هناك من يجمعهم ومن ينسق بينهم ومن يوحّدهم فيجدون قاسم سليماني، في اليمن يجدون قاسم سليماني، في افغانستان يجدون قاسم سليماني، في كل تفصيل من تفاصيل المقاومة يجدون قاسم سليماني، وأما في إيران فمن نافل القول، ماذا يعني قاسم سليماني لإيران؟ هذا يعرفوه.

إسرائيل تعتبر قاسم سليماني الرجل الأخطر عليها منذ تأسيسها. تتحدث عن قاسم سليماني الذي أحاط كيان العدو الغاصب لفلسطين بالصواريخ في كل المنطقة. تتحدث عن قاسم سليماني، الخطر الوجودي على بقائها وعلى كيانها، وكانت لا تجرؤ على قتله. كانت تستطيع أن تقتله في سورية، لأن حركته في سورية كانت علنيّة ومكشوفة، أماكن تواجده في الجبهات وفي البوكمال، لم تجرؤ، لجأت إلى الأميركيين، إذا النقطة المركزية التي تمثل نقطة تواصل وترابط وقوة ووحدة المسار ووحدة الهدف التي تبعث روحاً واحدة في دول وقوة وفصائل وشعوب المقاومة كانت تتجسد بقاسم سليماني، إذاً لنقتل هذا الرجل، ولنقتله علناَ، علناَ لان الموضوع هادف وليس لأنه بالمجان أو استعراض إعلامي، بل لأن له أهداف معنويّة ونفسية وسياسية وعسكرية، هذا القتل العلني وهذا التبنّي المباشر من قبل الأميركيين لقتل الحاج قاسم سليماني وأبو مهدي المهندس، هذا له أهدافه وتطلعاته وما بعده عند الأميركيين، إذاً لجأوا إلى هذه الخطوة، حسناً لنبني عليها. وهم يأملون من خلال هذا الاستهداف أن يحصل وهن في العراق، أن يحصل وهن في قوة المقاومة، أن تتراجع الصلة المتينة بين محور المقاومة في منطقتنا ومع الجمهورية الإسلامية في إيران، يأملون أن تخاف إيران وأن ترتعد وأن تذهب إلى التنازلات، ويأملون. نحن يجب أن نضع أهداف الاغتيال لأن هنا عندما نتكلم عن الانتقام والثأر وعن القصاص العادل، هنا لسنا

عشيرتان يتقاتلون وقتلوا منا ويجب أن نقتل منهم وكم قتلوا منا وكم نقتل، هنا يوجد مشروعان يتصارعان، يوجد مشروع الهيمنة الاسرائيلية الاميركية على منطقتنا، فلنخرج من التفاصيل الآن، التفاصيل اللبنانية والعراقية والسورية والخليجية واليمنية الخ.. هناك مشروع الهيمنة الاسرائيلية على منطقتنا وعلى مقدساتنا من خلال تثبيت إسرائيل والغاز والخيرات الموجودة في كل المنطقة، يا أخي حتى نفط سورية طامع به، حتى نفط لبنان الذي لم يظهر بعد طامع به، على النفط والغاز والمياه والخيرات، هذا مشروع والمشروع الأخر هو مشروع المقاومة مشروع الاستقلال مشروع السيادة والتحرر والحرية مشروع أن تكون خيرات شعوبنا لشعوبنا ومقدسات أمتنا لأمتنا.

أحد(أهم) أهداف ترامب ما هو؟ ترهيبنا جميعا، إخافتنا جميعا. الآن بدأوا الحديث عن باقي اللائحة، في بقية اللائحة فلان، وفلان، وفلان. ترهيب قوى المقاومة وقيادات حركات المقاومة في كل المنطقة هو من أجل أن يتراجع هؤلاء ويخاف هؤلاء ويتوانوا عن تحمل المسؤولية.

أول رد من حركات المقاومة هو التالي:

الذي قالوه واليوم أنا أعود وأقوله، قيادات المقاومة وحركات المقاومة سوف تبقى متمسكة بأهدافها، بقضيتها المركزية، بصراعها الأساسي لن تتراجع، لن تضعف، لن تخاف، لن تصاب بأي ارهاب، ولا بأي ارتباك سريعا قامت بجمع صفوفها ولم صفوفها.

وعلى المستوى المعنوي ان شهادة الحاج قاسم والحاج ابو مهدي وهؤلاء الأخوة سيشكل حافزاً اضافياً قوياً ودافعاً هائلاً لنا لنتقدم نحو الأهداف، لأننا نشعر أننا على مفترق انتصار تاريخي واستراتيجي كبير على مستوى المنطقة.

والأمر الثاني على عاتق قوى المقاومة أن تتعاون وتتناسق وتستمر في الجهد لتعظيم قوتها وقدراتها، لأن المنطقة يبدو ذاهبة إلى حراك مختلف وإلى وضع مختلف. شهادة الحاج قاسم سليماني على مستوى المنطقة لا يجوز أن تؤثر أو تؤدي إلى ضعف أو وهن في استكمال الخطة والبرنامج الذي كان يقوده.

قاسم سليماني يعني الأمة، ليس قضية إيرانية فقط، الإيرانيون يريدون أن يردوا، أين

يردوا؟ كيف يردوا؟ ومتى يردوا؟ هذا شأنهم، وهم يتخذون القرار. لكن هذا لا يعفي محور المقاومة من المسؤولية، وأنا أيضاً أقول لكم اليوم، أقول لإخواني وأخواتي هنا وأقول لكل أصدقائنا في قوى وفصائل وأحزاب ودول محور المقاومة، إيران لن تطلب منكم شيئاً. لن تقول لكم افعلوا، ولن تقول لكم لا تفعلوا.

نحن يجب أن نذهب جميعاً على امتداد منطقتنا وأمتنا إلى القصاص العادل، «طيب» ما هو القصاص العادل؟ أيضا سأكون شفافاً لأننا نحن مررنا بهكذا تجربة، الآن لا أريد أن أدخل بها بالتفصيل.

القصاص العادل هو ما يلي بشفافية ووضوح، الوجود العسكري الأمريكي في المنطقة، الوجود العسكري الأمريكي في منطقتنا، القواعد العسكرية الأمريكية، البوارج العسكرية الأمريكية، كل ضابط وجندي عسكري أمريكي في منطقتنا وفي بلادنا وعلى أراضينا، الجيش الأمريكي هو الذي قتل هؤلاء وهو الذي سيدفع الثمن، هذه هي المعادلة.

المعركة والمواجهة والقصاص العادل للذين نفّذوا وهم مؤسسة اسمها الجيش الأمريكي هي التي نفّذت عملية القتل والاغتيال يبقيها في دائرة المعركة المشروعة، الطبيعية، رد الفعل على المجرمين القتلة المحتلين.

هذا هو الذي برأيي أنا، وأنا أتحمل مسؤولية شخصية عن هذا الكلام، والآن بعض الناس سيقولون السيد كبّر الموضوع، لا، أنا لم أكبّر الموضوع، أنا أراه بحجمه الطبيعي، هذا هو حجمه الطبيعي.

أما إذا ذهبت قوى المقاومة وشعوب المنطقة بهذا الاتجاه، أنا أقول لكم، الأمريكيون سيخرجون من منطقتنا مذلولين، مهزومين، مرعوبين، مرهوبين، كما خرجوا في السابق. الاستشهاديون الذين أخرجوا أمريكا في السابق من منطقتنا مازالوا موجودين وأكثر بكثير مما كانوا في السابق. المجاهدون والمقاومون الذين أخرجوا الأمريكيين من منطقتنا في السابق كانوا قلة قليلة، مستضعفة، تخاف أن يتخطفها الناس، واليوم هي شعوب وقوى وفصائل وجيوش، وتملك امكانات هائلة.

إذا عملت شعوب منطقتنا على هذا الهدف، ما هي النتيجة؟ عندما تبدأ بهذه الشفافية،

ليس المطلوب أعمالاً صوتية، أو حتى شيئاً بلا طعمة، بالدقة عندما تبدأ نعوش الجنود الأمريكيين والضباط الأمريكيين بالانتقال، عندما جاؤوا عامودياً ويعودون أفقيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، سيدرك ترامب وإدارة ترامب أنهم فعلاً خسروا المنطقة وسيخسرون الانتخابات.

يجب أن تكون إرادتنا في محور المقاومة، يجب أن يكون هدفنا في محور المقاومة هو التالي: الرد على دماء قاسم سليماني وأبو مهدي هو إخراج القوات الأمريكية من كل منطقتنا.

إذا تحقق هذا الهدف، وسيتحقق هذا الهدف ان شاء الله، سوف يصبح تحرير القدس واستعادة الشعب الفلسطيني والأمة لفلسطين وللمقدسات في فلسطين سوف تصبح على مرمى حجر.

عندما تخرج أمريكا من المنطقة سيجمع هؤلاء الصهاينة ثيابهم في حقائبهم ويرحلون. قد لا نحتاج إلى معركة مع إسرائيل.

سأختم بالقول، ترامب الجاهل والذين معه من الحمقى هم لا يعرفون ماذا فعلوا، يبدو أنهم لا يعرفون ماذا فعلوا، هؤلاء الحمقى والجهلة لا يعرفون ماذا فعلوا. الأيام ستكشف لهم. أنا أقول لهم، أستعير بعض أدبيات السيدة زينب عليها السلام، يا ترامب ويا أمريكيين: أي دم لنا سفكتم؟! أي دم لنا سفكتم؟! وأي كبد لنا فريتم؟! هذا ليس كأي دم، وهذا ليس كأي كبد، هذه قصة مختلفة. اليوم القصاص العادل من أجل قاسم سليماني هو القصاص العادل من أجل عماد مغنية، ومن أجل عباس الموسوي ومن أجل راغب حرب ومن أجل مصطفى بدرالدين ومن أجل أبو مهدي المهندس ومن أجل كل شهداء هذه الأمة.

مع هذا الدم، كما مع كل شهيد من شهدائنا العظام والكبار والأحبة والأعزة، نحن واياكم يا شعب المقاومة، يا جمهور المقاومة، أيها الصابرون، أيها الصادقون، أيها المحتسبون، يا أشرف النّاس وأكرم النّاس وأطهر النّاس سنواصل الطريق، لن تضيع دماء الشهداء، وسننتصر في نهاية المطاف.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قاسم سليماني: سيد شهداء محور المقاومة
مقدمة: الثورة والثائر

الإطار الموضوعي: الثورةالإسلامية الجذرية التي حدثت في إيران عام1979 بقيادة الإمام الخميني قدس سره غيَرت البنى والأسس والمرتكزات التي كانت تقوم عليها الدولة في إيران، في الثقافة، والسياسة، والدين، والاجتماع، وفي العلاقات الدولية، في الصداقة كما في العداوة، في التحالف والتعاون والوحدة، وفي قضايا الحق والباطل. هذا الحدث التاريخي الجديد، أعاد النقاش، في حدود العالم الإسلامي، إلى العقائد والنظريات الفكرية والسياسية التي كانت محل اجتهادات فردية نخبوية وشرائح اجتماعيةمحدودة، خاصة في مواقع الابتلاءات وكيفيات الخلاص من التخلف والاستبداد-الذي بدا أنه أضحى مستداما. راق القلق الذي كان يسكن عقلاء ومفكرين وفقهاء ومنظرين في السياسة والثقافة، بعد أن فقدت البوصلة الإسلامية الجمعية لقرون. الثورة حسمت خلاصة هذه النقاشات والهواجس على مختلف المستويات المذكورة. برزت إلى المسرح وبعمق رؤية الإمام الخميني قدس سره، مرجع التقليد وقائد الثورة، في الموضوعات التي كانت مواضع إشكال وجدل فقهي وسياسي واجتماعي: في الدين ورسالته ومقاصده، في الدولة ووظيفتها، في الثقافة الاجتماعية والسياسية ومصادرها، في الفقه والتراث، حتى في الصراع والحوار مع القوى العالمية، ومنها طبعا المجتمعات الإسلامية. هذه الثورة الإسلامية في إيران أطاحت بالصورة النمطية عن الثورات القديمة والحديثة. أحد المستشرقين يتحدث عن خلل في العقل السياسي العالمي لأنه ما توقع يوما أن ينتج الإسلام ثورة بهذا المستوى من التأثير الشعبي والفكري. السائد في التحليل السياسي النظري والعملي أن الثورات يقوم بها شعب ما في صراعه ضد الاستعمار، كما حدث مع الشعب الجزائري في ثورته ضد الاستعمار الفرنسي، وهكذا الشعب الفيتنامي ضد الاستعمار

الامبريالي الأميركي، أو ثورة طبقة البروليتاريا ضد البورجوازية والرأسمالية «المستغلين»، كما في الاتجاه الماركسي. خلافا للأحزاب العلمانية وحتى الدينية في العالم الإسلامي، اعتبر الإمام قدس سره أن منطلقات وقيم ومبادئ الثورة هي المقومات الأخلاقية والسياسية العامة للدولة الإسلامية، التي تستند إلى أحكام الشرع الإسلامي: القرآن الكريم وسنة النبي الاكرم والائمة المعصومين عليهم السلام على الصعيد الإسلامي، هذه الثورة غير مسبوقة، لا من حيث الشكل (الدستوروالاستفتاء عليه والمجالس المنتخبة) ولا من حيث المضمون، أي من حيث الثقافة الاجتماعية والسياسية، التي على أساسها لبى المجتمع الإيراني دعوة الإمام إلى الثورة. تماهى العقل الإيماني مع خير العمل الإنساني. لم تستسيغ الدول المهيمنة والمستكبرة، خاصة الولايات المتحدة، قيام ثورة إسلامية، بثقافة شعوب العالم الإسلامي، تحاكي تطلعات وآمال وحاجات المجتمعات الإسلامية، وحتى العالمية الساعية إلى الاستقلال والحرية من هيمنة القطب الواحد. خاصة وإن حكام المنطقة الإسلامية الراهنين هم الذخر الآداتي الاقتصادي والمالي وحتى السياسي لاستمرار الهيمنة الأميركية، كما ويشكلون الضمانة المثلى في الاطمئنان إلى استمرارية وجود الكيان الصهيوني الغاصب، وحفظ منابع الطاقة العالمية واحتكار توزيعه وحركته في السوق الليبرالي القاتل. الثورة الإسلامية في إيران الحضارية عصفت بطمأنينتهم المستكبرة في هذه المنطقة المقهورة. أعمق من ذلك، هذه الثورة، من بين ثورات القرن العشرين الأخرى في العالم، هي الوحيدة السانحة في حدود وآفاق تأثيرها العالمي، في إنسانويتها غير المحدودة. الثورة الإيرانية زعزعت النظام العالمي المقيت الذي يقوم على الهيمنة الأميركية بمؤسساته وسياساته كافة، السياسية والاقتصادية وحتى الثقافية. ميزة وفرادة الثورة هذه ترتبط مباشرة بالدين والثقافة المعتنقة من مئات الملايين من المسلمين المقتنعين أن النظام العالمي الحالي يستهدفهم في وجودهم الديني والثقافي والسياسي والاقتصادي وحتى الجسدي الفيزيقي. طبعا كل شعوب وحركات التحرر العالمي، حتى الدول المستقلة حقا، ترى في النظام العالمي الذي تحكمه وتتحكم به الولايات المتحدة، أداة هيمنة واستغلال واستضعاف، واستبداد إمبريالي لا يمكن احتماله أو استمراره.

الثائر والمريد: شخصية ثائرة عاش زمن الثورة، تأثر بقيادتها المقدسة، عشقها وذاب بها، عاش مقولاتها في الدين والثقافة والسياسة والأخلاق والقيم إلى مستوى التوحد والتماهي.

هو قاسم سليماني، المولود 1958 لعائلة فقيرة تقطن قرية «قنات ملك»، من قرى إقليم كرمان. عانت هذه العائلة، كما الأكثرية الساحقة من الشعب الإيراني، من سياسات نظام الشاه الظالمة على أكثر من صعيد: ثقافي واقتصادي وديني وسياسي. اندمج الحاج قاسم في حرس الثورة وأصبح قائدا من قياداته المميزة. فيلق القدس الذي كان يقوده، باعتراف أمريكي، أصبح مؤثرا وفاعلا كبيرا في معادلات «الشرق الأوسط الجديد».!

سيرورة الثورة والثائر في الجهاد الدفاعي: شكلت الثورة والثائر تحديات كبرى للقوى المستكبرة وعلى رأسها الولايات المتحدة الأميركية وأدواتها في المنطقة والعالم. قامت أميركا بمحاولات متعددة لكسر الثورة، أو الانقلاب عليها. باءت هذه المحاولات كافة بالفشل. فرضوا حربا عسكرية قادها بالوكالة صدام حسين استمرت ثماني سنوات وفشلت. الثائرالحاج قاسم كان أحد العقول البارعة في صد قوات صدام ودحرها. فرضوا عقوبات ظالمة مديدة على الجمهورية الإسلامية وحرضوا القوى المضادة في الداخل والخارج وأخفقوا. استطاعت الجمهورية والشعوب المقاومة في المنطقة أن تحقق إنجازات كبرى أضعفت السيطرة الأميركية وأدواتها. شرق أوسط مقاوم بدأ يتشكل ومعالمه لاحت بالظهور، بدلا من شرق أوسط صهيو-أميركي كان يبشر به جورج بوش الابن وإدارته منذ مطلع القرن الحادي والعشرين.

الإمام: تكامل الثورة والدولة

في وقت مبكر من حياته الشريفة أدرك الإمام الخميني قدس سره أن صور الإسلام لا تمتلك مصاديقها في ظل نظام الشاه، ولا تعكس القلب النابض بالإيمان للشعب الإيراني.عاش وعقل وتدبر الآيات القرآنية الكريمة -المحكم والمتشابه-والسنة النبوية والإمامية الشريفة ودخل إلى باطن النصوص والأدعية في عرفانه العميق، المجوهر الإنساني. الإرادة العارفة كانت عقله وخطابه الأخاذ. العقل والحس الخميني، أحاط بالعقل والمشاعر الشعبية في إيران، إلى أن تغير السلوك الفردي والجماعي. أصبحت كلمة الإمام هي كلمة الشعب في إيران. الإمام، بعون الله، غيَر النفس الجمعية للشعب الإيراني الذي كان بفطرته جاهزا لهذا التحول. الإمام والمؤمنون غيروا إيران والمنطقة والسائد في العلاقات الدولية معهما.

أيقن الإمام أنه لا بد من تغيير هذا النظام العميل لحكومات بريطانيا أولا ولأميركا أداة. هاتان الإدارتان اللتان تعاديان الإسلام والشعوب المستضعفة كافة. يحيكون المكائد لتدمير الأسس الثقافية والسياسية والمجتمعية للشعوب لتغبيش وتشويه وعيها لذاتها، وتقصيرها بكيفية النظرة للآخر وماهيته. رأى أن لا خلاص، أو تحرر وتقدم، ولا مستقبل للأمة الإسلامية ومجتمعاتها وكياناتها بمنأى عن ثقافة الإسلام المحمدي الأصيل. الشعوب الإسلامية تصبو إلى حكام، ولاة أمر، يشبهونها ويحملون وجودها المعقول إلى عالم الكون والحياةوالاجتماع. يجب، إذن، صياغة الوجود الاجتماعي الإنساني، وإعادة تشكيل الأنفس وإزالة الغبار الظلامي والحجب المتراكمةعنها. بلورتها من جديد لتماهي أوامر الخالق تعالى، وانتشالها مما وقعت فيه من زلل شيطاني استكباري طال طغيانه عليها، وعطل حركتها والحكمة الإلهية من وجودها. الأمام الخميني أماط اللثام عن العلل: في الحكم ونوعه، في القيادة والدساتير، في السير والسلوك وخير العمل، في المجتمع وقضاياه، في علاقات المجتمعات والأفراد، وتبيين المرجعية الحقيقية للإنسان. كان كله لله فرأى بعين الله. كانت عيونه تحلم في بناء نظام إسلامي يقوم على الولاية والعدالة والاستقلال والحرية. هذه الرؤية للثورة والدولة غير مسبوقة إلا برسالات الأنبياء ودعوتهم لإقامة شرع الله سبحانه وتعالى، وخلافة الإنسان الإلهية منوطة تحديدا بهذه الغاية والمقصد.

كان الإمام يمقت الاستكبار، الأمريكي على وجه الخصوص، ويسعى لاجتثاثه من بلاد المسلمين، وكذلك الاحتلال والتبعية بكل أشكالها: الثقافية والسياسية والعسكرية. فقد كشف كل الأسرار في كتابه الأول «كشف الأسرار»، في «الجهاد الأكبر»، في محاضراته حول «ولاية الفقيه»، وفي الأحكام والفتاوى والمواقف اللاحقة. عرَى وكشف زيف كل هؤلاء المنحرفين والمستكبرين، نظام الشاه ومن مثله وأسياده من الظالمين. كانت صورة الدولة الإسلامية العادلة المتحررة واضحة في مخيلته وعقله ونفسه، كما أي فتوى بناء للمصادر الشرعية: الكتاب والسنة النبوية الشريفة وسيرة الأئمة المعصومين عليهم السلام. كان قلبه ممسكاً بالآيات القرآنية: وعد الله سبحانه وتعالى بنصرة المؤمنين، و «بشر الصابرين»، إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم». لم ترهبه اساطيل الأعداء، ولا بطش «الحاكم»، ولا الانحراف التاريخي عن تطبيق أحكام الإسلام المحمدي الأصيل في القيم العقدية-الإلهية-الاجتماعية الإنسانية. في هذه الدولة-الإلهية- لا يترك الإنسان وحيدا. لا، الله سبحانه وتعالى وَعد

خليفته الحق، الإنسان، بالنصر أو الشهادة في سبيله.! كان هم الإمام أن يكون الله حاضرا في الفرد والمجتمع، في الدنيا، ليكون المؤمن في الآخرة مطمئنا. فقيام الدولة الإسلامية تقويم للاجتماع الإنساني دينيا ودنيويا.

هذا العقل الديني/السياسي الخميني أرعب الشاه وأسياده فقاموا بنفيه عن إيران ومن حلقات العلم والعرفان والأخلاق والقيم وقضايا الحق والعدل التي كانت تتفاعل في حوزة قم المقدسة، وفي أنحاء إيران والعالم الإسلامي. كان الإمام لا ينأى بنفسه عن مهاجمة نظام الشاه وسياساته الداخلية والخارجية من جهة، وبناء الشخصية الإسلامية القادرة على القيام بمهام الدولة المنتظرة من ناحية أخرى، من خلال تدريسه في الحوزة العلمية-في قم المقدسة والنجف الأشرف- وفي خطاباته المناهضة للسلطة الشاهنشاهية. كان لنفية إلى تركيا، ثم إلى النجف ألأشرف في العراق، بعد انتفاضة/ثورة شهر خرداد 1963، إضافة بركات ونعم إلهية حلت على الحوزة العلمية العريقة في النجف الأشرف. دوائر المخابرات الأمريكية التي كانت تدير الشاه وصدام ضاقت ذرعا بانتقادات الإمام للشاه وأسياده في أميركا خاصة لناحية دعمهما الظالم للكيان الصهيوني السرطاني، وتأييد الإمام حق المقاومة في استرجاع فلسطين والقدس الشريف وكل الأراضي المحتلة. أوعزت لهما بنفي الإمام مجددا من العراق فقام صدام بالخطوة. وانتقل الإمام إلى باريس، حاملا أمل الشعب الإيراني في إقامة الدولة الإسلامية في إيران الإسلام.

منذ أن انتقل الإمام الخميني قدس سره من النجف الأشرف إلى العاصمة الفرنسية، باريس، سنة 1978 بإجراء ظالم من السلطات العراقية، والتي كان يديرها صدام، لم تهدأ الأفئدة العاشقة والأنظار الشاخصة إلى هذه الشخصية العظيمة المخلصة والصادقة والشجاعة. كان الرد الفوري لجماهير الشعب الإيراني بالنزول إلى الشارع تعبيرا عن الغضب والثورة في وجه المستبدان: الشاه وصدام. لم تتراجع الجماهير الإيرانية، هذه المرة، إلا بعد أن طردت الشاه وأزلامه من السلطة، واستقبلت الإمام الخميني العظيم في طهران، في الأول من شهر شباط سنة 1979. عشرات الملايين من كل الأجيال والطبقات الاجتماعية، وفي كل مكان من إيران، وحتى في الخارج، تجمعوا في الساحات تعبيرا عن ترحيبهم بقائدهم وسخطهم على نظام البهلوي الأمريكي.

هذه الثورة التي غيرت وجه إيران، المنطقة والعالم، عبَرت أيضاً وبعمق عن طموحات وأحلام الشعوب المحرومة والمستضعفة في منطقتنا. النهضة الإيرانية هذه أوجدت الظروف الملائمة لتفجير طاقات الشباب في هذا البلد التاريخي والحضاري العريق. جيل أو أكثر، من الشباب، والشيب، عرفوا أن نظام الشاه الظالم ما كان يعبر عن ثقافتهم ولا يلبي طموحاتهم في الحرية، في القول، في العمل وحرية العبادة، وفي الكيان والوجود. لقد أخرجهم الإمام من ظلمات الحاكم المستبد إلى النور الإلهي الإسلامي.عرف الناس أمانته وصدقه واحترامه لشعبه وأمته وثقافته. هو العابد العارف والإلهي، الإمام روح الله الموسوي الخميني قدس سره. شعب عريق مبدع في كل النواحي الحضارية والدينية يعرف بحسه الفطري والعرفاني والعقلي القائد الذي يرفعه الله معه وينصره بولايته وعدالته.

هذا الشعب الذي استنفذ التاريخ واخترقه في كل مراحله، منذ ما قبل الإسلام ومعه وخلال ازدهاره، حتى غدا هو والتاريخ صنوان، وخاصة التمسك بالإسلام المحمدي الأصيل. وهو في كل مرة يعيد صياغة تاريخه من جديد ويبدع إضافات جوهرية تمنحه ابعادا متقدمة للقيم والتشريعات السماوية والمجتمعية الإنسانية. شعب عرف كيف يدافع عن وجوده في كل زمان ومكان، ماديا ومعنويا، روحيا وعقليا، ثقافيا وحضاريا. كيف إذا تيسر له قائد حكيم مقدام حاسم مريد صاحب بصيرة، ولا تغره الدنيا مهما تغالت وتزينت. الفريق سليماني «سيد شهداء محور المقاومة»، هو خلاصة هذه الثورة ووجدان قائدها ومؤسسها، وهذه الثقافة الدينية وقيمها، وهذا التاريخ وصناعته.

بعد رحيل الإمام قدس سره منَ الله تبارك وتعالى على الأمة الإسلامية بقائد، إمام من سلالة العترة المطهرة، السيد العالم والحكيم الشجاع والمرشد إلى سبيل الله تعالى. الإمام على الخامنئي دام ظله، وبنفس الروح الخمينية استكمل الثورة وقاد الدولة -بقيم الثورة- إلى ساحة الجهاد الحضاري وإلى النموذج العالمي البديل عن النماذج المستبدة الظلمة، وخاصة النموذج الأميركي الرأسمالي المتوحش الذي عاث فسادا في الأرض.(أنظر وصية الشهيد السعيد السليماني لترى مكانة القائد الخامنئي في عقله وقلبه). إنه مخيم الإمام الحسين عليه السلام في الروح الأبدية للمجاهدين المصلحين.

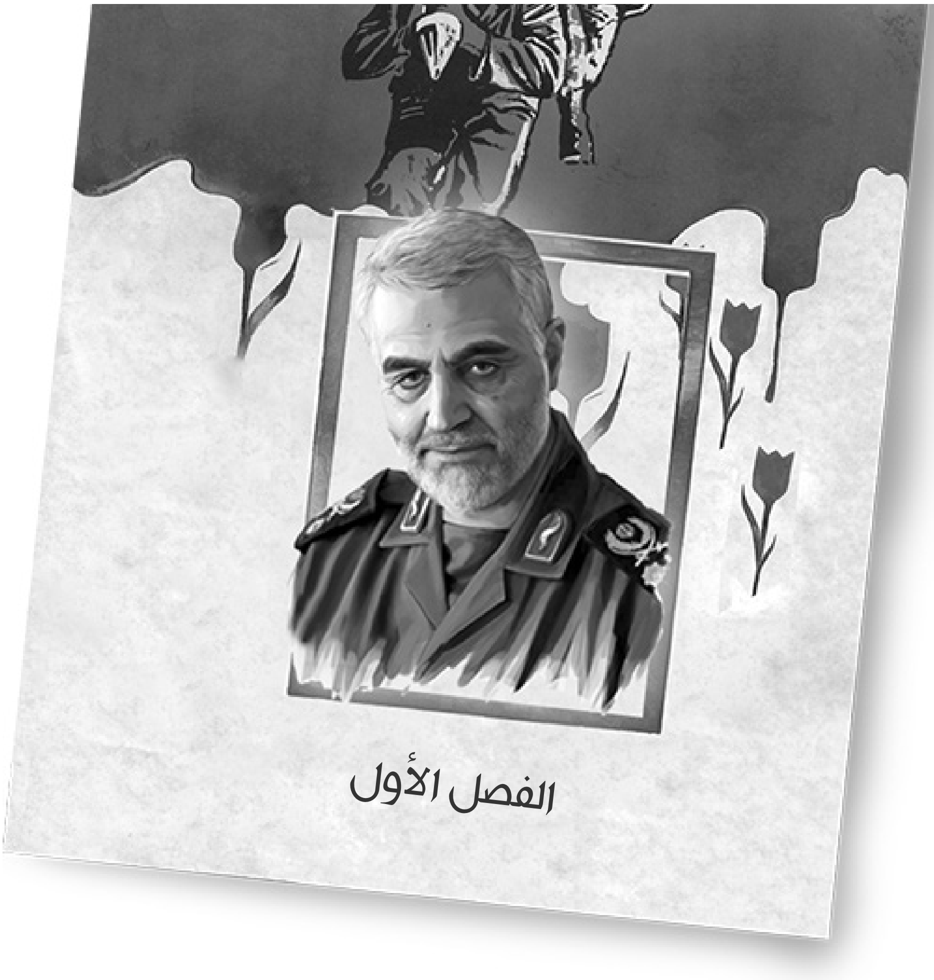

النموذج السليماني (آية النهار)

لثورة الإمام روح الله الموسوي الخميني قدس سره

ايقظت ثورة الإمام كل الأنفس التواقةإلى الحرية الإلهية، والتي كانت تعاني من قيود الانطلاق وكبت الطاقات. مع دعوته إلى التظاهرات والثورة تفتحت كل براعم الزهور الذابلة والمكبوتة والعطشى إلى إظهار عبقها في سماء إيران، وفي محيطها المكلوم والمظلوم. الظلم والمعاناة علة الثورة. قبل الثورة بلغ اليأس والسوداوية والتشاؤم لدى معظم شرائح المجتمعات العربية والإسلامية حدا غير مسبوق. خاصة لناحية الاستقلال والسيادة والتحرر والتنمية. قضية فلسطين والقدس، ما كان يحيط بها ويدبر لها- خاصة بعد زيارة رئيس أكبر دولة عربية-انور السادات- إلى «المغتصب إسرائيل» ولقائه بمجرمي «الهاغاناه» الصهاينة، وإعلانه الاستعداد للاعتراف بهذا الكيان الصهيوني الغاصب وإقامة معاهدة «سلام» معه، في خطاب له من داخل الكنيست الصهيوني.! خرجت المجتمعات العربية والإسلامية في تظاهرات، معلنة رفض «الزيارة الخيانية» وتشريع الاعتراف بالكيان الغاصب، «إسرائيل». مع الأسف، غضب لم ينجب فعلا ثوريا تغييريا على المستوى العربي. لم تتصد قيادة أودولة عربية، أو حتى «منظمة تحرير فلسطينية»، جديا لهذا التوجه الاستسلامي الذي كانت تقوده الولايات المتحدة، وينظم إليه سرا-والآن علنا- دول عربية كثيرة. للتاريخ، اعتراض وممانعة وصمود مثَله رئيس الجمهورية العربية السورية حافظ الأسد. في خضم هذا الوضع المتجه نحو «تسوية» نهائية ترسخ وجود الكيان الصهيوني، وتحضر الحكام العرب الآخرين مرغمين أو مطواعين أو راغبين إلى «التسوية»، وصلت ثورة الإمام في أوائل 1979 إلى من يستجيب، الشعب الإيراني، وسقط أعتى حليف لأميركا ولهذا الكيان الغاصب في المنطقة، الشاه. ثورة الإمام أعادت وصل التاريخ وأحداثه الرسالية، ولقضايا الأمة مكانتها، وللوجود الجوهري الحقيقي حركته الإلهية الكونية.

للمفارقة التاريخية، أن الشاه بعد هروبه من الثورة الحضارية للشعب الإيراني،كان أول

من استقبله بحفاوة هو ذاته أول رئيس عربي هجر قضية فلسطين وشعبها وأقام صلحا مع الكيان الغاصب.!! كما أنه ليس مفاجئا أن الثورة الإسلامية المباركة كانت اول من أقفل السفارة الصهيونية في طهران وحولتها إلى سفارة لفلسطين، وقطعت كل أشكال العلاقة مع الغدة السرطانية»إسرائيل«، وأظهرت العداء المباشر لهذا الكيان المحتل في جميع المجالات ودعت إلى تفكيكه وإزالته من الوجود لأنه فاقد للشرعية.

هذه الثورة أعادت التنفس إلى الأمة بعد أن حاولوا قطع قلبها عن القدس وفلسطين. قال الإمام: «إسرائيل غدة سرطانية يجب اقتلاعها من الوجود». وهوقدس سره دعا إلى «يوم عالمي للقدس» عاصمة فلسطين، وحدده في آخر يوم جمعة من شهر رمضان المبارك. عادت الروح إلى الجسد البائس واليائس والخائر، وتجدد الأمل في بعث الحياة والوجود الفاعل للأمة.

ثورة الإمام قدس سره قدمت الفرص لجيل عاصرها ونصرها، ولأجيال قادمة تنهل من معينها الفياض بالحرية والعدالة والتقدم والاستقلال. ليس في إيران فحسب بل على صعيد الأحرار في المنطقة والعالم. لقد قدمت النموذج الراقي لثورة سلمية «لا-عنفية»، على الرغم مما تعرض له الشعب الإيراني الثائر من تقتيل وسجن وتعذيب ووحشية على أيدي قوات الشاه من سافاك وسي آي أى أمريكا وموساد صهيوني، بسبب هذه القيم والمفاهيم الرسالية العالمية. الإمام بقيادته لشعب مبدع متوحد مع هذه الثورة عبر عن وجوده الثوري بالدماء والعرق والإبداعات العلمية والعسكرية اللاحقة، والتي قد تبدو للبعض، في الثقافة الغربية ومقلديها تحديدا، بأنها لا تستقيم مع العقل الديني وثقافته وتربيته.! هذه الثورة حققت حلم الأنبياء بجعل الدين ثقافة حياة، ووجود خليق بخليفة الله على الأرض وعمارتها بما يرضيه تعالى، ويؤمن السعادة الإنسانية ببعديها الروحي والدنيوي.

الشهيد المجاهد قاسم سليماني شجرة نورانية أصولها خمينية-حسينية نمت وعانقت الثورة ونذرت نفسها للحفاظ عليها ولخدمة أهدافها والعقائد الإلهية/المحمدية الأصيلة. لم يتوان للحظة عن اللحاق بحركة الثورة بقناعة وتوحد مع طروحات قائدها وإمامها. كيف لا؟ وقد كان هو وعائلته المؤمنة المستضعفة من ضحايا النظام البائد. كما الأكثرية الساحقة من الشعب الإيراني، لقد أخذته الثورة عقلا وقلبا وحسا سليما، لأنها ثورة الحق على الباطل ولأنها، كما يقول، «حلم الأنبياء والأئمة عليهم السلام».آتاهم اليقين جميعا، وجاء الحق وزهق

الباطل. اقتنع بالثورة واستعذب كلام وحكم الإمام وعاش روحه وسياساته وشجاعته، شعر بالجنة الخمينية، وهل من مؤمن عاقل ينأى بنفسه عن الجنة الحقة.؟ الشهيد سليماني الذي جمع بفطرته ورؤيته الشخصية كل معاني الثورة: الوجود في الثقافة الروحية، وثقافة التحرر الوطني والقومي والديني والرسالي والإيماني، لم ينأى بنفسه عن العمليات الجهادية في أرض المعركة إلى أقصى الممكن من الجهد الإنساني. قدم الشهيد سليماني النموذج السلوكي والخلقي والجهادي/العملي كأروع ما يمكن من تعبير عن الوجدان والضمير والعقل الخميني الامامي. انضم الى الحرس لحماية الثورة من الأعداء الذين تآمروا عليها -ولا زالوا- في الداخل وعلى الحدود. أضاف إلى الجندية التصوف الجهادي الذي حمله على الابتعاد عن الألقاب والنياشين والنجوم والشهرة والبقاء مستعداً للتضحية، للنصر وللشهادة.

تعرف الشجرة من ثمارها. شهيدنا العظيم لم يفتتن بالسياسية بمعناها الأخص (الذاتي)، وإن كان الحرس يعني سياسة حماية الثورة بالقوة ضد الذين يستخدمون القوة لإجهاض الثورة. وهنا لا بون بين الثورة / السياسية والدينية والقيمية والأخلاقية والاستراتيجية والقومية والوطنية، لأن وضع الحدود المقولاتية، ومدى تأثر أيا منها، في تقييم الثورات لا يستقيم. ألم يهزأ الإمام الخميني قدس سره، مثلا، من الذين يفصلون الديني عن السياسي/الدولتي ويقول: «ديننا عين سياستنا، وسياستنا عين ديننا».

شهيدنا العظيم كان عاملا فنيا وجنديا حارسا وقائدا ميدانيا يضع الخطط المبدعة لمواجهة الأعداء إلى حد أفقدهم عقولهم، ورجل دين روحاني (بدون عمامة)، منصهر بالآخرة والأبدية،وسياسيا ماهرا، يفاوض في الميدان وخارجه، واستراتيجي عملاق أعجز أعتى قوة عالمية وأدواتها. اعترف قائد القوات الأمريكية الغازية في العراق الجنرال ديفيد بترايوس، والذي «تأثر»(!) بالشهيد حيث قال: «سليماني خصم جدير».، وأثنى بمرارة على مهاراته، وإن كان الشهيد يهزمه في كل المحطات في العراق وغيره من المواقع. علق الإعلام الصهيوني وبعض قادة العدو على استشهاد قائدنا بالقول: «كان بذكائه ومهاراته يساوي رئيس الأركان ورئيس الاستخبارات، الموساد، معا» وقد بزهم وتغلب عليهم جميعا. وهو القائل «كنت مولعا جدا بالخطط والقضايا العسكرية، وكذلك الجبهة. وبسبب هذه المحبة وطئت أرض الجبهة».(قاسم سليماني، ذكريات وخواطر، ص 12) لكأنه خلق بالفطرة معدا

لهذه المهمة. عسكريا، لم تنشأ خططه من ميتافيزيقا بعيدة عن الميدان، عقله وتصوراته وخططه الميدانية أضحت كلاً واحدا. كصورة اليد وحركتها بالفعل. قائد فذ جمع في شخصيته كل صفات الثورة وأصبح قائدا مميزا من قادتها. مبدعا في ساحات الجهاد. قادرعلى تطبيق التصورات في أرض المعركة، يقول للانتصار كن فيكون، بعون الله. الجسد كان آلة النفس المطمئنة، ينفذ ما تأمره بدقة متناهية. كان يعيش الروح بتجلياتها، لكأنه كان يقرأ الأعمال من «أم الكتاب» أو «اللوح المحفوظ». لهذا يجب الوقوف عند كل كلمة من وصف معبر أطلقه على الشهيد السعيد سماحة السيد حسن نصرالله(حفظه الله)، شريكا الانتصارات في الحدود العربية-الإسلامية: «سيد شهداء محور المقاومة».

منهجية المجاهد الإسلامي والثائر العالمي

السائد في التقليد الفلسفي/السياسي وسوسيولوجيا التحرر هو تطبيق النظريات على الواقع. أي أن يجلس المنظِر وراء مكتبه وينشئ مجموعة أفكار أو خطط كلية ويفسرها للقادة المنفذين على الخرائط الورقية وما عليهم إلا أن يتبعوا التعليمات ويطبقوها في الميدان وتسير الأمور. هكذا في الكليّات العلمية، والعسكرية خاصة. القائدان الشهيدان العظيمان الحاج عماد مغنية، القائد الجهادي الكبير، والحاج الفريق قاسم سليماني «سيد شهداء محور المقاومة» قلبا المعادلة أو عدلاها تبادليا/جدليا. جينات تفكير عسكرية مبدعة يتداخل فيها التكتيكي مع الاستراتيجي، المرحلي مع الغائي/الآجل في نوع الأسلحة والخطط المتحولة/المتغيرة ميدانيا، وفي العمليات الممكنة، وفي المواقع حسب تأثيرها على معنويات وخطط العدو. هكذا من البسيط إلى المعقد، إلى الأكثر تعقيدا وعلى أكثر من جبهة ومحور. تنظير وتنفيذ جديدين.

يمكن لمن شهد الفترةالأخيرة من الاحتلال الصهيوني لجنوب لبنان أن يعي كيف ولماذا تفعلت العمليات العسكرية للمقاومة على طول خطوط المواجهة في الشريط المحتل، بشكل لم يسبق لها مثيل. مرحلة تدمير المواقع العسكرية والنفسية المعنوية للمحتل وعملائه. معظم المواقع الرئيسية التي كان يتحصن فيها العدو سقطت أو دمرت، من موقع عرمتى في إقليم التفاح (القطاع الشرقي من الجنوب اللبناني/جبل عامل) إلى موقع البياضة على شاطىء المتوسط (أقصى غرب الجنوب)، وبالقرب من الحدود مع فلسطين. كلها

مواقع ذات أهمية استراتيجية عالية ومحصنة لتحمي جنود العدو. هذا ما عجل باندحار وهروب الصهاينة بدءا من بعد صلاة ظهر يوم 23-25 أيار 2000، وترك عملائهم في قبضة رجال المقاومة الإسلامية الأبطال. هذا الانتصار غير المسبوق على مدى الجبهات العربية أسس لتاريخ جديد من الصراع مع العدو الصهيوني. اليد العليا فيه للمقاومة، عقيدة وثقافة وسلوكا. بهذه المناسبة العظيمة أطلق سماحة السيد حسن نصرالله عبارته الشهيرة، في مدينة بنت جبيل العاملية، والتي لا زالت تطرق مسامع الصهاينة وعقولهم رعبا: «واللهي، إن إسرائيل هذه هي أوهن من بيت العنكبوت». وهل كان الفريق الحاج قاسم سليماني بمنأى عن هذا الانتصار الفاتح والمؤسس لتوازن الردع ؟!

في العراق أيضا حصل تدرج في العمليات في الجنوب وحول بغداد والوسط، ما أدى بالمحتل الأمريكي إلى تسريع قرار الانسحاب في عهد أوباما عام 2011. كذلك في سوريا فإن تصور التدرج في العمليات، وترتيب الأعداء والأعباء، واستراتيجية الأمكنة والمواقع الخطرة، والتخطيط لمواجهة كل هذه «المجمعات الإرهابية» وداعميها، إنما يدل بوضوح على عقل عسكري واستراتيجي خلاق عملاق. وإلا كيف نفسر الانتصارات المتواصلة والمتصلة الأهداف التي حققاها في ميدان المعركة أمام أعتى الجيوش النظامية العالمية، خاصة الولايات المتحدة التي تملك، وباعتراف عالمي، أقوى جيش في العالم من حيث العدة والعدد والاستشعار والاستخبارات؟ كذلك حققا نصرا استراتيجيا وتاريخيا عظيما على العدو الصهيوني عام 2006.! طبعا يمكن القول، وبالفعل، ان الضباط الصهاينة يتدربون في الكليات العسكرية الأمريكية ويمتلكون نفس الأدوات والاستراتيجيات. لذا، فإن هزيمة الصهاينة هي هزيمة للعقل العسكري الأمريكي وكلياته ومعاهده العسكرية القديمة المتضعضعة. لقد اعتادوا على الهزائم أمام قوى المقاومة بقيادة الحاج قاسم سليماني والحاج عماد مغنية (رضوان الله عليهما).

ابداع الحاج الشهيد قاسم سليماني في هذا المجال، ربط التقدم الميداني على محاور القتال بالتدرج الأفقي بحسب الأهداف وأهميتها في الحرب، سر نجاحه المذهل. بالنسبة له الحركة الجهادية وتأثيرها ونجاحها ناتج عن سلسلة حلقات متصلة ومتفاعلة، في صيرورة بدئيه-وسطية-نهائية. أي أن الواقع يغير التنظير، وأن الإرادة والتخطيط/التنظير يغير

الواقع. الجهاد، كحركة نقيض التنظير عن بعد، أو الجمود أو «الوقوف على التل» لأن لكل ساحة قوامها: من حيث نوعية الأسلحة، من حيث عدد العناصر المحتمل، من حيث الدعم الخارجي، القدرات الهجومية والدفاعية، من حيث النتائج السياسية لأي من المعارك. التنظير والميدان الواقعي، أي الفكرة وإمكانية تطبيقها لا بد أن تمر، وخاصة في المجال العسكري الميداني، في تجربة الاستطلاع التي خبرها وأتقنها أثناء الحرب المفروضة...رسم للمشهد العام، نقاط القوة ومكامن الضعف، المكان، الزمان، العدة والعدد. الروح سيدة ساحات المعارك، والنفس والعقل، وما بعد كل هذا النظرة إلى الدنيا وما بعدها. هذا البعد الأخير ليس في عقيدة أي من الجيوش العالمية. كما يقول الشهيد العظيم. وهكذا كان. لكل ساحة أو ميدان معركة، عقولها وتركيبتها ونفسياتها وزمانها ومكانها: ميدان المعركة في سوريا غير لبنان غير العراق غير اليمن .. وإن كانت الأرواح والأنفس الفاعلة المنتصرة بنيَة واحدة وقلب واحد ومرجعية واحدة. يضاف إلى هذا: توزيع المناطق أو الدوائر التي تترابط في المعركة الكبرى والتي تخضع لنفس الأهداف والغايات. والتي تتكامل في الجهود وتؤدي الأدوار الجزئية في المعركة الكلية بحسب مكانتها الاستراتيجية والشعبية والحلقة العقدية والعقائدية. ببساطة كلية: كل دائرة بحسب قربها من العقل الرئيس أو الهدف النهائي المنشود في تحقيق النصر أو الانتصارات. ساحة أو دائرة يمكن أن يكون منوطا بها معركة محددة وتنتهي المهمة. والباقي هو استمرار التأهب أو التحضير للمعركة الكبرى. ساحة أو دائرة أخرى، يكون المطلوب منها أن ترافق العمليات كلها حتى تحقيق الانتصارات والأهداف برمتها: هذا على صعيد الجهاد الأصغر.

أما الجهاد الأكبر فله في كل هذه المراحل والبدايات والتراكمات الإنجازية، في «التكتيكي والاستراتيجي العام» المكانة الجوهرية. هذه الدوائر او الساحات يمكن أن تتحالف أو تتوحد أو تتقاطع في المصالح أو المعارك المرحلية، بحسب الطور العملياتي والاستعدادات والطاقات، والأهداف المقطعية أوالاستراتيجية الكبرى. وهكذا أيضا،مع بدء معركة أو هدنة أو إنهاء معركة، أو تأجيل الإعلان عن انتصار، أو حتى فتح جبهة جديدة لمساعدة «دائرة أو ساحة من الساحات المفتوحة على الصراع»، لنجدة أو تمكين القوى الحليفة أو الصديقة أو الرديفة. نجح الشهيد السعيد الحاج قاسم في أغلب ما خطط له وانتصر في أهم معارك القرنين، الماضي والحاضر.في العراق: أميركا وداعش

والجيش العراقي، ثم الحشد الشعبي. في لبنان: الجيش اللبناني والمقاومة، والعدو هو الكيان الغاصب والخلايا الإرهابية. في سوريا: القوى الحليفة: الجيش السوري، الدفاع الشعبي، المقاومة الإسلامية، وعلاقة تنسيق مع الجيش الروسي الذي اقتنع بنظرية الحاج قاسم إلى أهمية أن لا ينتصر الإرهاب/الأميركي في سوريا. أما الأعداء في كل من سوريا والعراق: الولايات المتحدة تقود ما يسمى التحالف، وهي في الوقت نفسه حامية الإرهاب وداعمته، ومصدر فكرة انتشاره في الأماكن والمجتمعات لتمكينها من استثماره في سياساتها مع الدول التي تعارضها، أو حتى تتباين معها كالصين وروسيا. وهذا بعض من شرانية استراتيجية الأمن القومي الأميركي تجاه الدول والشعوب التي لا تنصاع لعولمتها وسيادتها على أمم الأرض. هذا ما يفرض تحالفا أمميا ضد إصرار أميركا على التحكم بقرار بقرار العالم والعبث بمصائر الشعوب وثرواتها.

أما فلسطين بقدسها وأقصاها الشريف ما برحت العقل الاستراتيجي للشهيد سليماني. (اسرائيل غدة سرطانية) في جسد الأمّة، يجب إزالتها من الوجود. هذا ما تثقف عليه وانتهجه مقلدوا الإمام الخميني قدس سره. القائد سليماني بإيمانه العقائدي وعقله الاستراتيجي كان يرى إن تحرير فلسطين سيكون درّة تاج انتصارات محور المقاومة. هو مهّد لذلك بصبر وثبات وأحكم الطوق على الكيان الغاصب. متن التحالف مع فصائل المقاومة الفلسطينية كافة في غزة، حتى مع امن السلطة الفلسطينية في الضفة الغربية... وامدهم ما استطاع من دعم الثورة الاسلامية في الايران أعادت القضية الفلسطينية الى الاولويات الجوهرية، بعد ان اضحت عربيا عبئا يجب الخروج منه. لذا ذهب معظم الحكام العرب في طريق التطبيع والاستسلام والخضوع لهذا الكيان الغاصب. هذا في الوقت الذي كان فيه القائد الشهيد يرسم معالم مرحلة جديدة من تاريخ المنطقة منذ عام 1981م، عندما كان مجاهدا في عداد فيلق (الطريق الى القدس).

لم يخطئ الشهيد في التحالفات ولا في صنعها، ولم يعوص عليه معرفة الاعداء والتصدي لهم. هذه الجبهات التي قادها زعزعت أركان الوجود الإستكباري والاستعماري الأمريكي، والاحتلالي الصهيوني، في جميع المحاور التي دخل إليها في المنطقة. أوجد حالة الثقة بالنفس وإمكانية التحرير نظريا وعمليا. وكان هو العقل الاستراتيجي الذي أبدع فلسفة

عسكرية ذاتية، كيفما كانت أرض المعركة، مؤداها الانتصار. قيادته خلخلت البنية النظرية والعملية العسكرية والاستراتيجية للأعداء، وأفقدتهم قدرة القيادة والتحكم بنتائج المعارك. هذا ما لم يعتادوا عسكريا عليه في المنطقة وغيرها، إلا مع الشهيد سليماني. بنى تحالفات جديدة قوية تمتَنت وتعمقت في أرض المعركة، وأضعف تحالفات قديمة كانت مهيمنة عالميا على ساحات المعارك لقرن ونصف على الأقل. قوَّتُه أنه جعل الانتصارات تصعَد من الثبات في الميدان، أرض المعركة، وليس المعادلة المعاكسة. صعودا لا هبوطا.! لذا لم يترك الميدان. وصوله إلى ذروة الرتب العسكرية القيادية لم يكن قرارا أكاديميا أو سياسيا أوتوماتيكيا، هو استحقاق تقني ملزم الصيرورة، وأهلية محيطة لا مندوحة منها. وهي كل هذا بلا انفكاك صارم.

قراءة في حياة الفريق قاسم سليماني: العقل والثورة

التجربة الميدانية: الدفاع عن الوطن، الدولة والثورة

يقول سيد شهداء محور المقاومة في مقابلة مع مجلة «نداء الثورة» عام 1990: «انا قاسم سليماني قائد فيلق «صاحب الزمان عليه السلام» السابع التابع لمحافظة كرمان، ولدت سنة 1958 ميلادي في قرية «قنات ملك» من ضواحي كرمان، حائز شهادة البكالوريا (الثانوية العامة) متزوج ولدي ولدان، صبي وبنت. قبل الثورة كنت موظفا في مصلحة مياه كرمان وبعد انتصار الثورة الاسلامية في شهر ايار سنة 1980 التحقت بحرس الثورة الاسلامية». (ذكريات وخواطر ص. 11) تعكس هذه المقابلة سيرة حياة الرجل وعشقه للثورة الاسلامية وقائدها الامام الخميني قدس سره. انخرط في هذه الثورة، وفي سن مبكر أصبح قائدا لفرقة في الحرس الثوري يقاوم العدوان الذي شنه الرئيس العراقي على الجمهورية الاسلامية بدعم امريكي وعربي، لمدة ثماني سنوات 1980-1988. يقول الشهيد سليماني: «مع اندلاع الحرب وهجوم النظام العراقي على مطارات البلاد بقيت مدة أحرس الطائرات الموجودة في مطار كرمان. وبعد مضي شهرين أو ثلاثة على اندلاع الحرب، انطلقنا إلى جبهات سوسنكرد ضمن القوات الأولى المرسلة من كرمان والتي كان تعدادها 300 شخص تقريبا، بصفة قائد فصيل». (ذكريات وخواطر ص. 11) ويتابع بثقة الأبطال الشجعان: «في الأيام الأولى لالتحاقي بالجبهة اعتقدت أن العدو قادر على القيام بأي شيء، لكننا تمكنا في أول هجوم لنا من إرغامه على التقهقر من جانب طريق سوسنكرد إلى الحميدية، وكبدناه خسائر أيضا. وقد أدى هذا الأمر إلى زوال التصور الخاطئ عن العدو من ذهني». (ص.11).

هذه الشذرة المضيئة من سيرة حياة القائد الشهيد، والتي يرويها بنفسه، تمنحنا القدرة

لفهم ما كان عليه الشهيد من صورة رجل من لحم ودم وعقل ونفس ذابت في الثورة وعن كثب وبسرعة تجربة استطاع أن يدرك أرض المعركة: الأفراد الذين معه، العتاد، الخطط، العدو وكيفية التعامل معه. في تصور الحاج قاسم سقط العدو بنظره من الضربة الأولى، والباقي مسألة وقت لإنجاز الانتصار. هذه الأنفس، الحاج قاسم وأخوانه، حموا الثورة وانتصروا بها. كانت الخطوة الأولى على طريق تحرير المنطقة. إذا كان العالم قد اجتمع في عدوانه على هذه الثورة الفتية ولم يستطع أن يؤثر في توجهاتها وسلوكها الثقافي والديني، معنى ذلك أنه ليس هناك من يقدر أن يوقف هذا العقل الإلهي عن التقدم والتحرر والبناء الحضاري.

يقول الشهيد: «أفضل العمليات التي شاركت فيها كانت «الفتح المبين». أوكلت إلينا ولأول مرة حينها مهمة تشكيل لواء، رغم إصابتي توليت مسؤولية مساعد قائد المحور في جبهة «شوش» و«سهل عباس». تزخر هذه العمليات من حيث النجاحات التي حققناها بالذكريات العذبة جدا، إذ أننا رغم الضائقة التي واجهتنا من حيث الإمكانيات فقد استطعنا بهمة مجاهدي الإسلام أن نأسر 3000جندي عراقي ... أما أصعب اللحظات التي عايشها القادة في الحرب هي لحظات فقد الأحبة وارتقائهم شهداء».(ص 12). أسماء العمليات هي بحد ذاتها ثقافة إيمانية جهادية: «الفتح المبين»، «والفجر 8 أو». و«كربلاء 1-4-5»، و«الحسين والعباس عليهما السلام»، و«الزهراء عليها السلام»، و«زينب عليها السلام»

وفي خطاب آخر له، (قبل انطلاق عمليات «طريق القدس» 1981) في كتيبتين من فرقة «41 ثارالله»، يقول الشهيد: «سلام الله على الأنبياء والأولياء والصديقين والشهداء، السلام على الولي ناصر المستضعفين، الإمام الخميني قدس سره، والسلام على جميع وجوهكم النورانية التي اختار الله من بينها عشاقه، وسرعان ما يتحقق وصال العاشق بالمعشوق. يقول الله عز وجل (في حديث قدسي): «من طلبني وجدني، ومن وجدني عرفني، ومن عرفني عشقني، ومن عشقني قتلته، ومن قتلته فأنا ديته». (ص 15) ويتابع بلغة العارف العاشق: «إنها لسعادة كبرى، الشهادة هي تلك الأمنية التي تخفق لها جميع القلوب .. إن سيماء الشهادة ولونها الممزوج بالمعنوية يتجلى على وجوهكم ويرى من بعيد. هذا شهر محرم (الشهر الذي استشهد فيه الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء مع ثلة من أهل بيته وأصحابه سنة 61 للهجرة) الذي يشحذ همم كل المستضعفين، وقد شخصت فيه العيون- عين الإمام وعيون

الشهداء الذين يروننا». (ص 15) هذه الكلمات الولائية العارفة المؤمنة بعمق المخلوق الإلهي بحجة الحديث القدسي الشريف والذي يراه ويعيشه. يقولها كتعلم وتعليم وتربية متعالية، لغة المنتصر في نفسه والشاهد في وجدانه وكلماته وبصيرته وتوجيهاته.

وفي حديث مؤثر وعاطفي ولائي يدل على تعلقه بإمام المستضعفين وقائد المجاهدين يقول الشهيد: «إخواني، أعزائي، أيها الشهداء! يا من تجلسون الآن وتسمعون كلامي! القائد (الإمام الخميني) قد حضر، إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف أيضا قد حضر». ويتابع رؤياه التي يحملها بيقين عال، حيث ينقل ما يلي: «حدثني قائد لواء عاشوراء خلال جلسة معه عن رؤيا كان قد رآها قبل عدة ليال، وطلب مني أن أنقلها إليكم، رأى نفسه في المنام في محضر الإمام وبجواره آية الله بهشتي وآية الله مشكيني وشهداء آخرون. فجأة، وإذا بنور يرد من الباب فجأة، فيقف الإمام ثم يلتفت إليهم ويخاطبهم: «أنا جاهز لهذا الهجوم». هذه بشارة لنا، إن هذا الهجوم سوف يحقق أكبر قدر من النتائج بأقل عدد من الشهداء. إخواني، إن دعاءه لنا بالخير سيواكبنا. قال لي أحد الأخوة: كنت أحرس بيت الإمام ليلا، فجأة رأيته يصعد أعلى السطح! ألتفت إلي وقال: أعطني سلاحك! الآن حان دوري! وأخذ السلاح من يدي. يقول الأخ: ابتعدت قليلا وجلست عند زاوية أرقب ماذا سيفعل. فرأيته يحمل السلاح على كتفه ويذهب ويجيء على السطح باكيا مناجيا ربه. لما أطرقت سمعي عرفت أنه يدعو للمجاهدين! أيها الأعزاء! دعاء الإمام القائد سيكون رفيق دربكم». (ص 16) هذا في الواقع وليس في المنام. ها هو قائد أعظم ثورة بعد ثورة الإمام الحسين عليه السلام، بقلبه ولسانه ودعائه وطاقته-الإمام العظيم كان في هذا الوقت قد ناهز الثمانين من العمر. توحد فيهم فذابوا به. تلك هي المعادلة الأخاذة. القائد يعيش حالة المجاهد، والمجاهد يفنى في القائد. علاقة بلا حجب، كما علاقة العارف العاشق بربه.! وكيف لا تنتصر الثورة وفيها هؤلاء القادة وهؤلاء المجاهدين؟

ويأتي المصداق الصافي النقي، الذي لا يأتيه ظنون، باستكمال خطبته: «ببركات قطرات دمائنا إن شاء الله نفرح قلب إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، وسنقول لإمامنا (الخميني): يا إمامنا يا قائدنا لو وهبنا الروح آلاف المرات لفديناك بها، يا إمامنا لن نتركك وحيدا كما ترك أهل الكوفة عليا وحده، وأنتم سترون كيف سينهار عدوكم ويفر أو يستسلم بفعل قوة إيمانكم لا بقوة

«الكلاشنكوف» والمدفع والدبابة وسلاح الهاون وسيندحر بهذه الصرخات المدوية الله أكبر. (صرخات التكبير من المجاهدين المستمعين)

ستحرزون هذا النصر الكبير إنشاء الله، وتواصلون هذه العمليات التي سميت بمخطط كربلاء، ليكون لدينا كربلاء 1و 2 و3 ..حتى نصل إلى كربلاء الإمام الحسين عليه السلام. يا (إمامي يا) حسين، لقد سميت هذه الكتيبة باسم «أبي الفضل». يا حسين نريد أن تقطع أيدينا تماما كيدي أبي الفضل في سبيل إمامنا الخميني قدس سره.

إلهي! إلهي! أقسم عليك بأرواح الشهداء، بجسد الحسين المقطع إربا، بالحسين سيد الشهداء، وبدماء المظلومين في كربلاء، وكربلاء الحزب الجمهوري الإسلامي في طهران، إلا أخذت من أعمارنا وزدت في عمر قائدنا (الإمام الخميني رض)»

هذا الخطاب ل»سيد شهداء محور المقاومة«، وهو من أوائل خطب الشهيد العظيم، يسبغ علينا نعمة فهمه من خلال تفسير كلماته الإلهية المقدسة التي تخرج من الروح، ومن التصور القبلي لمجريات العمليات العسكرية لموجهة العدوان الصدامي الظالم. هنا تكمن كل الحقائق القلبية والعقلية وصورها. قضايا نبض االروح وجعل الشهادة هدفا يقينيا إيمانيا، لأن فيها ما لا يتزعزع أو يهتز لان الغيب والشهود حاضر ومركّز بوعي وتوحد قلبي.

اسم العمليات: طريق القدس (الشريف)، هذه المكانة القدسية التي أطلقها الإمام الخميني قدس سره في يوم القدس العالمي-آخر جمعة من شهر رمضان المبارك- انسابت في عقول وقلوب المجاهدين وأضحت المقصد والغاية في أيام الجهاد الأصغر، والقدس المحتلة من الصهاينة تحولت إلى رمزا للتحرر والتحرير من المحتلين والمستكبرين، وكل المدن والأراضي الفلسطينية المغتصبة الأخرى لها مكانتها، ولكن من حيث انها محطة جوهرية من محطات الجهاد والغاية، هي القدس الشريف.

الراية: راية أبو الفضل العباس، قائد جيش الإمام الحسين في كربلاء سنة 61 للهجرة في مواجهة مغتصب خلافة المسلمين والفاسق يزيد بن معاوية. العباس عليه السلام رمز التضحية والفداء والإيثار والولاية، والذوبان في إمام زمانه الحسين. استشهد في هذه المعركة بعد أن قطعت يداه وأطفأت عيناه على يدي الظالمين.

القائد الأبدي المقدس: الإمام الحسين عليه السلام، رمز الأحرار في العالم، رمز الجهاد ضد الظلم، الإمام الثالث، بعد الإمام علي والإمام الحسن عليهما السلام، والذي قال في ثورته الإمام الخميني: «كل ما لدينا هو من بركات عاشوراء». وقال فيه رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم: «حسين مني وأنا من حسين». هذا التماهي المقدس بين أهم معركة مقدسة والرسالة الإلهية- الإسلامية السمحاء، بعد معارك الرسول الأكرم، والمعارك الزمنية اللاحقة، حتى تكون مقدسة، يجب أن تتماهي مع الشعارات المقدسة في حفظ الرسالة وكلمة الله تعالى. وهو ما شكل تاريخيا أهم معيار جهادي/استشهادي في مجتمع المؤمنين من المسلمين عموما وتحديدا عند الشيعة الإمامية.

القائد الإلهي، والممثل للأئمة عليهم السلام في الأرض: صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف الغائب بجسده والحاضر بروحه ونفسه وفي إيمان الشيعة، الممثَل بنائبه الإمام روح الله الموسوي الخميني قدس سره الذي يقدم الشهيد سليماني بين يديه دمه وحياته لحفظ البقاء الرسالي بصدق تام وتضحية تحاكي تضحية أبي الفضل العباس في كربلاء.

هذه الثقافية الجهادية لم تعد في الكتب أو في الخطابات أو في المواعظ، ولم تعد كما قال اليهود للنبي موسى: «اذهب أنت وربك قاتلا، إنا هاهنا قاعدون». في الميدان الإيراني لو لم تكن هذه الروحية والنفسية ممثلة في الواقع لما رأينا إيران الولاية والإسلام ها هنا اليوم. لأن حجم التآمر وحجم الأموال التي دفعت وحجم الأسلحة التي جربت على هذه الجبهة يفوق الخيال. الدمار والقتلى والاغتيال والتريليونات من البترو-دولار من أجل زعزعة استقرار إيران وإسقاط النظام فيها، كل ذلك باء بالفشل؟! لأن القناعة الشعبية في هذا النظام بلغت حدا لا يمكن زعزعته، ولأن عقلا ذكيا إلى مستوى العبقرية قاد هذا النظام وفداه بالمقل والدماء والمال والأهل. والأجمل، كما في كلام شهيدنا، أن الإيرانيين رأوا في ذلك فرصة، بل حلما تاريخيا للدفاع عن زمن في تاريخ مقدس: بشخصياته وأسمائه ومعاركه وأمكنته ودلالاته وكل رموزه. لكأن زمن كربلاء مكررا في كل معركة خاضها الإمام الخميني، ومن بعده الإمام الخامنئي لأنهما خلفاء الإمام الحسين، ولأنهما ميزان الحق والنجاة في الدنيا والآخرة. هذا هو كنه كلام قائد عظيم وشهيد إلهي، وهذا ما كان يلقى كل استحسان وتأييد من المجاهدين السامعين في ساحات الجهاد. هذه ثقافة متجذرة في المجتمع الإيراني والشيعي العام.

أركان هذه العقيدة مستقاة من القرآن الكريم والسنة النبوية وسيرة الأئمة عليهم السلام والفطرة الإنسانية. يلخصها الحاج الفريق قاسم سليماني (كلمة في المؤتمر العاشر لإحياء ذكرى شهداء محافظة كرمان في أيلول 2007)، بما يلي:

1. الجهاد، 2. الأخلاق، 3. المعنويات، 4. العبودية، 5. الولاية

الجهاد: «هناك اختلاف كبير بين الجهاد والحرب كعمل عسكري. للجهاد خصائص وبنية خاصة به، لهذا فإن جميع الأعمال التي كانت تنجز في الجبهة، حتى الأعمال العسكرية كانت مبنية على الجهاد. الجهاد هو الذي كان يحطم السدود. إن العمل العسكري يصل أحيانا إلى طريق مسدود، بخلاف الجهاد. ففي العمل العسكري لا يسمح العقل العسكري لنا أن نقوم بعمليات عسكرية مثل: «بيت المقدس» و «الفتح المبين» و«طريق القدس» «والفجر 8» و«كربلاء 5» وو ..فنحن كنا أمام عدو لا يوجد بيننا وبينه أي نوع من التكافؤ، وكانت إمكاناتنا مقارنة بإمكاناته بدائيةجدا». يقدم الشهيد سليماني مثالا على ذلك ويقول: «إن غواصينا كانوا ينزلون إلى المياه، يتحركون ويقتحمون الخطوط. فالغواص في العرف العسكري هو قوة خاصة تخضع للتعلم والتدريب بحسب الأنظمة التعليمية في العالم. ففي البداية ينبغي أن يصبح رياضيا، ثم يتدرب ليتأهل حتى يطلق عليه اسم الغواص، وبعد ذلك فإنه يتمرن لعشرات المرات على العمل الذي يريد أن ينجزه».

1.1 يقول إمام المتقين، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «إن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه». الجهاد ببعدية المتكاملين: الأصغر، جهاد الظالمين بكل الجوارح وتقنيات الحرب المادية الفيزيقية الدنيوية. هذا الجهاد العسكري الذي يسعى من خلاله المؤمن لصون ذاته وثقافته ودينه من الأخطار وأنواع العدوان التي تتطلب مهارات جسدية. مثل جهاد المحتلين والغزاة والمستكبرين والظالمين. فلسفة الشهيد سليماني أن هذا الجهاد، لكي ينتصر، لا بد له من حضور الروح، النفس المقدامة التي تقود كل ما للجسد ومهاراته المكتسبة، حتى اليد التي تحرك الأدوات، أو العين التي ترى أعداد الأعداء وعديده وأكثر من ذلك. هكذا يتكون شحذ الهمم ورفع المعنويات. القائد الشهيد عاش الجهادين وانتصر في الاختبار المزدوج، انتصر ونال الشهادة. في الميدانين كان الممتاز، الذي لم يوازيه فيه أحد

من أقرانه، في المستويات كافة. هو الجهاد الأكبر الذي أحسنه وتفضل فيه، هو جهاد النفس حيث اقترب من خاصة الخاصة والعرفان العميق، وهذا الذي هداه إلى أروع الملاحم بنورانية عالية وفضائل ملكوتية وانجازات جمة في الثقافة الإسلامية الجهادية. ذلك هو قاسم سليماني الذي سجدت له الملائكة.

الأخلاق: يعتبرها الشهيد الركن الثاني للجبهة. أخلاق أفراد الجماعة في علاقاتهم اليومية العملية في جبهات القتال. يقول الشهيد: «لقد حصل اجتماع بشري هائل لمدة ثلاثة آلاف يوم، أي أنه عبر ثلاثة آلاف يوم وليلة، كان هناك أشخاص متمايزون وبأعمار مختلفة وبمستويات متعددة ومن أماكن جغرافية متفاوتة. لقد اجتمعوا وتسلحوا معا وأرادوا أن يحاربوا ولم يحصل بينهم أدنى شجار أو إهانة أو كلام ناب أو انزعاج. لم يكن ذلك في أي نوع من الرتب العسكرية. لم يكن هناك شخص قائد، وشخص عقيد، وشخص عميد وشخص نقيب وأمثال ذلك... كان الأدب حاكما في الجبهات». يقول الرسول الأكرم ﷺ: «تخلقوا بأخلاق الله». وقال ﷺ: «أدبني ربي فأحسن تأديبي». يهذا التخلق النبوي/الإلهي خاض الشهيد ورفاقه حربا لمدة ثماني سنوات وكانوا يتسابقون إلى الشهادة، ليس إلى الرتب ولا إلى المواقع والمناصب والمغانم والجاه والسلطة. أدركوا جميعا أن هذه الحرب الظالمة شنت ليس من أجل قتل مجموعة أفراد أو تدمير منزل أو إحراق زرع، إنما شنت من أجل قتل الحلم الذي عاش مئات السنين وهو بناء دولة الإسلام، دولة النبوة، دولة الإمامة، دولة العدالة الإلهية. إذن، لا مجال للتدافع أو للتزاحم، أو قلة الاحترام وانخفاض الادب. الجبهة المشتركة بين مجموعة أفراد لا بد، لكي تنجح وتنتصر، أن تتحلى بالصفات التي تؤهلها لهذا الأمر مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾. وهم تمثلوا الآية الكريمة: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾.لم يتنازعوا ولم يفشلوا، هم أدوا الأمانة بأبهى وأنقى صورها. أثلجوا قلب صاحب الزمان (عج) والإمام الخميني والشعب الإيراني وكل المستضعفين. زهدهم في الدنيا جعلهم قادرين على السيطرة على الذات/الأنا المنفعلة سلبيا، وتحويلها إلى طاقة وقدرة في مواجهة الأعداء. رياضة الروح في تطويع الجسد، ومعرفة أينية وضع القوة والفعل. تجديد معرفة الجهادين.

المعنويات: الركن الثالث في الجبهة. يقول الشهيد: «في موسم الحج عندما يحرم

الحجاج ويذهبون إلى عرفه ومنى والمشعر ورمي الجمرات، فإن كل هذه أعمال معنوية والكل يكون مشغولا بذكر الله. لقد كان لجبهاتنا مثل هذه الأجواء. كان هناك حج حقيقي، مثل حج إبراهيم واسماعيل. لم يكن هناك مدح للذات والغرور والعجب والتكبر فيها ».من كان كله لله فكيف تكون معنوياته بديلة عن الروحية المتواضعة التي يملؤها الإيثار والتضحية ونكران الأنا الطاغية والمستكبرة. الحب بالله هو الحالة المعنوية التي عاشها إبراهيم عليه السلام، وكذلك حبيب الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم. المجاهدون في هذه الجبهات وعلى امتداد الحرب انتصروا بمعنويات إلهية ونبوية وكأنهم يعيشون حالة الحج المتواصل على مدى ثلاثة آلاف يوم.

الركن الرابع للحرب هو العبودية (لله تعالى): العبودية المحضة لله، العمل في سبيل الله، وغض النظر عما سوى الله. لقد كان هذا العامل مهما في الحرب، كما يعبر الشهيد سليماني. وفي الحديث القدسي: «عبدي أطعني تكن مثلي تقل للشيء كن فيكون». هذا النوع من العبودية التي آمن بها الشهيد فكان له ما أراد. السيد الكلي لهذا الوجود هو الله سبحانه: البارىء، الخالق، المكون، والذي إليه تتوق النفوس وتؤوب بشهادة مطلوبة، لأن الله سبحانه وتعالى يختار الشهداء من عباده. الجميع كان مدرك لهذه المهمة الإلهية. إذن، شهادة أن لا إله إلا الله هي قربى له من خلال الشهادة الاعظم وهي الاستشهاد في سبيله حقا وصدقا، كبديل اعتقادي لدنيا زائلة. والشهادة هي من الأسماء التي علمها الله تعالى لأبي البشر آدم عليه السلام. جزاء الشهادة هو أجر المخلصين في العبودية لله. والشهادة هي مكانة للشفاعة، والشهيد لا يشفع له، يشفع للآخرين. «والأرض يرثها عبادي الصالحين»، والعباد الصالحين يرثون السماء والأنفس الأرضية في الآخرة أيضا.

العامل والركن الخامس هو الولاية. يقول الشهيد سليماني: «كان أكثر من 90 بالمئة من المقاتلين ممن لم يروا الإمام عن قرب، لكنهم كانوا عاشقين له. لقد وضعوا أرواحهم على طبق الإخلاص من أجل بسمة الإمام وإزالة قلقه. ولم يكن هذا الأمر منحصرا بالإمام فحسب، بل لأنهم كانوا يعلمون أن قائدهم قد عين من قبل الإمام، فقد كانوا يطيعونه كالإمام، سواء كان قائد كتيبة أو سرية أو فرقة. لم يكن هناك أي نوع من التمرد، إنني لا أذكر ولو لمرة واحدة في أي ليلة من ليالي العمليات الصعبة أنَّه كان يأتي شخص أمامي أو أمام قائد

السرية أو المجموعة أو اللواء ويقف ويقول أنني لن أذهب إلى العمليات». (النصوص مقتبسة من ص.91-96 من كتاب: قاسم سليماني، ذكريات وخواطر، ط2، بيروت، منشورات المعارف، 2020)

كان القائد سليماني خلال هذه المواجهات مع الجيش العراقي، ولاحقا على جبهات متتالية ومتزامنة أحيانا، مثال القائد والجندي الذي تقرأ في سلوكه ضمير ووجدان الامام الخميني والشهداء: بهشتي وباهنر ورجائي والشيخ مطهري وغيرهم من شهداء الغدر الهادف إلى إضعاف الثورة. في مسيرته العسكرية كان مولع جدا بوضع الخطط واستشراف المستقبل الميداني والابداع في مناورة الاعداء، وفوق كل ذلك لم يشعر بالتعب ولا الملل وكان عاشقا للشهادة ذاهبا اليها في كل المواقع والساحات التي يرى انها تخدم مسيرة الثورة وتوطد مرتكزاتها،على الرغم من تقديرهللقوة الماديةللأعداء وكثرتهم. من هنا لم يكن يرعبه سقوط الشهداء من رفاقه في طريق الامام الحسين عليه السلام، اسوة بأصحاب الامام الحسين عليه السلام وسيرا في طريق الولي الفقيه الامام الخميني قدس سره. هو نفسه كان يتمنى لها العودة الأبدية راضية مرضية في كل لحظه. ولكن ساعة عودتها قضاء إلهي محكم حكيم.

الزهد والتصوف الجهادي: هذا الركن الفردي والشخصي الذي ربما يكون أحد الأركان النفسية التي تحلى بها شهيدنا العظيم. المعروف في الأدب الصوفي الإسلامي أن الشخصيات الزاهدة في الدنيا تتحول إلى الانعزال والتوحد بعيدا عن مخالطة المجتمع لما في ذلك من انفعالات نفسية يمكن أن تؤدي إلى معصية أو غضب إلهي. تصفية النفس من كدورات المادة والانخراط بها من طمع ومراكمة مادة أو ظلم. مع الشهيد تحول التصوف إلى الذوبان الفكري والأخلاقي العملي في قضايا الأمة. أي تحول النفس إلى «أن لا يمتلكها شيء مادي أو حتى معنوي تنافسي» إلى حالة من الذوبان حيث بلاء الأمة والمجتمع. في وضع الشهيد سليماني ابتعد عن الماديات والملذات والكماليات، والمناكفات السياسية على المواقع، وكيف له، وهو الذي قضى حياته في أرض المعركة، في الميدان. هو بحث عن الكمالات في التفكير الديني والعبادي والاستراتيجي والسياسي، ونأى بنفسه عن كماليات الاستهلاك المادي المؤقت. هذا هو الذي يطلب الشهادة، وهو أشار إلى ذلك. الصوفي، أو رؤية التصوف التاريخي: العبادة، العزلة، عدم الاختلاط مع الناس لإبعاد القيل والقال، أن لا يملك الإنسان ما يغره في الدنيا

ويغوص في محبتها ويصبح كارها للحق والموت. الحاج قاسم ذهب إلى تنقية النفس من خلال الذوبان في «الإمام الخميني كما ذاب هو في الله». وذاب في الثورة والجمهورية ومرشدها حتى يلقى الشهادة. التغيير إلى ما هو أفضل يتم من خلال العمل الدؤوب لتخليص الأمة من التهديدات والعقوبات والاحتلال والمحاولات الدائمة لإسقاط الدولة والدين. لذا هو صنع نهجا، أو مدرسة، أشار إليها سماحة السيد حسن نصرالله (حفظه الله) في مقابلته مع شبكة يو- نيوز الإيرانية. الإمام الخميني هو القدوة الأعلى، الجمهورية الإسلامية هي المجتمع الأعلى. أنظر في خطبه وأدعيته وصلواته ولقاءاته. الرياضات الروحية الصوفية والعرفانية تحولت إلى باب من أبواب حفظ الجمهورية الخمينية. وفلسفة الحرب والجهاد التي تحدث عنها هي في الغايات المحمودة والأهداف المشروعة في حفظ الذات والدين. التصوف هو الابتعاد عن الآخرين لحفظ الذات الذاتية في الآخرة المحمودة، تصوفه وزهده وعشقه إنما كان لأنه يحب الآخرين، والذهاب إلى الجبهة لأجلهم وبناء لتوجيهات ورؤية القائد الإمام والولي أولا، وثانيا لنيل الشهادة. الأصل هو الدفاع عن المقدسات، والمجتمع إحداها وأولاها، والآداب والأخلاقيات هو أن تكون في عقل الخالق، قدس الأقداس، وليس الفرع في المخلوق العاقل والمفكر، ما خلا الحب بالله، وهذا يعود إلى الأصل. الإنسان عبد الأول جل وعلا، أما الثاني هو إما آمرا أو مأمورا لاستكمال العبودية لله، وهذا واجب أتمه الشهيد لذوبانه في الإنسان الكامل والحقيقة الكاملة. هذه الصورة ليست بعيدة عن الحقيقة المحمدية، ولا عن أصحاب الإمام الحسين المعصوم عليه السلام. حتى في الدنيا ليست هذه الصورة بعيدة عن الفيلسوف اليوناني أفلاطون (ت.347 ق.م.؟) ولا إمام «آراء أهل المدينة الفاضلة» للفيلسوف الإسلامي أبي نصر الفارابي (ت. 950م). يقول المفكر والشاعر محمد إقبال اللاهوري-الأسطر الأخيرة من كتاب-«تجديد الفكر الديني»:

أنظر العون من شهود ثلاثة لتتحرى حقيقة مقامك:

أولـــهـــا عـــرفـــانـــك لـــذاتـــك

فـــانـــظـــر نـــفـــســـك فـــي نـــورك أنـــت

والـــثـــانـــي مـــعـــرفـــة ذات أخـــرى

فـــانـــظـــر نـــفـــســـك فـــي نـــور ســـواك

والثالث المعرفة الإلهية

فانظر نفسك في نور الله

فإذا كنت ثابت الروع في حضرة نوره

فاعتبر نفسك حيا باقيا مثله ..

هذا هو الشهيد قاسم سليماني (سيد شهداء محور المقاومة):

مثَل قوله تعالى: «آية النهار»، العارف «عدد السنين والحساب» في مركبات الحضارة الإنسانية/الإسلامية الراقية. روع من الشجاعة الإلهية الخمينية والخامنئية التي زرعت في أفئدة قادة عظام نموذج ممثل لهم الحاج قاسم سليماني.

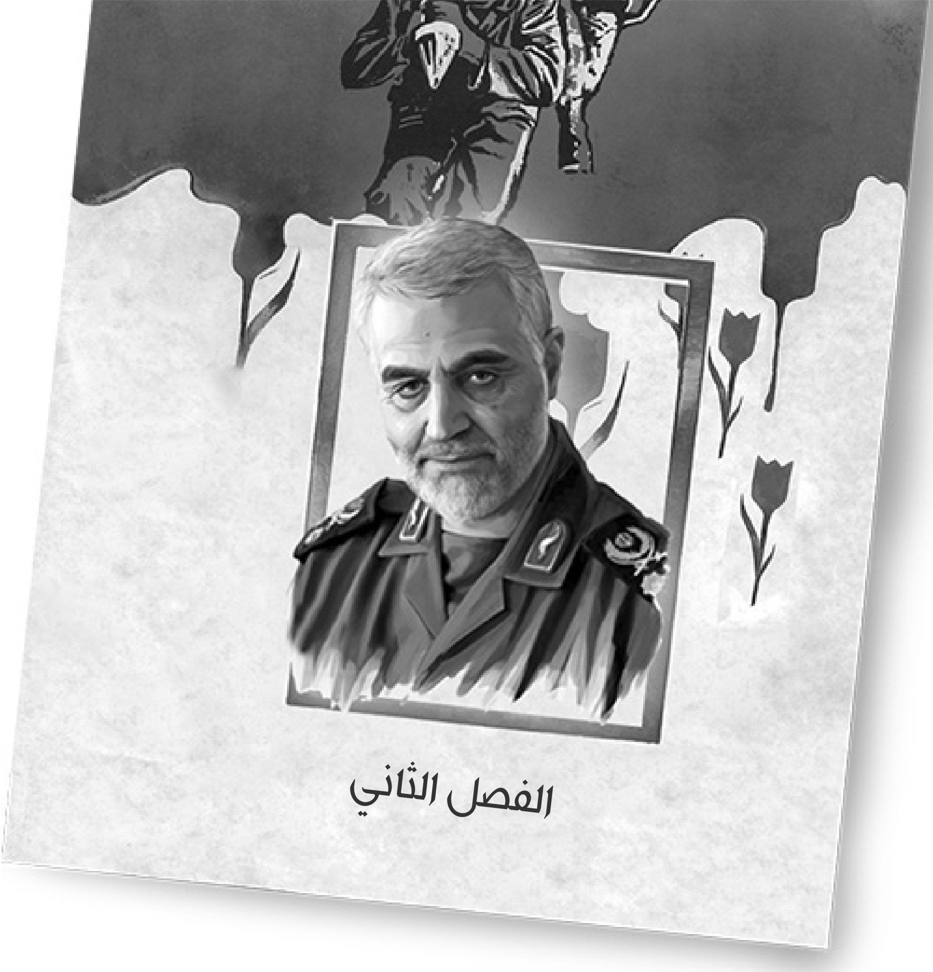

الجمهورية الإسلامية:
ظهور القوة الإقليمية العظمى

محور المقاومة: هندسة الزمن الإسلامي الجديد

انتصرت الدولة والثورة في إيران على المخطط الأمريكي الذي يهدف إلى تهشيم وتهميش إيران وفصلها، كقوة حق، عن عالمها ومحيطها الذي زرع بالباطل الغربي/الأمريكي (الكيان صهيوني مثلا).عجز الاستكبار، بكل مستوياته الناعمة والصلبة، ثقافيا وسياسيا وإعلاميا من تحقيق أهدافه الداخلية والخارجية. دماء الشهداء من المدنيين والعسكريين افتدت الوطن والثورة وحطمت مخططات الأعداء من النيل من المعنويات والمعاني ورسالة الثورة والدولة. الإمام الخميني نوه بهذه التضحيات المباركة: «ان الثورة رويت وترعرعت بدماء الشهداء».خرجت إيران من هذا العدوان أكثر وحدة وتصميما على متابعة الطريق الذي رسم معالمه الإمام الخميني وسهر على تنفيذه أصحابه العظماء. مؤسسات الدولة والثورة أصبحت أكثر قوة ومنعة وأشد تنظيما ومتانة. حرس الثورة الذي كان في المتاريس المتقدمة لمواجهة الغزو العراقي الصدَامي/الأمريكي عزز من قدراته وتنظيمه وتسلحه، وأضحى القوة المانعة لأي مخطط عدواني جديد. لا بل أتقن الحرس فن الحرب الدفاعية وصناعة هيكلة السلم، لمواجهة أوضاع داخلية مدنية أو طبيعية، طوفانات، زلازل، عصيان داخلي، إثارة فتن مدفوعة من الخارج كما حدث عام 2009..ألخ. هذه القوة الإسلامية الثورية التي صعدت أثناء الحرب المفروضة، بخبرتها وروحيتها الجهادية، تحولت إلى قوة داخلية وإقليمية تحمي إيران، وتساهم في رعاية، حماية ورفد،وتمكين قوى المقاومة في المنطقة من مواجهة التحديات المزمنة. «سيد شهداء محور المقاومة» كان من الوجوه البارزة المتقدمة والمتقدة في هذا الجهاز المؤسسي العظيم والطموح الذي أمر بإنشائه ووضع توجهاته ومهامه الإمام الخميني قدس سره.

على قدر أهل العزم تأتي العزائم. أوكل للحاج قاسم، كضابط مبرز وموهوب من قيادات

الحرس، عدد من المهمات الصعبة على الحدود الإيرانية مع أفغانستان في مواجهة طالبان والقاعدة، خاصة بعد ارتكابهما مجزرة بحق أهل الهزارة ومجموعة من الدبلوماسيين الإيرانيين الذين يتمتعون بالحصانة الدبلوماسية.كما تنكب القائد الشهيد مهمة وضع حد لحركات-مناطق انفصالية محاذية للحدود العراق-الإيرانية، وغيرها من المهام الحساسة على مساحة التحديات في القضايا الإقليمية. أبدى الحاج قاسم القدرة الكلية على تناول هذه التحديات والحوادث والتغلب عليها وإخمادها. تولى الحاج قاسم قيادة فيلق القدس في الحرس الثوري، سنة 1998. اعاد تشكيله وتدريبه وتنظيمه وتوزيعه بما ينسجم مع المهام الملقاة على عاتقه في المنطقة. هذه المؤسسة الانسانية والعسكرية شكلت الدرع الواقي للثورة وللمستضعفين في هذه المنطقة وفي العلاقة الصادقة والمتعاطفة مع قوى عالمية تقاوم الاحتلال الصهيوني والهيمنة الأميركية المتمادية. لبنان، جنوبه محتل من الصهاينة. فلسطين، ترزح تحت الاحتلال الصهيوني منذ عشرات السنين، والعالم يدعم العدو الصهيوني بكل ما أوتي من قوة مادية ومعنوية ويتآمر على الفلسطينيين واللبنانيين. الإمام الخميني قدس سره أهاب بجميع الشرفاء في العالم، قبل انتصار الثورة، لمساعدة الشعبين، خاصة الفلسطيني ومقاومته. كلمات الإمام هذه كانت قبلة ومناسك حرس الثورة وفيلق قدسها. تعمقت جاذبية العلاقة بين الحاج قاسم القائد وفصائل المقاومة في فلسطين ولبنان والعراق، خاصة بعد الاحتلال الأمريكي للأخير. اليمن، مع بدء العدوان الأمريكي-السعودي، انضم إلى صدارة المشهد الاستراتيجي في العقل السليماني الجامع. رسَخ سليماني معادلةالعلاقة مع قوى محور المقاومة: علاقة شرايين متصلة بقلب واحد لمصير وجودي واستراتيجي واحد.

سباق استراتيجي ميداني محموم كان يتمحور حول مصير ومستقبل هذه المنطقة بحدودها و«دولها» وهويتها وانتمائها وثقافتها واقتصاداتها وسياساتها. محوران اساسيان تشكلا في/وعلى أرجاء المنطقة. **الأول**، صهيو-أميريكي-غربي- وقبلي عربي عدواني يسعى إلى تجديد مخططات وسيناريوهات صهيو-أميركية لإعادة رسم حدود جديدة، تعيد تموضع القوى المهيمنة وأدواتها في فلسطين واليمن وسوريا والعراق ولبنان، وكل حدود منطقة غرب آسيا، ومن ضمنها وفي سياقها الأخير مؤامرة «صفقة القرن»، التي تتمحور حول إنهاء القضية الفلسطينية لمصلحة المحتل الصهيوني، في عهد إدارة ترامب الملتزمة العقيدة الصهيونية في فلسطين والمنطقة. هذه الخرائط التقسيمية الأمريكية الجديدة/ القديمة

هدفها المرحلي، وربما الاستراتيجي، تثبيت الهيمنة وامتصاص ثروات المنطقة دون عراقيل تذكر. أما الأهداف بعيدة المدى تتعلق باستدامة سيطرة العقل الثقافي/السياسي الغربي العميق، «القديم»، ورؤيته للآخر المختلف كعدو لسحقه وإخضاعه. أميركا بجبروتها وقوتها التكنولوجية ومخابراتها وشركاتها العابرة للقارات تخطط، دائما، لمحق أي قوة تعارضها أو تقاومها أو تقف ممانعة لهيمنتها. **الثاني**، العقل الإسلامي الخميني-الخامنئي-السليماني-النصر الالهي الثائر المقاوم-على مدى أربعة عقود-والذي قدم بديلا ذاتيا/جماعيا وحضاريا عالميا عن فلسفات وسياسات الهيمنة الغربية/الأميركية في الدين، الثقافة، والسياسة والاجتماع. إذن، أميركا تحاول بأقصى وأقسى قوتها وقف هذا العقل وتعطيل مدى فعله، حركته وإرادته،كي لا يؤسس نموذجا لشعوب المنطقة، والعالم، في الاجتماع والثورة والدولة والمقاومة. الجنرال سليماني شكل مفتاحا ورمزا ميدانيا وذخرا استراتيجيا لبيوتات ومجموعات وبيئات محور المقاومة كافة.

منطلقات السيطرة والهيمنة الأمريكية

«معاهدة وستفاليا»، التي أبرمت سنة 1648 بين ما سمي بعد ذلك «دول الغرب»، وملاحقها، تشكل، بحسب هنري كيسنجر، بنتائجها وتداعياتها الأوروبية والعالمية قاعدة الانطلاق في التعامل مع الآخر، الديني والثقافي/السياسي تحديدا. {انظر الفصل التالي}. برأيه، وستفاليا أرست صورة الدولة والسياسة في الغرب، والتي يجب أن تسود العالم، لأنها أفضل صورة لما يجب أن يكون عليه هيكل نظام العالم.تلك المعاهدة خطت بداية زمن لثقافة سياسية جديدة في الغرب تزيح الدين جانبا عن نظام الحياة الاجتماعية والسياسية وتتركه فرديا محضا. وهذا يثير تساؤلا فلسفيا وسوسيولوجيا حول الدين ومحمولاته الثقافية والاجتماعية، وحول مقاصده واهميته الجمعية. فلسفة هذه الصورة للدولة أفرغتها من دلالاتها الرمزية في الثقافة والقيم الإنسانية العالمية وقزَمتها في الحدود الفردية والعائلية المصلحية المباشرة. هذه فلسفة مكيافيلي في الإمارة والدولة. (راجع، نيقولاي مكيافيلي، كتاب «الأمير») الثورة الإصلاحية التي قام بها مارتن لوثر لإصلاح الكنيسة الكاثوليكية في بدايات القرن السادس عشر مهدت الطريق لحروب دينية طاحنة -استمرت ما يقارب القرن-أدت إلى تبني قواعد فلسفة توماس هوبز الناشئة آنئذ في الدولة الوستفالية. (Thomas

(Hobbes, Leviathan, 1651) الدولة الأوروبية الجديدة رتبت مقاييس وقيم جديدة فاصلة الدولة عن المجتمع، مانحة مؤسسات قوة الدولة شرعية الحكم بحسب ما تقتضيه مصالح الطبقة أو العائلة أو الفرد الحاكم. في نتائجها السياسية والثقافية، أبعدت وستفاليا الدين وقيمه الإلهية والسماوية، وكذلك المجتمع، وأعطت السلطات المطلقة للحكام حتى وإن تم انتخابهم من المجتمع (مسألة الانتخابات أتت لاحقا)، فلا سلطة له عليهم ولا قدرة على المحاسبة. وإن سقطوا، أو استبدلوا، إنما يتم ذلك من داخل الطبقة أو السلطة ذاتها، ليس لتحقيق مطالب الناس إنما لأخذ دور جديد للتحكم بهم والعبث بعواطفهم ومطالبهم وحقوقهم. عهد جديد من العبودية بلباس أكثر أناقة وترتيب، ربما يسر الناظرين، وإن كانت نتائجه تكسر قلوبهم ومستوى معيشتهم. سلطوية البروتستانتية الوستفالية الجديدة نسخت سلطة الإكليروس وعبَدت الطريق أمام أخلاق عملية لدولة الرأسمالية الحديثة المعبرة عن فلسفة المنفعة والتي تعيد الصراع ما بين الناس من «حرب الكل ضد الكل»، إلى صراع ثقافة الطبقات والأمم الأوروبية، بما فيها أيضا الصراع بين الأمم والثقافات العالمية. الصراع في العالم اليوم، بهذا المضمون والمفهوم، يدور حول القيم والأخلاق والدين والفلسفة النقيضة التي تتجلى بالمادية الرأسمالية النفعية المتحللة من القيم والاخلاق العمومية والدين وحتى مفهوم «الإنسانية». الإمبريالية التي هي ذروة الرأسمالية المعولمة بطبيعتها والمغرقة بالربح المادي والاستئثار بالثروة العالمية هي معادية للإنسان الحر واستقلال الدول وسيادتها.

إسلاميا وفي ذروة الخلاف الفقهي والكلامي والسياسي بين الفرق، وحتى في تفسير بعض الآيات القرآنية والعقائد، لم يطرح أحد تخلي الدولة عن الدين (اللَهم سوى الكاتب المصري علي عبد الرازق في بدايات القرن العشرين في كتابه «الحكم والإدارة ..»، بتأثير من الفكر الغربي وتردي وفساد وتخلف السلطنة العثمانية، والذي لم يتنكر للدين وإنما رأى إمكانية فصل الدين عن الدولة. وقد رد الأزهر على هذه الادعاءات بقوة). هذا الموضوع لم يتحول تيارا ولا أصبح ثقافة فيما بين النخب الإسلامية.تاريخيا، الدين والسياسة في إيران متصالحان متعالقان متكاملان، على عكس ما تمليه أو تذهب إليه معاهدة وستفاليا والدول التي تحملها ذريعة مزيفة ومتهافتة وتعمل بعكسها من حيث شن الحروب على شعوب ودول وثقافات أخرى ما عرفت ولا فكرت أن هناك دينا جديدا في السياسة اسمه «وستفاليا». خاصة وأن ثقافات الشعوب تتباين وتختلف حول مدى ومستوى ونوع الدين

-أهو إلهي أم إنساني - في الاجتماع والسياسة. هذا ما توصلت إليه الدراسات الأنثروبولوجية العالمية، وخاصة مؤسسو هذه الأبحاث السوسيو-انثروبولوجية من الغربيين في القرنين التاسع عشر والعشرين. إن الحرب التي تشن على إيران الإسلامية -على ثقافة شعبها ودولته بما تحمله ثورتها من مبادئ وسياسات وثقافة تتعلق بالأمة الإسلامية وقضاياها ومصالحها العادلة والمحقة - هدفها الأساسي هو إسقاط هذا النموذج الفكري الديني الإنساني، وعزل المنطقة العربية، شعوبها وقواها الحية المقاومة، ثقافيا وروحيا عن إيران الإسلام -الثورة والدولة- لما في تقاربهما من قوة تطيح بكل ما يخطط له المستكبر الأمريكي وأدواته المزروعة في كل اتجاه وعند كل مفترق. أميركا -معلنة عداوة الشعوب - تحمل اوراق المذهبية والقومية والاقتصادية/الطبقية والتكنولوجية والإعلامية وتضغط بها على العرب خاصة - والعالم عامة، وتلقنهم ما يجب أن يعتقدوا حول الجمهورية الإسلامية ودورها في المنطقة، حتى حول ما يجب أن يظنوا بأنفسهم في هذا العالم.

منذ ما قبل سايكس-بيكو ووعد بلفور وتفتيت المنطقة، واغتصاب فلسطين، سلمت أغلب القوى العربية الناشئة أمرها للغرب وسليلته الولايات المتحدةالأميركية،ك «قوى قاهرة لا تقاوم». نجحت هذه القوى الغربية في تدجين وتفريغ العقل العربي من أي ثقافة سياسية تحررية وحدوية. فقدت هذه «القبائل» العربية السياسية المرجعية العقائدية لحركتها في الدولة والاجتماع والاقتصاد، بعد أن تخلت عن ثقافتها الجهادية والاجتهادية لمواكبة الزمن المعاصرومواجهة التحديات الكبرى والتغيرات العميقة. أصبح عدوها الحقيقي مرجعيتها ومدَعي حماية وجودها: الولايات المتحدة والغرب والكيان الغاصب لأرض فلسطين!. ذلك أودى بالعقل العربي إلى الوقوع في هاوية «عقدة أو متوالية ستوكهولم»، أي عندما يتحول الأسير أو الرهينة إلى طاعة ألآسر أو الخاطف بشكل تلقائي طوعي لا حول له ولا قوة. وإلا كيف يمكن تفسير موافقة غالبية القوى العربية الناشئة على اتفاقية «سايكس-بيكو» و«وعد بلفور»، والآن بعد قرن تراهم ينصاعون، لا بل يروجون ل«صفقة ترامب-نتنياهو» فيما يخص قضية-محنة الشعب العربي الفلسطيني. وصولا حتى إلى دفع الأموال المترتبة على هذه الصفقة، والشراكة في التآمر على إيران ومحور المقاومة.! هذا، ناهيك عن دفع مئات المليارات للولايات المتحدة «ضريبة بقاء» هذه الأنظمة التي عفا عليها الزمن. هذه المليارات التي دفعت ثمن تسلح، قواعد حماية، تدريب، ألخ. ترامب، الرئيس الأميركي

الحالي (منذ -2016 ..) لا يخفي ذلك. بين الفينة والفينة يذكر الحكام العرب أنه لولا وجود أميركا لما مكثوا في الحكم اسبوعا؟ وأكثر من ذلك، يتحدث بكل استهزاء عن المملكة السعودية على أنها «البقرة الحلوب». حق قول الشاعر: «ما لجرح في ميت إيلام».

إذن، منذ ما يقارب القرنين من الزمن تحرك الغرب، وبعده الولايات المتحدة، أمام مساحة مفتوحة من الخيارات لاستعباد شعوب المنطقة في شتى المجالات. لقد استعملوا كل الصور العقلية والميدانية الممكنة لضبط وتسيير حركة وفعل وتفكير القوى العربية على الصعد كافة. بعد تقسيم البلاد العربية جغرافيا وسياسيا، أصبحت الإمرة والقيادة بيد حكام الغرب وأميركا. القوى الشعبية الحية وضعت أمام خيارين: إما السلة أو الذلة، إما المقاومة والحرية أو الخضوع والتبعيةوالاستعباد. أغلب الأنظمة العربية المستحدثة سلمت رقبتها وجمجمتها للغرب وتماهت مع ما يدبره للمنطقة وشعوبها ويشكلها بحسب مصالحه التي لا تعرف حدودا.

محور المقاومة، بقيادة الجمهورية الإسلامية، متسلحا بعقل وفكر وصلابة الإمام الخميني، ومنذ تسعينيات القرن العشرين، دأب على تنظيم وترتيب الأولويات وتجهيز إمكانيات المواجهة العقدية النفسية والسياسية والميدانية الحتمية والضرورية للمعركة، للحرب الدفاعية المشروعة. مجموعات شعبية عربية تمتلك روح المقاومة استجابت لخطاب الثورة وتبنت الشعارات والأهداف وانخرطت فعليا في معركة تحررية ومصيرية واحدة. التكافل والتعاضد والتوحد بين قوى المقاومة للمشاريع المعادية، آنفة الذكر، كان من العوامل المؤسسة للنجاحات والانتصارات اللاحقة التي أشرف على متابعتها عدة وعددا وساحات قتال الفريق الشهيد سليماني. إن ارتباط هذه الساحات الميدانية وتأثيراتها على إعادة تشكيل الثقافة السياسية/الاجتماعية، وحتى الفقهية الدينية، لدول وشعوب وحركات محور المقاومة هو ما أفقد العقل التاريخيالصهيو-أميريكي، الحاضر بشتى الألبسة، صوابه وجعله يكسر الكثير من الخطوط الحمراء.

على الطرف الآخر، وزع الأميركي الأدوار على أدواته-دول وستفاليا، أو بالأحرى دول تابعة لأميركا- في محاولة لإضعاف بعض مناطق القوة والإسنادفي محور المقاومة. العقوبات والحصار يشتد على الجمهورية الإسلامية. وبحسب نتنياهو، رئيس وزراء الكيان الصهيوني،

«عقوبات مكبلة أو شالة»، كما تذكر ذلك أيضا هيلاري كلينتون في كتابها «خيارات صعبة». حرب «كسر عظم» على المقاومة الإسلامية في لبنان، تموز/آب عام 2006 ، كقوة نموذجية لهذا المحور. حروب على غزة، وحصار شديد ظالم، منذ ما قبل 2008، وحرب مدمرة أعوام 2008 و 2012 و2014، في محاولة لصعق القوى الفلسطينية المقاومة الباقية خارج التأثير الرسمي العربي/الامريكي.

الشهيد سليماني وتبديد الحلم الأمريكي في المنطقة

اليمن الجديد المقاوم الذي برز بعد «الربيع العربي»- بعد سقوط نظام علي عبدالله صالح الذي كان يرتع بحماية، ويعيش في كنف النظام السعودي/الأميركي- كقوة فاعلة في محور المقاومة وفي أهم موقع جيو-استراتيجي عالمي. حدود اليمن الجديد شبه الجزيرة العربية التي يحكم أرضها وشعبها أهم حليف/اداة تاريخي لأعتى قوة عالمية هي الولايات المتحدة. القوى اليمنية المتحررة من الهيمنة الأمريكية السعودية أعلنت انحيازها لقضايا الأمة العادلة، القضية الفلسطينية في المقدمة. أضحى اليمن ركنا أساسيا من أركان محور المقاومة في غضون سنوات قليلة، وما كان الشعب اليمني وقواه الحية يوما نائيا بنفسه عن هذا المحور منذ نشأته. هذا المتغير المرتبط والمستجد في اليمن أغضب الغرب وأميركا ومن يدور في سياساتهم العميقة. بدأ عدوان وحشي آثم لتحالف أملاه الرضا والمصلحة الأميركية والحقد السعودي الدفين على شعب اليمن الحر. هذا العدوان الأميركي السعودي/العربي على القوى اليمنية المتحالفة: جيش ولجان شعبية وأنصار الله وقوى فاعلة في الشمال والجنوب، رفضت أن يكون اليمن «حديقة خلفية للسعودية»، أو تحت الوصاية الأمريكية. العدوان الذي أراد له حكام السعودية أن ينتهي بأسبوعين لا زال مستمرا منذ آذار 2015 حتى اليوم. رغم ضراوة العدوان وهمجيته تصاعدت إمكانيات القوى المدافعة عن اليمن وشعبه ما أدى إلى إرباك فاضح في خطط قوات التحالف الأميركي السعودي.

بدأت المقاومة اليمنية توقع خسائر فادحة بقوات العدوان السعودي على الحدود، وتطال عمق الداخل السعودي. طائراتهم ودباباتهم بددها ودمرها اللجان والجيش وأنصار الله. «عملية الفتح المبين» والتي تم أسر أكثر من ثلاثة آلاف معتد، بين سعودي وسوداني وغيرهم، قلبت موازين القوى لصالح قوى المقاومة. قصف عاصمة السعودية، وتحديدا وزارة

الدفاع السعودية في مدينة الرياض كانت في غاية التأثير على معنويات تحالف العدوان. أقصى الضربات كانت على حقول نفط بقيق وجيزان، لشركة النفط السعودية، آرامكو، ما عطل حركة استخراج السلعة السعودية الوحيدة التي تقتات عليها وتهدد بها اقتصادات دول لها هيبتها وقوتها التاريخية وتأثيرها الكبير في السياسات العالمية الراهنة مثل إيران وروسيا. مع كل هذا، تستمر العائلة السعودية في التسلط على شعبها والطاعة العمياء للإملاءات الأميركية، حيث أموال النفط تسخَر في خدمة الهيمنة الأميركية الظالمة، وآخرهم الأكثر تنمرا على آل سعود، إدارة دونالد ترامب، ومن سبقه في الإدارات الأميركية، وإن بشكل أقل فظاظة. لقد أسقط المقاومون اليمنيون أيضا طائرات مسيرة، وتصدوا لعشرات الهجمات البرية المعادية. الآن هذه المقاومة تمتلك آلاف الصواريخ التي تطال العمق السعودي ويمكنها شل حركتها الداخلية واقتصادها المنهوب والمترنح. قوى المقاومة بعد خمس سنوات من العدوان بدأت مرحلة استعادة الذات والأراضي التي احتلها مرتزقة العدوان وأدواته. قوات ما يسمى «الشرعية»برئاسة عبد ربه منصور هادي أصبحت عديمة الجدوى والتأثير، ولو لم تكن قوات الإمارات العربية والسعودية موجودة على الأرض لما كانت لتصمد ساعة واحدة. أضف إلى ذلك، لولا الدعم الأميركي المتواصل بالخبراء والطائرات وصواريخ الباتريوت لكان الجيش السعودي أوقع نفسه في فخ كبير سيودي به إلى حتفه. على الرغم من تصنع القوة والمال، لم تستطع السعودية أن تتفق مع شريكتها الإمارات العربية على تقاسم النفوذ، ولا حتى إرساء توافق بين القوى التابعة لهما داخل مناطق الجنوب. والآن، بعد مرور خمس سنوات على العدوان، قوات المقاومة الداخلية تحرر الضالع والجوف وقريبا كل مأرب، وهم على مشارفها. خمسة آلاف عملية وأربعة آلاف غارة جوية سعودية، وحصار وتجويع وأمراض ومحاولة إعدام الحياة في صنعاء وحولها، كل ذلك لم يفت من عضد قوى المقاومة. قيادة السيد عبد الملك الحوثي الذي لا يلين ولا يرهبه التهديد، وإمكانيات واستراتيجيات «سيد شهداء محور المقاومة»، شيدا ماديا ومعنويا عقلا يمنيا جديدا وانتصارات لا تضاهى على أعداء اليمن التاريخيين. يقول السيد الحوثي (26 آذار، 2020): «الشعب اليمني قادم في العام السادس، متوكلين على الله، بمفاجآت لم تكن بحسبان تحالف العدوان، بقدرات عسكرية متطورة وانتصارات عظيمة». وتابع السيد الحوثي: «التصنيع العسكري اليمني بات اليوم ينتج كل أنواع الأسلحة من الكلاشنكوف حتى الصواريخ الباليستية والطائرات المسيرة

في ظل حصار خانق ووضع اقتصادي صعب. ..القدرات والعمليات العسكرية أخذت مسارا تصاعديا تكللت بإنجازات ميدانية كبيرة ونتائج مهمة. بدأت معظم هذه المسارات من نقطة الصفر إلى مربع الانتصارات وتثبيت معادلات وفرض توازن ردع». ووصف السيد الحوثي العدوان الذي يشن على اليمن بأنه: «أعنف حرب على وجه المعمورة وأشرس عدوان على وجه الدنيا». وعلى الرغم من تحذيرات المنظمات الإنسانية الدولية حول أخطار استمرار الحرب على اليمن، إلا أن العقل السياسي الغربي، والعربي المعادي لاستقلال اليمن وحرية شعبه، يوغل في تماديه بالظلم ومصادرته لحقوق الشعوب بالحياة والاستقلال. وتستمر الولايات المتحدة والدول الغربية بمساندة الظالم المعتدي وتزويده بكافة أنواع الأسلحة المتطورة والمستشارين العسكريين، في حين يحاولون منع الشعب اليمني من حقه الطبيعي في المقاومة، أو إقامة أي علاقة مع قوى المقاومة في المنطقة. لعل عقم العقل التاريخي الغربي وإمعانه في امتهان حقوق وكرامات وثقافة الشعوب أودى به إلى هذه القواعد السياسية والعسكرية الإجرامية ونظرة هزيلة إلى مصائر الشعوب.

السفير البريطاني لدى اليمن، مايكل آرون، يتحدث لصحيفة «الشرق الأوسط» السعودية بالقول ان بلاده «ترى أن دور إيران في اليمن غير مناسب، يلعبون دورا سلبيا ويزودون الحوثيين بالأسلحة ما يطيل أمد النزاع .. نود أن نرى نهاية الدعم العسكري الإيراني للحوثيين، لتسهيل إنهاء النزاع». (الشرق الأوسط، 2019/11/1). في نفس المقابلة السفير البريطاني آرون يحث الحوثيين على تحسين العلاقة مع «جارة اليمن السعودية» (!) بديهية التزوير تحاول خنق الحقائق البديهية. كأن إيران أو قوى المقاومة هي التي بدأت النزاع في اليمن.! أو كأن الشعب اليمني يتعرض لعدوان وتجويع وقتل من كوكب آخر. ربما يكون براين هوك، المبعوث الأميركي الخاص بإيران، أكثر إفصاحا عما يفكر فيه الغرب بنسخته الأميركية. فقد حذر هوك من استنساخ تجربة حزب الله في اليمن عبر أنصار الله .. وإذا حدث ذلك فإن «الهلال الشيعي الإيراني سيصبح قمرا كاملا». يضيف هوك، إذا فشلت الولايات المتحدة في معالجة استراتيجية إيران في اليمن، فسنواجه مخاطر أكبر في المستقبل، بما في ذلك لبننة محتملة للبلاد. (جريدة الأخبار اللبنانية، 2019/9/30) هكذا إذن. إن عدم قدرة السعودية على تطويع الشعب اليمني ليعود إلى كنف الهيمنة الأميركية موازيا ومساويا لعدم قدرة الكيان الصهيوني الغاصب لفلسطين على تطويع الشعب اللبناني ومقاومته المظفرة.

بوضوح، الولايات المتحدة وأدواتها قلقون من تمدد محيط قوى محور المقاومة الذي سينتج عنه تغييرا ثوريا يطيح بوجود هؤلاء المعتدين جميعا.

قتلوا الأطفال والنساء والشيوخ. دمروا المدارس والجوامع والمستشفيات وحرقوا ما استطاعوا من شجر وبشر، وصمد اليمن بقوة وعناد.وفي الذكرى الخامسة للعدوان قال السيد عبد الملك الحوثي أنه مستعد لمبادلة أسرى عسكريين سعوديين، طيار وضباط وجنود، لدى قوات أنصار الله، بمحتجزين فلسطينيين في السجون السعودية ينتمون لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) في فلسطين. هذه هي أخلاق وقيم وشعارات المقاومة اليمنية، وتلك هي توجهات وسياسات قوات العدوان السعودي. النظام السعودي ما كان يوما مساندا للشعب الفلسطيني ولا لمقاومته، ولا كان معاديا للكيان الصهيوني أو مناقضا لوجوده.!؟

هذا زرع «سيد شهداء محور المقاومة»، ودماء آلاف الشهداء من اليمن إلى لبنان وفلسطين وسوريا والعراق، أثمر شعورا جمعيا عميقا وحقق أهدافا استراتيجية وتاريخية وثقافية ستكون مرتكزات لنظام حضاري إسلامي جديد،يتشارك فيه العربي والإيراني وكل الأقوام والشعوب الحرة.

كان كل شيء يسيرضمن الإثارة المؤقتة، ولكن بخطوات متكررة ومستدامة في البناء الاستراتيجي. التوازن بدأ يميل لصالح محور المقاومة. الخطط كانت تنفذ بتؤدة لافتة وتواضع جم، بدون ضجيج ولا إشهار ولا زهو ولا عتو. كل الساحات كانت ملك بصره، «بصرك اليوم حديد». كان يفل كل الحديد الاستكباري. كان الأمريكي يخسر عند كل لحظة وفي كل ساحة وطأتها قدما الجندي الثائر. كان يعبث بخططهم وأفكارهم وأحلامهم وحطمها عند كل دعاء فجر أو صلاة ليل. قاسم سليماني كان يكمل حلم الأنبياء والصالحين الذين مثَلهم الإمام الخميني قدس سره في ثورته التي أضحت «ثقلٌ» ثالثا جديدا، إلى جانب الثقلين -الكتاب: القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة والأئمة الأطهار عليهم السلام، حيث نهل سيد شهداء محور المقاومة وتربى على تعاليمها النابضة بالحياة الكريمة. كل التصورات والوقائع أحالها قواعد تفكير ورؤى متجددة ومبتكرة في المكان والزمان والإنسان. حتى قال سماحة السيد حسن نصرالله: «اليوم يئس الكافرون». إيران وبلاد ما بين النهرين ولبنان وفلسطين واليمن وسوريا بدأوا يخرجون من فعل وتقرير وتفصيل غربي/أمريكي منذ معاهدة سايكس-بيكو عام

1916 وما سبقها. بدأت معالم خارطة سوسيو-سياسية جديدة تظهر في المنطقة. أحلام قادة الحروب الصليبية ونابليون بونابرت وتشرشل وبلفور البريطانيين وولسون وبوش الأب والابن الأمريكيين وكليمنصو الفرنسي، كلهابدأت تدفن عند محط أقدام الجندي الخميني سليماني. كما أحلام غورو واللنبي ولورنس «العرب» والصهاينة في «إسرائيل الكبرى والعظمى» التي انتهت إلى لا رجعة. وعد بلفور، البريطاني الحبر والهوية، والأمريكي الأوكسيجين والمديَة، الذي خط سنة 1917، بدأت حروفه تصدأ وتتهاوى كبيت العنكبوت.

كانت خطط القائد سليماني الاستراتيجية في هذه البلاد تسارع الخطى حتى بدا بوضوح وجدارة أنه يقلب ويطوي صفحة قرن وأكثر من تاريخ الهيمنة الغربية الأمريكية. شعر راعي ووريث كل سوءات الغرب ومؤامراتهم في استتباع واقتسام واستضعاف المنطقة، الولايات المتحدة الأميركية، أن الموقف بدأ يفلت من يدها.في العراق كان المشروع الأمريكي يفقد معاقله وركائزه. في شمال العراق حيث حلفاء لأميركا بدأ شملهم السياسي يتبدد بوجود مكتب للحاج قاسم في السليمانية وأربيل. الطالباني (قبل وفاته)، حزبه وجماعته أصبحوا أقرب إليه من أمريكا التي استخدمتهم ضد صدام أولا ثم معها ضد إيران. سليماني كان أول من هب لنجدتهم في مواجهة داعش صنيعة الأمريكي وأتباعه. هم، صغارا وكبارا، اعترفوا بذلك من البرزاني رئيس الإقليم إلى أصغر مجند في البشميركة. إلى جنوب العراق حيث المراجع العظام وقوى المقاومة من فيالق ومجموعات أضحت ترى في الأمريكي قوة احتلال يجب مقاومتها وطردها، ووضع اليد المخلصة والدافئة بيد الجندي الوفي للتاريخ المظلوم والثقافة الإنسانية والولاية الإلهية. لا كوفة تنقض العهد وتنكث بالوعد بعد اليوم. إلى الوسط حيث حرره القاسم السليماني من داعش وأنقذ أهله من المجازر. وكان في تكريت والأنبار يقف بجسده وعقله يدافع عن العراقيين جميعا. هو القائل:«أنا السني أتبع سنة النبي الأكرم ﷺ وأنتم شيعة لأنكم تحبون أهل البيت عليهم السلام». آن الأوان للتوحد في مواجهة الأعداء، أليست هذه دعوة الإمام الخميني. إذن لا يجب أن يتجدد إبهام أو خلاف، والتاريخ الجديد يجب أن يصنعه ويكتبه التوحيديون المقاومون. وهو العرفاني الذي ذاب بحب أهل البيت والإمام الخميني عليهم السلام جميعا، مدركا لأهمية الوحدة في مواجهة الأعداء.

على صعيد الدولة العراقية كان الحاج قاسم مفكرها ومفند مشاكلها ومقدما الحلول

لأكثر القضايا الاستراتيجية، بخاصة الوطنية المستقلة، عكس المحتل والناهب والمهيمن الأمريكي. وأتى تشكيل الحشد الشعبي كقوة عراقية يجتمع في كتائبه السني والشيعي، وبدعوة وفتوى من أكبر مرجع في العراق السيد السيستاني دام ظله. وما كان على الدولة الا الاستجابة لشرعية هذه القوة العراقية ومشروعيتها الدينية والسياسية والعسكرية. التي لولا جهود الحاج قاسم والشهيد الكبير أبو مهدي المهندس ما كانت لترى النور وتصبح قوة يمكن الوثوق بها والاعتماد عليها في مواجهة الإرهاب والاحتلال. لكل هذا رأى الأمريكي أنه يسعى لكسر قائد لا يحيد عن فكر الإمام والثورة والمقاومة المستمرة والدؤوبة لتحقيق الأهداف. ضاق به ذرعا. وضعه على لائحة الإرهاب في عهد أوباما. لكنهم، كما الصهاينة، لم يجرأوا، ولم يقدروا على النيل منه أو من معنوياته، أو من وضع حد لتقدمه على الجبهات كافة. كلما أضرموا نارا كان سليماني جاهزا لإطفائها وتحويلها إلى نصر مبين. وهكذا غدا المحتل مطوقا. قواته التي أحضرها من آخر الدنيا، ليرعب الجمهورية الإسلامية ويقيد حركتها في المنطقة، وقعت في شرك المقاومين الأشداء على المحتلين.

أما في سوريا فقد فتت القائد سليماني كل أحلام الأمريكي ومنتجاته كداعش ودول أخرى، عربية وإقليمية وغربية. قضى عليها بالترتيب: الجيش الحر، داعش، ألوية «أحرار الشام» ومعظم النصرة، المدعومة تركيا. دفعوا مئات المليارات باعتراف حمد بن جاسم، رئيس وزراء قطر الأسبق، ومشارك رئيسي في التمويل والإعلام ضد الدولة السورية المقاومة والممانعة. أحضروا لإسقاط سوريا المقاومة كل شذاذ الآفاق من كل أنحاء العالم وفتحوا لهم كل الحدود مع سوريا. جمعوا أكثر من 300 ألف إرهابي، من أوروبا وآسيا وأميركا والخليج والشيشان وتركمانستان وأفغانستان، من طالبان إلى القاعدة، إلى ما سمي داعش والنصرة وجيوش تتغير أسماؤها حسب الطلب ألأميركي أو التركي. سهلوا لهم كل طرق العبور من حدود سوريا كافة، خاصة تركيا والأردن. أصبحوا كالجراد في سوريا، في صحرائها ومدنها وقراها وشوارعها الداخلية والدولية. دمروا الآثار وعبثوا بكل غال ونفيس، من حلب إلى تدمر ومعرة النعمان ..، وأكثر هياكل المصانع والمؤسسات المدنية والعسكرية أزالوها أو نهبوها. قتلوا الأطفال أو غسلوا أدمغتهم واستخدموهم في قتل أهلهم، أو تاجروا بهم قطعا لمختبرات الغرب. نهبوا خيرات سوريا، من نفط وقمح وأدوات مصانع، وباعوها لسماسرة أتراك ودول أوروبية وأميركا. احتلوا أكثر من نصف سوريا، داعش وحدها. تعاملوا مع عدو

العرب والمسلمين، الكيان الصهيوني الغاصب، ونفذوا أوامره. نشروا كل أنواع المخاطر والسوءات في كل مناطق سوريا. حاولوا تحطيم الدولة والجيش والشعب والثقافة والعقل المقاوم للهيمنة. كان كل الشر والسم وضع من أجل أن يقتاتوا من اللحم السوري. ألفوا غرفة عمليات شارك فيها الصهيوني والتركي والأمريكي والسعودي والأردني وآخرون. هذه «الحرب العالمية» على سوريا والتي كانت تقودها الولايات المتحدة، طبعا، بددها «الجندي» في الحرس الثوري الحاج قاسم، ورفاقه الأبطال، في الصحاري والقفار وهزء من العقول التي دبرتها في أعتى الكليات العسكرية و«أرقاها». كل نماذجهم العسكرية من رومل إلى مونتغومري إلى أيزنهاور إلى ستانلي ماكريستال وديفيد بترايوس، سقطت في أعين «الجندي» في حرس الثورة الإيرانية.! اجتمع كل العقل العسكري الأمريكي/الغربي/التركي (الناتو)/ الصهيوني، (والخليجي!؟)، وقد هزمه عقل جندي وثلة من المقاومين الأبطال. هكذا تكون صناعة التاريخ والحضارات، وتحويل التهديدات إلى فرص ثمينة. وهكذا أيضا تكون صناعة النخب الثورية الإلهية في الإسلام. ولطالما كانت فوقية النخب العربية والإسلامية مجال تندر سلبي.

هذه المعارك، التي بدأها الأمريكي، بتدرجها وتعددها زمانيا ومكانيا، أدت إلى: إزالة العراقيل التاريخية والثقافية والاستراتيجية من أمام قادة ومجاهدي محور المقاومة لإعادة صياغة شرق أوسط جديدا مقاوما للنفوذ الأميركي في اليمن والعراق وسوريا، ورافضا للاحتلال الصهيوني لفلسطين. مخاض شرق أوسط جديد بشرت به كونداليزا رايس، وزيرة خارجية أميركا في عهد بوش الابن، عام 2006 أثناء العدوان الصهيوني على لبنان، أتت ولادته على يدي من يقاوم أميركا وربيبتها الكيان الغاصب. ثانيا، التدرج في القضاء على الأدران والأمراض والنوابت السياسية والثقافية التي سببها الوجود الاستعماري الغربي في جسد وثقافة ودين شعوب المنطقة. خاصة أن أميركا وعملاءها كانوا يلتجئون لبعض فقهاء الدولار(الشيخ يوسف القرضاوي نموذجا) لاستصدار فتاوى وآراء سياسية وكلامية لتكفير أو لشقاق بين قوى المقاومة والممانعة.تحكيم هكذا اجتهادات فقهية وحتى عقائدية في الحيوية الثقافية/السياسية والاستقلالية بتحريض ودفع غربي/أمريكي وتسميم العلاقة بين المسلمين أضر، ومنذ زمن، بالقضايا العادلة للأمة وخاصة القضية الفلسطينية. عملت الدولة والثورة في إيران على تعميق خط الوحدة الإسلامية، وتابع الحاج قاسم ذلك من خلال الميدان والمصالح المشتركة الاستراتيجية والسياسية بين المسلمين عامة، خاصة قضية

القدس، عاصمة فلسطين التاريخية والدينية. إذن، يليق به وعن جدارة أن يسمى «شهيد القدس»، و«سيد شهداء محور المقاومة».

على مدى أربعين عاما استل النوم من عيون أعدائه، وحول أحلامهم إلى كوابيس. من إيران-العراق-سوريا-أفغانستان-اليمن-فلسطين-لبنان،إلى صور حضوره كافة والتي أعياهم حصرها أكان في السياسة أو الميدان. وها هو في استشهاده أقوى تأثيرا وأكثر حضورا.! حتى قال قائد الحرس الثوري: «قاسم سليماني الشهيد أكثر تأثيرا من الجنرال قاسم سليماني». نموذجية القائد سليماني ليس في حضوره الميداني فحسب، إنما في إظهاره وبقوة لصور ما عرفها الغرب الحديث عن المسلمين. في الدراسات الاستشراقية أن المسلمين يستسلمون أمام القضايا المعقدة، خاصة التقنيات الحديثة والقدرة على المناورة أو خوض التجارب العلمية المتنوعة لاستخلاص النتائج أو تعدد جبهات المواجهة. الحاج قاسم فاجأهم بكفاءته العالية في كل هذه الحقول ما أوقع الأمريكي والصهيوني في دوار هائل لم يعرفوا معه كيفية الخروج من المآزق التي وضعهم بها. خوفهم المستدام أن يبقى هذا العقل الجديد نابضا، وهو كذلك مع أهل الدليل والبرهان.

رحيل الجسد الطاهر وانتشار الروح النورانية على مدى الوجود الثائر

في 2 كانون الثاني 2020 شنت القوات الاميركية الموجودة في العراق هجوماً بالطيران الحربي، الأباتشي، (أخبار أخرى تقول أن الغارة تمت بطائرات مسيَرة) على سيارتين كانتا تقلان مجموعة من الضباط وعناصر من الحرس الثوري الايراني والحشد الشعبي العراقي. مؤسستان رسميتان واحدة ايرانية واخرى عراقية تتعاونان على مواجهة الارهاب التكفيري بكل تفاصيله فيما يؤدي الى حماية هذين البلدين المتجاورين من العدوانيات المتتالية والفتن المتنقلة المستخدمة أمريكيا من اجل منع الاستقرار في هذين البلدين وفيما بينهما. تبين ان المقصود من هذه الغارة شخصان كبيران وقائدان عظيمان هما قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الفريق قاسم سليماني ونائب قائد الحشد الشعبي الحاج ابو مهدي المهندس. وقد تبين ان هذه الغارة المقصودة هي من عمل الولايات المتحدة الامريكية ممهورة برضا وقبول وتشجيع من الادارة الامريكية ورئيسها دونالد ترامب. التقارير تتحدث عن مراقبة طويلة ومكثفة لحركة ونشاط الفريق الشهيد قاسم سليماني. ترامب وزبانيته

باستكبار وعتو أخرق اعترفوا بأنهم هم من ارتكبوا هذه الجريمة الجبانة. هذا العدوان الصريح والواضح ادى إلى زلزال وتحول ثقافي سياسي وعسكري واجتماعي فوري في إيران والمنطقة من خلال ردود الفعل الغاضبة والشاجبة لهذه الجريمة النكراء.

الردود العاصفة: لا تراجع عن خط المقاومة، «كلنا قاسم سليماني»

هذا العمل الآثم اثار ردود فعل ساخطة وغاضبة مطالبة بالثأر والانتقام لدماء الشهداء. خطابان بليغان واضحان حددا مسار المرحلة المقبلة في العلاقة ما بين محور المقاومة والوجود الامريكي في المنطقة. خطاب قائد الثورة الاسلامية ومرشدها الامام السيد علي الخامنئي وخطاب قائد المقاومة الاسلامية في لبنان سماحة السيد حسن نصرالله. النتيجة الحاسمة في هذين الخطابين: «يجب ان تخرج القوات الامريكية من المنطقة».

أولى الردود، بطبيعة الحال، أتت من قائد الأمة الإسلامية، حامل رايتها، وقائد الحاج قاسم سليماني، الإمام السيد علي خامنئي دام ظله. بحزن وتحد للمستكبرين المجرمين قال الإمام: «أعوام من تمني الشهادة في سبيل الله بلغت أخيرا سليماني العزيز هذه المنزلة الرفيعة. إذ سفكت دماؤه الطاهرة على يد أشقى أنواع البشر على وجه الأرض .. لقد كان بارزا للناهلين من فيض الإسلام ومدرسة الإمام الخميني قدس سره .. الانتقام القاسي سيكون بانتظار المجرمين .. وأن نهج الجهاد في المقاومة سيستمر بدوافع مضاعفة وأن النصر الحاسم سيكون حليف مجاهدي هذا المسار المبارك. وتحقيق النصر النهائي سوف يكون أشد مرارة على المجرمين القتلة».

خير الكلام بحق خيرة الشهداء، صدق العاطفة وبلاغة التعبير عما يكنه قائد الأمة للشهيد العظيم سليماني. وعد بالاستمرار في هذا الطريق وبالثأر المحق والعادل من مرتكبي هذه الجريمة النكراء، جريمة العصر.

لعل الخطبة الملحمية التي القاها قائد الأمة الإمام الخامنئي دام ظله باللغة العربية بمناسبة استشهاد هذا القائد العظيم أبلغ رد على بعض العرب الراكبين والراكضين خلف الحصان الأميركي الخاسر. هذه الخطبة/الرسالية وعظت وحذرت من المخططات الأميركية السياسية والعسكرية والإعلامية الفتنوية بين الشعوب الإسلامية. وكيف أن هذه الجريمة النكراء لن

تفت من عضد الجمهورية الإسلامية من متابعة مسيرة التحرير والحرية في مواجهة الاستكبار الأميركي وأتباعه. وأن هذه الجريمة النكراء، وبصورة جبانة، ستكون «العامل الفاعل في خطوط المواجهة» مع هذا الاستكبار. وكيف أن دماء الشهداء الإيرانيين والعراقيين وحدت شوارع المواساة في البلدين. هذا بعد أن راهن الأمريكي، من خلال إعلامه وتهديده للقيادات والقوى العراقية، على تفتيت العلاقة بين هذين البلدين الشقيقين. وقال الإمام: «أن هذه الشهادة الكبرى أحبطت هذه المساعي الشيطانية للولايات المتحدة». وأن ضم القدرات الإيرانية والعربية المقاومة يمكن أن تتغلب على: الإعلام الأمريكي الكاذب، والقضاء على الهيمنة الأمريكية على بلدان المنطقة، وأن جلاء هذه القوات مدحورة عن المنطقة سيكون خطوة متقدمة على طريق نهضة الأمة بشعوبها كافة، لأن شعوب المنطقة قد استيقظت وتيقنت أن مصيرها يتوقف على التخلص من الهيمنة الأمريكية وتحرير فلسطين. وهنا تأتي أهمية التنسيق الإعلامي والعسكري وارتباط الأسواق كمقدمات للتحرر من الهيمنة. وركز القائد الإمام على أن «الأعداء» مشتركون بين شعوب المنطقة كافة، وأن هؤلاء الأعداء يبنون قوتهم على ضعفنا، واقتصادهم على حساب إفقار شعوب المنطقة، وأمنهم على حساب لا استقرار منطقتنا وشعوبنا. وأبلغ ما قاله الإمام: «يريدون إبادتنا على أيدينا». خطبة القائد إلى الشعوب العربية وقياداتها الغيورة والحكيمة هي استكمال المشهد السياسي بعناصره الثابتة والمتغيرة، حجة وبرهان المنطق الباحث في ذاته عن ذاته لاستكمال صورته الحقيقية والمدعاة: نقض التاريخ الجمعي المغدور للأمة. صوابية القضية الجمعية المغروسة في الوعي واللاوعي الجمعي والعودة لحركة التاريخ الفاعل والحضاري. الدرس المستفاد من هذا الخطاب أنه كلما تحامقت الولايات المتحدة كلما ازدادت قوة الكلمة الحكيمة والشجاعة على الشعوب المتضامنة والمتلاحمة والحاضنة لقضاياها. لا «كيا للوعي» بل صناعة متجددة له. الصبر على ما تحب، والصبر على ما تكره هو طريق النصر. هذا هو مضمون خطاب السيد نصرالله (حفظه الله) عن دور قوى المقاومة، وأن الانتقام للشهيد سليماني ليس مهمة إيرانية بل بإمكان عناصر الفعل الممتد للمقاومين، الذي عمل الشهيد على استهلاله وتنشيطه، أن يؤلموا الأعداء الذين قاموا بالجريمة. «قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ».لقد اختار الشهيد بوعيه وإرادته،وبعقل إيماني توزع فوق الحدود وما بعدها لأن الإسلام وحدة رسالة وثقافة ووحدة مصالح وأهداف. أن هذا الزمن الأمريكي المتسلط والمهيمن آن له أن

ينتهي على أيدي المقاومين الصادقين الشرفاء صفوة ورثة الشهيد العظيم.

تالي الردود القيادية العالمة بمكانة الشهيد السامية أتى على لسان سماحة القائد السيد حسن نصر الله- الأمين العام حزب الله. قال السيد نصرالله في تأبين الشهيد سليماني، بعد أن أطلق عليه وبلياقة «سيد شهداء محور المقاومة»، وإدانة الجريمة البشعة والاغتيال الجبان الذي أقدمت عليه إدارة ترامب الحمقاء .. طالب بـ«القصاص العادل» من المجرمين الذين قاموا بهذه العملية الرعناء باغتيال الحاج سليماني والحاج أبو مهدي المهندس ورفاق لهما. وأكد أن أهداف ترامب وإدارته من الاغتيال هي محاولة إرعاب وإرهاب قوى محور المقاومة. مستخلص ما قال سماحته: «قيادات المقاومة، وحركات المقاومة ستبقى متمسكة بأهدافها وبقضيتها المركزية .. لن تضعف ولن تخاف، لن تصاب بأي إرهاب ولا بأي ارتباك، سريعا قامت بجمع صفوفها ولمها». وتابع سماحته: «قاسم سليماني يعني الأمة -ليس قضية إيرانية فقط- وهذا لا يعفي محور المقاومة من المسؤولية .. وتساءل ما هو القصاص العادل.؟ بشفافية ووضوح، الوجود العسكري الامريكي في المنطقة .. القواعد والبوارج العسكرية الأمريكية، كل ضابط وجندي أمريكي في منطقتنا، في بلادنا وعلى أراضينا، الجيش الأميركي هو الذي قتل هؤلاء الأخوة وهو الذي سيدفع الثمن، هذه هي المعادلة..».

في اليوم التالي على الجريمة الأميركية، 2020/1/3 اجتمع «مجلس الأمن القومي»، بقيادة وحضور سماحة الإمام السيد علي الخامنئي دام ظله. حمَل مجلس الأمن القومي في إيران الولايات المتحدة المسؤولية عن الجريمة النكراء. «الإدارة الأميركية تتحمل مسؤولية جميع تبعات هذه المغامرة المجرمة». مؤكدا على نهج الشهيد سليماني، قال المجلس في بيان، «إن الفريق سليماني لم يكن مدعاة شموخ وفخر الإيرانيين فحسب بل لجميع المسلمين والمستضعفين الرازحين تحت نير الظلم في كافة أنحاء العالم. وأن استشهاد هذا القائد العملاق في المقاومة، وإن كان خسارة كبيرة للعالم الإسلامي والشعب الإيراني العظيم، ولكن كما قال الإمام الخميني الراحل قدس سره: «إن كل لواء يسقط من يد قائد مقتدر سيرفع من قبل قائد آخر». هذا البيان، الصادر عن أعلى سلطة قرار في الجمهورية الإسلامية، عبر بصورة لا تقبل التأويل في تماهي الأقوال المقررة والأفعال المحددة لمستقبل علاقة جمهورية الثورة وإسلامية الدولة. الشهيد سليماني لم يكن يغرد خارج منظومة القيادة ولا

خارج الإرادة الجمعية لعلاقة إيران بالعالم، وهو قول وفعل الإمام الخميني المحفورة في النفس السليمانية.

مع هذين القائدين التاريخيين الخمينيين، وباسم محور المقاومة وبقيادتهما، لن ينال ترامب من هذا المحور وكيانه وقوته وأهدافه ولن تذهب دماء الشهداء إلى السماء فحسب بل ستثمر في الأرض. فإذا كان ترامب يريد تمرير «صفقة القرن» واستضعاف المنطقة من خلال جريمته واغتياله للقائد سليماني، فهو فشل من اللحظة الأولى. قال الإمام الخامنئي «أن صفقة القرن ستدفن قبل ترامب»، كما فشل مستشاره للأمن القومي جون بولتون عندما وعده بأنه سيحتفي بسقوط النظام في إيران ليلة رأس سنة 2019. أرادوا تكرار ذات الحدث التاريخي في نفس الدولة، ولكنهم عن جهل ما عرفوا بأنهم أمام عقل من نوع مختلف في العقيدة والثقافة والزمان والقيادات والرؤية الحضارية. الغرب/أميركا احتووا العقل القديم وعبثوا بكل ما يحتويه حتى أضحى أجوفا..طبقوا سايكس بيكو بعد أن قسموا «الأمة»، وقدموا فلسطين بوعد للصهاينة حينما كان بعض الأمة بخدمتهم ويتولى خذلان تاريخ ومستقبل شعوب الأمة. ربما يكون في ذلك حكمة إلهية لتصويب المسار التاريخي والسياسي والثقافي للأمة برمتها، حتى وإن ابتليت بنقص بالأنفس والثمرات. دماء قاسم سليماني فتحت بابا لعالم جديد صورته بأبعادها المتعددة لم يسبق لها أن تظهرَت في صراع العوالم أو في تعاقلها الحضاري. فيما سبق من تاريخ الأمم كان التاريخ سلسلة زمنية يطبعها المستعمرون، الأول يسلم التالي وهكذا ظالم ينجب آخر. ثقافة الشهيد سليماني بعمقها الرسالي أعادت فتح المجال الحضوري والشهودي للنبوات والالهيات وقوى الغيب أن تكون حاضرة في صناعة الأحداث وتسجل صفحات تاريخية مضيئة ترتبط بقضايا العدالة والحق والخير، وليس حق الظلم. مقاييس الدنيا والآخرة معه حضرت في الزمان والمكان الدنيويين.

أصحاب قضية الحق والعدالة الأولى في هذا العصر، قضية فلسطين وشعبها. المجاهدون منهم استشعروا عمق الخسارة لأنه كان ناصرهم السياسي والعاطفي والميداني، وبلا كيف. وفد فلسطيني بقيادة اسماعيل هنية، رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، ذهب إلى طهران معزيا ومباركا. كان لقائد حماس تصريحات تضامن ومواساة وتبريك بالشهادة،

وعرفان بجميل ما صنعه الشهيد لفلسطين وقضيتها،ومده لفصائل المقاومة بكل عناصر القوة من أجل تحريرها من رجس الاحتلال. أدان الاغتيال وقال بأنه لن يحقق أهدافه. وقال: إن «اغتيال الشهيد سليماني يعكس روح الجريمة التي تسكن عقل الإدارة الأميركية». معتبرا أن الجريمة الأميركية شكلت غطاء لكل جرائم الاحتلال الصهيوني بحق شعبنا في الداخل والخارج». وخطب وقال: «الشهيد سليماني: هو شهيد القدس، شهيد القدس، شهيد القدس». زار هنية والوفد الفلسطيني منزل الشهيد العظيم مقدما آيات العزاء والتبريك، متعهدا بمواصلة مسيرة الشهيد.

قوي المقاومة الفلسطينية وفصائلها أدانت واستنكرت هذه الجريمة الغادرة. ركزت عما كان الشهيد قاسم سليماني يقدمه للقضية الفلسطينية والفصائل من دعم لا محدود في مواجهة المحتل الغازي الصهيوني. وقال قائد حركة حماس في قطاع غزة يحي السنوار أنه لولا الحاج سليماني ما كانت المقاومة الفلسطينية لتصمد وتطور تكتيكاتها العسكرية وصواريخها. الشهيد سليماني في موضوع مقاومة الاحتلال لم يبخل بتقديم المساعدة لكل حركات المقاومة في هذه المنطقة. كل الفصائل المقاومة كانت هناك في طهران وفي كرمان، كانوا أهل الشهيد وكان هو بطلهم الخالد والعظيم.

طبعا روسيا وسوريا، وقوى عالمية أخرى، استنكروا هذا العمل المخالف لكل الاعراف والقوانين الدولية. اعتبر لافروف وزير خارجية روسيا الاتحادية أن الاغتيال: «مخالف للقوانين، وخرق للأعراف الدولية».

الرد العسكري: قصف قاعدة «عين الأسد» الأميركية وقوى التحالف

تعتبر قاعدة عين الأسد في منطقة الأنبار العراقية من أهم القواعد الأميركية في منطقة الشرق الأوسط بعد قاعدة «العديد»، في قطر. هذه القاعدة أصيبت بصليات من الصورايخ البالستية الإيرانية المدمرة. المشاهد المرصودة من القاعدة الأميركية والتي نقلتها وسائل إعلام أميركية وعربية كانت أشبه بزلزال مروع. المقابلات مع الجنود الأميركيين ومن قوى التحالف تحدثت عن رعب لم يشهد له هؤلاء الجنود مثيلا في حياتهم. الدمار كان عميقا عميما في مكان تواجد الجنود الامريكيين.

هذا ما وعد به قائد الأمة الإمام الخامنئي دام ظله الأميركيين انتقاما لدماء الشهداء سليماني والمهندس ورفاقهم. وكما وعد قادة في الحرس الثوري. النتائج كانت، على ما صرح به الناطق العسكري الأمريكي، أكثر من مئة «مصروع»، من الجنود الأمريكيين. التصريحات الأمريكية الأولية أعلنت عن صفر خسائر. لكن التصريحات اللاحقة بينت إخفاء الأميركيين لخسائرهم الفادحة. لم تقم الولايات المتحدة بأي رد على قصف هذه القاعدة. طبعا، لم تعتبر القيادة الإيرانية أن الانتقام انتهي. كما أشرنا، كل محور المقاومة يجمع على هدف واحد وهو «خروج القوات الأميركية من المنطقة». وقد اعتبر قائد الثورة الإمام الخامنئي دام ظله هذه الضربة الأولية بأنها «صفعة» لم يجرؤ الأمريكي على الرد عليها.

أهمية الرد هذا أنه جرى قبل موافاة الشهيد العظيم سليماني «جدث الرحمة في الثرى»، وفي نفس التوقيت، عند منتصف ليل 2020/1/8، حيث كانت جماهير محور المقاومة متعطشة لرد يزلزل الطغاة. هذه الصفعة لأعتى دولة في التاريخ الحديث قلبت الصورة ورسمت معادلات جديدة، الجمهورية الإسلامية ومحورها وجها لوجه مع هذا الصنم العنصري الأمريكي. والأصنام تاريخيا تعودت على التراجع والهزيمة أمام المؤمنين المجاهدين المبدعين. لم تذعن الجمهورية الإسلامية للتهديدات والاغتيالات، وهذا ما أفقد الأمريكي الفرصة السياسية للحظة الجريمة التي ارتكبها والتي ستبقى أبد الدهر في سجله الأحمق والمتهور واللا أخلاقي. لقد اغتالت قائدا كبيرا من الجو بعد أن فشلتفي أن تواجهه في الميدان.

شعبيا، خرجت الجماهير الايرانية والعراقية خاصة وفي العالم الاسلامي عامة متضامنة ومستنكرة لهذا العمل الجبان ومطالبة ايضا بخروج القوات الامريكية وبتأييد المقاومة ومحورها ما اثار هلعا امريكيا وصهيونيا وعند كل حلفاء امريكا في المنطقة. هذه الجماهير الغاضبة والساخطة والتي تعرفت إلى مكانة الفريق سليماني والحاج ابو مهدي المهندس، من خلال الانتصارات التي تحققت في مواجهة الغزو الصهيو-امريكي في العراق وسوريا ولبنان واليمن وفلسطين. الجماهير طالبت بالثأر لهما من القتلة المجرمين.

خاتمة الفصل

أمة في رجل هو قاسم سليماني. جميع من عملوا معه تأثروا لفقدهم حبيبا ورفيقا ومجاهدا مخلصا متفانيا متواضعا زاهدا، قضى حياته في جبهات القتال ضد المعتدين والمستكبرين. عرف معنى الشيطان الأكبر فقاومه بذكاء وعبقرية وتدرج في خططه لإطفاء حركته في بلدان عبث بها هذا الشيطان. كان يواجه مخططات أمريكا بهدوء وحكمة وشجاعة حتى ضاقوا ذرعا بهذا الذكاء النادر وبدأوا يتحينوا الفرص لاغتياله، لأنهم اخفقوا في التغلب على عقله الفذ. ظنوا أنهم بقتله ينهون الحلم\المسيرة التي استكملها بعد رحيل الإمام الخميني قدس سره بقيادة ومتابعة الإمام الخامنئي دام ظله بجدارة لا تضاهى وعقل لا يعوزه قلب التهديد إلى فرصة. ما حسبوا أن دماء هذا القائد الشهيد العظيم ستقلب عليهم ظهر المجن، وتفجر كل العواطف والمشاعر والعقول التواقة للحرية والاستقلال عن جبروتهم المعادي للتاريخ وللثقافة الإنسانية. ألم يروا كيف خرج عشرات الملايين في إيران ولبنان والعراق واليمن وسوريا، ومجالس العزاء في فلسطين كلهم يهتفون: «كلنا قاسم سليماني». لا بد أنهم على يقين الآن «أن أمة تنجب قاسم سليماني، وأخوانا له، لا يمكن أن ينتصر عليها الأمريكي. زمن ولى وبدأ زمان آخر. ما قبل استشهاده تاريخ وما بعده صفحة أخرى ليس فيها خطوط حمراء. ففي حياته صنع ملاحم وبطولات، وفي استشهاده يستكمل الطريق: «خروج القوات الأمريكية من المنطقة» قالها القائد الإمام دام ظله وتعهدها بحسم وعزم سماحة السيد نصرالله (حفظه الله). نال الحاج قاسم ما تمناه من فوز عظيم بشهادة متعالية ونفس مطمئنة. محبوه واخوانه سيلتحقون به ويبلغون الفتح. هذا ما أراده وهذا ما أصابه: الحسنيين. قرة عين الشهيد سليماني هو أن يرى من علاه أن أمريكا تجرجر أذيال الخيبة والهزيمة من منطقته وشعبه الذي اعطاه عقله ودمه وحياته وبقيت نفسه ظل من ظلال الله تحمي وتؤازر أخوانه في متابعة الطريق الذي اخطته نحو القدس.

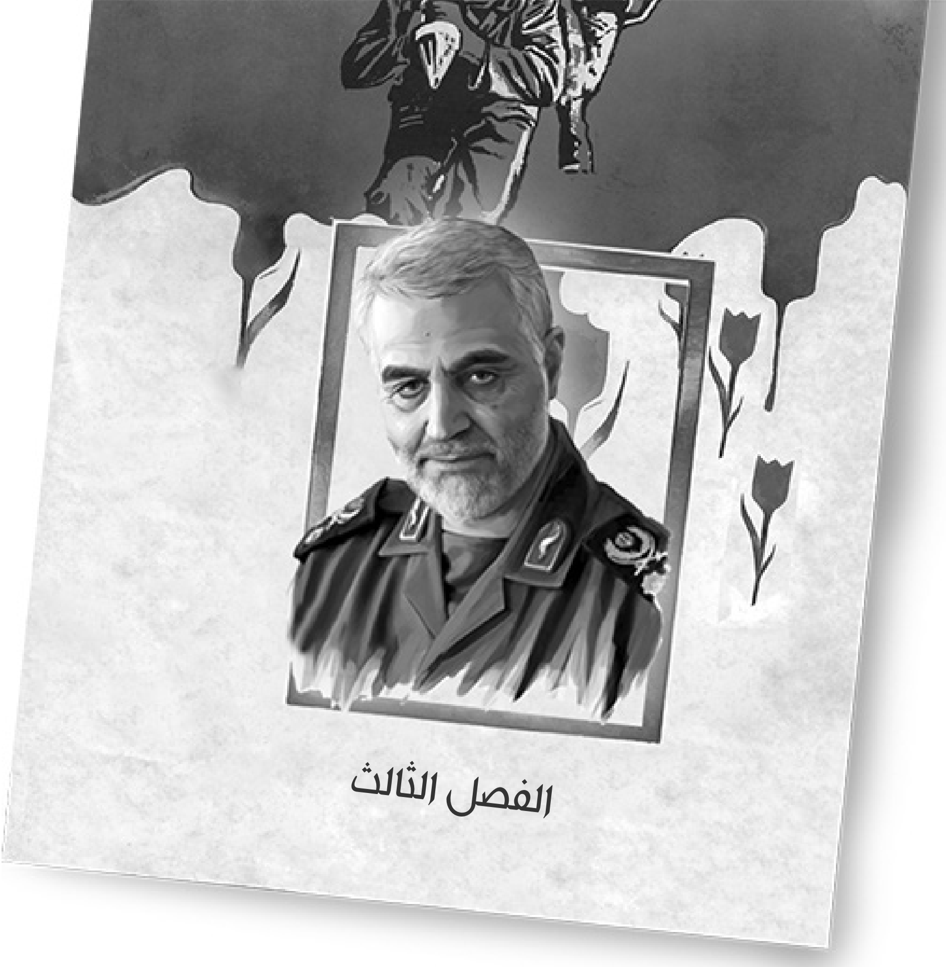

إعادة التركيب، والتحولات الجيو-ثقافية والاستراتيجية

بداية انهيار أهداف سايكس-بيكو وتفكيك «المحيط الآمن» للكيان الغاصب

ما قبل الثورة

بعد تفكك السلطنة العثمانية -«رجل أوروبا المريض-» و«ذهاب ريحها»، والذي بلغ ذروته في بدايات القرن العشرين، أحكمت أوروبا الغربية سيطرتها على المناطق الإسلامية من شرقها إلى غربها، خاصة «الدول أو الولايات» العربية. وإن كانت بعض هذه الولايات تعرضت للاحتلال قبل ذلك بمدة طويلة: احتل البريطانيون مصر في ثمانينات القرن التاسع عشر، أيضا المغرب العربي تعرض لاجتياح فرنسي خاصة الجزائر وتونس، إلى إيطاليا في ليبيا ...هذا الحلم الغربي الذي سعى إليه لقرون من الزمن بدا ماثلا من خلال إخضاع المنطقة للاستعمار المباشر وفرض منظومته الفكرية والسياسية والقتصادية والعسكرية. بعد الحرب العالمية الأولى، قسم الغرب المنطقة وشرذمها ووزعها توزيع الضحية على المفترسين. تحت عنوان اتفاقية سايكس-بيكو البريطانية-الفرنسية (1916)، و«انتداب» بريطانيا على فلسطين تم زراعة «الكيان الصهيوني»، سنة 1948. مع تمكين هذا الكيان غربيا وأمريكيا، أقام الغرب، وتحديدا بريطانيا الخبيثة «محيطا آمنا» لحماية هذا الكيان من الدول العربية! شكل هذا المحيط من دولتين إسلاميتين هما: تركيا كمال أتاتورك، وإيران رضا شاه وبعده ولده محمد رضا، بالإضافة إلى أثيوبيا هيلا سيلاسي.

هذا التفكيك السياسي تبعه تفكيك ثقافي-اجتماعي واقتصادي وصولا إلى منظومة القيم في العلاقات والمرجعية العقائدية. أصدقاء، أو بالأحرى أدوات الغرب في المنطقة أخضعوا الشعوب بالحيلة والغدر والمجازر وأشاعوا ثقافة الضعف والهزيمة والتبعية، وسلموا

واستسلموا للغرب الذي زودهم بكل إمكانيات البطش على شعوبهم والخضوع له بشكل تام ونهائي. الذات العربية والإسلامية بدأت بالتقلص التدريجي حتى وصلت إلى التسليم للغرب-حتى النخب الثقافية والدينية. (أنظر إلى التطبيع العربي تحديدا مع الكيان الغاصب هذه السنة 2020 بإذلال منقطع النظير). أجهضت ثورات ومقاومات في فلسطين (1930-1947) وفي سنة 1982 وفي الداخل الفلسطيني للآن (انظر تصريحات بندر بن سلطان بن عبد العزيز، أيلول 2020)، إيران 1953-1963)، وفي العراق منذ 1920 وصولا إلى انتفاضة الجنوب 1991 حتى الآن....

منذ أن خطط الغرب لإقامة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين أواخر القرن التاسع عشر، في أعقاب مؤتمر بال الصهيوني عام 1892، بدأ العمل والتواصل الصهيو-أوروبي مع القوى الفاعلة آنئذ في المنطقة. ثيودور هرتزل صاحب كتاب «الدولة الصهيونية»، ورئيس الحركة الصهيونية آنذاك حاول التواصل مع السلطان العثماني عبد الحميد الثاني. استقبله السلطان بصفته صحافي أوروبي، بعد أن قيل أنه لن يستقبله كممثل للحركة الصهيونية. (زين نور الدين زين، 1968، نشؤ القومية العربية). كذلك تحرك حاييم وايزمان، الحامل للجواز البريطاني، وأول رئيس للكيان الغاصب، لإقناع التاج البريطاني، من خلال علاقته بونستون تشرشل (1874-1965) الذي كان وزيرا آنذاك، قبل الحرب العالمية الأولى. (وايزمان يذكر ذلك في مذكراته المترجمة للغة العربية) ويقول وايزمان أن تشرشل البريطاني أرسله إلى عبد العزيز آل سعود (1880-1953) والتقاه في الجزيرة العربية وتذوقا القهوة العربية وخرج من اللقاء منشرحا، وكذلك أرسله إلى الولايات المتحدة لمقابلة رئيسها وودرو ويلسون (1856-1924) بوساطة مستشار ويلسون للأديان الحاخام فايس. يقول وايزمان أن مقابلاته كانت إيجابية ومثمرة وتباهى بها.

كذلك بدأ العمل، نظريا-ورقيا- ومن خلال العلاقات الأوروبية مع شخصيات وأحزاب وطوائف عربية، على تفتيت المنطقة العربية/الإسلامية إلى شرائح/دويلات سياسية يسهل السيطرة عليها واستتباعها، بعد اقتسام ورثة «رجل أوروبا المريض»، وقعت الحرب العالمية الأولى وانتصر الحلفاء، بريطانيا وفرنسا. انهزمت كل من ألمانيا والسلطنة العثمانية. هاتان الدولتان، فرنسا وبريطانيا، غزتا المنطقة،خاصة ما كان يعرف: «إرث» السلطنة العثمانية.

سنة 1916 وضع كل من سايكس البريطاني وبيكو الفرنسي خرائط الاستعمار الجديد لكل منهما. قسَمت المنطقة إلى دويلات منها ما هو «دول» مصطنعة كشرقي الأردن أو ممالك وإمارات ومشيخات على الخليج الفارسي ملحقة بالاستعمار الغربي الجديد، ومصر التي كانت تحت الوصاية البريطانية،والسودان (الذي أصبح حديثا دولتين وربما سيصبح أكثر) ..أو حتى تركيب لبنان الكبير (1920م). هذه الخطة/الاتفاقية الجيو-سياسية ربما تكون غير مسبوقة في عالم التنظيم السياسي-الاجتماعي-الثقافي لبلاد وشعوب مختلفة تاريخيا وثقافيا عن تاريخ وثقافة المستعمر الغازي الجديد. حدث ذلك إما لإرضاء عائلات عربية قديمة كبرى تنازلت عن قرارها السياسي والثقافي لهاتين الدولتين الغربيتين، ولمن تسنم قيادة هذا العالم بعدهما، الولايات المتحدة الأمريكية، أو لإرضاء شرائح طائفية-مذهبية تفاقم الخلافات التاريخية والسياسية وتكون جميعها ممسوكة القيادة والقرار. هذا التقسيم والتفتيت للمنطقة وهذه الأنظمة المركبة وضعت لأجل الوصول إلى اصطناع «دولة الاغتصاب الصهيوني»، الذي يأتي في سياق الاستتباع المستدام للدول الغربية الغازية. يقول هنري كيسنجر: «حال نهاية الحرب العالمية الأولى سنة 1918، ما كان يسمى بالولايات العثمانية ألحقت بنظام وستفاليا العالمي بأدوات قسرية متعددة». اختصر هنري كيسنجر مرض العقل الغربي/الأمريكي في نظرته للآخر بهذه الجملة، «نظام وستفاليا العالمي» الغربي يختصر قضايا العالم وثقافاتها وصراعها من أجل الحرية والتحرر. لذا، فإن الغرب/ أمريكا يستخدمون الأدوات كافة: استعمار، استغلال، استعباد، اغتصاب، تشويه، شراء العقول والضمائر ...من أجل أن تهيمن عقيدته السياسية الناتجة عن صراعات غربية-غربية!! هذا العقل لا يؤمن شره في التاريخ وأحداثه وكتابته.

اعتقد المستعمر الجديد أنه يؤسس لزمن سياسي جديد يؤبدن سيطرته، ويطبع العقل الوحدوي على التجزئة والتقسيم والتبعية. بعد هذا التفكيك وإعادة التركيب للمنطقة حصل الانتداب (تعبير دبلوماسي مبسط عن الاستعمار الجديد)، بحجة أن هذه الشعوب لا تستطيع أن تحكم نفسها بنفسها.!؟بناء على هذا الوهن الذي أصاب المنطقة، تمكنت بريطانيا وفرنسا من اقتسامها فيما بينهما كأرض «مشاع»، وقضت على كل آمال الاستقلال والسيادة والحرية لشعوب المنطقة وآخرين.هذا، بعد أن كابدت هذه البلاد وشعوبها اعتباطية واستبداد السلطنة العثمانية منذ القرن الخامس عشر. ما تمكنت السلطنة من

حماية ورعاية وتطوير شعوب ولاياتها وتركتهم لقمة سائغة لدول الغرب الصاعدة. بريطانيا وضعت يدها على فلسطين وشرق نهر الأردن، كما على دول عربية وإسلامية أخرى، مقدمة لتسليم فلسطين إلى الصهاينة تطبيقا لمؤامرة مسبقة. ومن أجل الحفاظ على مصالحها المستقبلية، هيأت بريطانيا المناخات السياسية والجغرافية والاستراتيجية من أجل استدامة وجودها في المنطقة. وضعت يدها السياسية على إيران من خلال تنصيب رضا خان والد محمد رضا آخر ملوك إيران، وعلى العراق والأردن، بعد أن نكثت بوعودها مع الشريف حسين، و«مشيخات ودول» على الخليج. من أثيوبيا في أفريقيا إلى إيران الشاه وتركيا الجمهورية العلمانية، التي توجهت غربا (وستفاليا) بعد سقوط السلطنة وقيام الاتاتوركية، بقيادة الضابط في الجيش التركي، مصطفى كمال. أصبحت القيادة في المنطقة وغلافها الجيو-سياسي وحتى الاقتصادي والثقافي تحت مظلة ونفوذ وجيوش الاستعمار الجديد. وهكذا أقامت غلافا حاميا، لا بل إيجابيا (محيط آمن)، تجاه وجود هذا الكيان الغاصب ووكلائها في هذه المنطقة الغنية والاستراتيجية.

فرنسا، دولة ثورة سنة 1789 وشعارات: حرية، إخاء، مساواة، لم تكن بعيدة عن هذا المخطط الجهنمي الذي رسم ونفذ في المنطقة، بمرارة شعوبها ورغما عن ارادتهم، وعملت، مع بريطانيا، على سن دساتير وترويج ثقافة اقليمية ضيقة تناقض تاريخ ومصالح شعوب هذه المنطقة في علاقاتهم وتاريخهم وثقافتهم الجمعية التوحيدية والوحدوية أصلا. أعطيت فرنسا لبنان وسوريا ومناطق أخرى في شمال أفريقيا، المغرب العربي، وعملت على تغريب ومحاولة «فرنسة» بعض هذه البلاد العربية الإسلامية كالجزائر. وبهذا قام الغرب برسم خارطة ضربت الأمان السياسي والاقتصادي والاجتماعي لشعوب المنطقة، واقام «دولا» صديقة له وعدوة لشعوبها، فأصبحت شعوب المنطقة غريبة في اوطانها مسلوبة الهوية ومهمشة الشخصية ومسلوبة الإرادة. طبقات سياسية موالية للغرب، تأتمر بتوجيهاته، تسعى في الداخل لنشر ثقافة الفتنة وتبوير الطاقات وتجميد العلاقات، عدا تلك الكفاءات التي تذهب الى الغرب او الولايات المتحدة تساهم في تحديثها وتطويرها وتعادي مجتمعاتها او تنساها وتزدريها.

في هذا المخاض افرغت شعوب المنطقة من طاقاتها وسلبت ثرواتها وبدا الانحطاط شبه

مستدام. هذه البيئة الجيو-سياسية المستجدة أتاحت فرصة تاريخية لإحضار مئات الآلاف من اليهود الصهاينة وتمكينهم من الاستيطان في أرض فلسطين لزرع الكيان الغاصب عنوة وتهجير الفلسطينيين من أراضيهم، بعد ارتكاب المجازر بحقهم من قبل عصابات الهاغاناه الصهيونية المسلحة والمدربة والممولة من الغرب وخاصة من بريطانيا. حاول بعض العرب من المسلمين والمسيحيين من الفلسطينيين القيام بانتفاضات مضادة لهذا الوجود، إلا أن الحكام العرب وبتوجيه وتهديد بريطانيين، كما أشرنا آنفا، كانوا يجهضون كل دعوات الشعب الفلسطيني للإضراب والتظاهر والمقاومة، وجهاد الأعداء الصهاينة. كما حدث في سنوات 1936-1937، حيث تدخل بعض المسؤولين العرب، وطبعا بمكيدة بريطانية عبر الإعلان عن «الكتاب الأبيض»، الذي بزعمهم يوقف استقدام الصهاينة من أوروبا.؟! أجهضوا التحرك الفلسطيني الجدي بالقوة والتهديد والوعد والوعيد. غلبت الشعوب العربية على أمرها، خاصة الفلسطينيون. استتب الأمر للصهاينة بدعم من القوى المسيطرة عالميا. أعلن قيام هذا الكيان بقرار من الأمم المتحدة (!) في أيار سنة 1948، بموافقة الدول الأعضاء في مجلس الأمن الدولي، والذي كانت تسيطر عليه الدول ذاتها التي سهلت قيام هذا الكيان: الولايات المتحدة، بريطانيا، فرنسا، والاتحاد السوفياتي. سلمت فلسطين بالكامل للصهاينة بعد مجازر راح ضحيتها عشرات الآلاف من الفلسطينيين والعرب. فرضت هدنة: عربية-صهيونية على دول «الطوق» العربية، وعلى الأرجح أنها كانت مهيأة ذاتيا وبطبيعة الدور المرسوم لها، استمرت حتى عام 1967 بعد أن قام الكيان الغاصب بشن عدوان على هذه الدول واحتلال مزيد من الأراضي. مكن الغرب وأميركا هذه «الدولة اللقيط» حتى أصبحت قوة كبرى في المنطقة، تفوقت قوتها العسكرية على قوة كل «الدول» العربية.

رافق ذلك «تجريفا» للعقل العربي ووعيه، بحسب الكاتب المصري الراحل محمد حسنين هيكل، وتفريغا له من مضامينه: على صعيد الدولة والمؤسسات، على الصعيد العلمي وإنتاج الأفكار والنظريات العلمية، على صعيد التنمية والتطور الاقتصادي والمالي والصناعي والزراعي. في كل ذلك ترنحت الدول العربية للعقل الغربي يجذبها ويهمشها، يقيم سلطة ويطيح أخرى، ينتج مدرسة سياسية وفكرية وعلمية ثم يدحضها ويرميها (العلمانية، القومية، الاشتراكية، الشيوعية، الفوضوية، الديموقراطية بأنواعها، نهاية التاريخ والعولمة،الحداثة وما بعد الحداثة، الجندرية والمثلية، و و و...) ونخبنا الثقافية والسياسية تلهث وراء هذه

المدارس والتيارات الفكرية والسياسية كمن يريد إطفاء ظمئه من سراب. هكذا عاش العربي، ولا زال، دوامة القلق المعرفي والسياسي وحتى الثقافي، كأنه في دوار عقلي وشعوري ليس له بر ولا قعر. هذا ما يحصل للذين يقتاتون، في كل شيء على موائد الآخرين. حتى القبيلة تفتخر بشعرها وتتغزل بجمالها الذي أعيد تصنيعه فرنجيا.! هذا الابتعاد عن الجذور الصلبة، الحاكمة لأي ثمار يانعة جديدة، أوهن كل إبداع في التنظير السياسي أو العسكري.

سعت الولايات المتحدة وربيبتها «إسرائيل»، وبمؤازرة غربية حاسمة، إلى إضعاف أي دولة أو قوة تعلن أو تمارس العداء، أو حتى لا تعترف بهذا الكيان الغاصب. قامت «ثورة» في مصر بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر سنة 1952، مع مجموعة من «الضباط الأحرار» وبتوجهات قومية شبه علمانية أنهت حكم الخديوية في مصر وأعلنت الجمهورية العربية المصرية. شعارات هذه الدولة كانت: حرية، وحدة، اشتراكية. الصراع مع العدو الصهيوني كان بالنسبة للنظام الجديد أولوية. حاول عبد الناصر تأميم المرافق التي كانت تخضع لهيمنة وإدارة بريطانية وفرنسية، مثل قناة السويس ومرافقها والعبور منها إلى البحار والمحيطات، والاستقلال والتنمية الذاتية، والتجهيز العسكري لتحرير فلسطين. سنة 1956 شنت بريطانيا وفرنسا والكيان الصهيوني (للمفارقة وبدعم عربي تماما كما حصل ويحصل مع الجمهورية الإسلامية في إيران!) حربا ضد هذه الدولة الفتية والقوية ووصلت القوات المعادية إلى احتلال سيناء والوصول إلى قناة السويس وما بعدها. تدخلت كل من أميركا والاتحاد السوفياتي لإعادة الأمور إلى ما كانت عليه قبل العدوان، لمصلحة أميركية-سوفياتية تتعلق بالقرارات والموازين العالمية الجديدة بثنائية قطبية: الولايات المتحدة زعيمة الدول الرأسمالية الغربية والاتحاد السوفياتي زعيم الدول الشيوعية والاشتراكية. حاولت الدولة المصرية تمتين علاقاتها التسليحية وبناء السد العالي للري مع الاتحاد السوفياتي، ونجحت في بعض هذه المجالات. المؤامرات العربية الخليجية والغربية/الأميركية بلغت ذروتها بعدوان 1967 على كل من مصر وسوريا والأردن، ما أدى إلى هزيمة الدول العربية الثلاث واحتلال الكيان الغاصب لمزيد من الأراضي العربية: الضفة الغربية بما فيها القدس الشريف وغزة، الجولان السوري ومزارع شبعا وتلال كفرشوبا من الأراضي اللبنانية، وسيناء والعريش وبعض الممرات المشرفة على قناة السويس. هذه الحرب التي تسمى في الأدب السياسي والتاريخي العربي «النكسة»، أرخت بظلالها على واقع النفسية العربية «المهزومة» حتى

اليوم. حرب تشرين أول عام 1973 كان يمكن أن تؤدي إلى اقتلاع الكيان الغاصب من المنطقة لولا وقف إطلاق النار، الذي أعلنه الرئيس المصري آنذاك محمد أنور السادات. بقيت سوريا برئاسة حافظ الأسد في المعركة، إلا أنها لم تستطيع المتابعة وحدها نتيجة للدعم العسكري الأميركي اللامحدود للكيان الغاصب. بعض الكتاب، الواقع كثر، يعتبرون دخول السادات هذه الحرب كان بنية تحريك المفاوضات مع الكيان الغاصب: تنسحب «إسرائيل» من سيناء ويقيم صلحا معها، مع أن الجيش المصري كاد أن يحرر سيناء بالكامل ويصل إلى قلب فلسطين. الفريق سعد الدين الشاذلي أحد القيادات العسكرية أثناء هذه الحرب جزم في تصريحات وكتابات له أن السادات «خان الجيش المصري وفلسطين والعرب». وأن هذه الحرب كانت «مسرحية»، بتدبير مسبق بين هنري كيسنجر، وزير الخارجية الأمريكي، وأنور السادات رئيس مصر.

المقاومة الفلسطينية، والتي كان مركزها بيروت، بعد إبعادها من الأردن عام 1970، كانت تقوم ببعض العمليات العسكرية داخل فلسطين المحتلة كعملية دلال المغربي النوعية في آذار 1978 والتي أستعظمها العدو الصهيوني وقام باجتياح الجنوب اللبناني في نفس الشهر، 14 آذار 1978. حيكت مؤامرة في لبنان على الفلسطينيين واللبنانيين الذين كانوا يقاومون العدو الصهيوني. طرحت مشاريع لتقسيم لبنان منذ سنة 1976، إلا أن مشاريع التقسيم وضرب المقاومة الفلسطينية باءت بالفشل. في هذه الأثناء كانت الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني قدس سره تتعاظم بتأييد وفرح شعبي عربي عارم، خاصة من اللبنانيين والفلسطينيين المقاومين. بعد انتصار الثورة وإعلان الإمام الخميني الدائم عن تأييده للمقاومين للمشاريع الأمريكية والصهيونية وحث الجميع على دعم المقاومة الفلسطينية، شن النظام الصدامي حربا عدوانية، بدعم كبير من أميركا وأنظمة عربية، على الجمهورية الإسلامية الفتية. عام 1982 اجتاحت القوات الصهيونية لبنان. أجبرت منظمة التحرير على الخروج من لبنان وتم توزيع المقاومين الفلسطينيين على الدول العربية، خاصة تونس والجزائر. كل ذلك تم بموافقة عربية.! توهمت «إسرائيل» أن اجتياحها للبنان وترحيل المقاومة الفلسطينية من لبنان، سيجعلها بمأمن من ثلاث دول عربية، على ثلاث جبهات. بعد ذلك تقوم بتطويق سوريا وتجبرها على الاستسلام. أجبر (!) لبنان على توقيع اتفاق 17 أيار سنة 1983. هذا الاتفاق سقط تحت ضربات المقاومة والانتفاضة الشعبية في

ضاحية بيروت الجنوبية والقوى الحية من نيابية ودينية وبعض الأحزاب السياسية. من لبنان بدأت «إسرائيل» تتهاوى تحت عمليات المقاومة، التي وصفها وزير خارجية العدو آنذاك، شامير، على أنه لم يشهد في حياته عمليات بهذه القوة.

الجمهورية الإسلامية في إيران: نمط ثوري جديد للتفكير الاستراتيجي والحضاري في المنطقة والعالم

إيران الثورة لم تندد بالغزو الصهيوني رفعا لعتب ما، كما تفعل الأنظمة العربية، فحسب، بل أوعز الإمام قدس سره إلى المؤمنين بالثورة وبقيادته، إلى مقاومة هذا الغزو بكل الوسائل الممكنة والمتاحة. برؤيته الثاقبة اعتبر الإمام أن هذا العدوان يجب أن يتحول إلى فرصة لإيقاع الخسائر بهذا العدو المتغطرس. وقال قدس سره، ما قد يفاجىء أصحاب العقول الواقعية جدا والتي عايشت وعاشت الهزائم العربية المتتالية، «الخير فيما وقع». وعلى الرغم من الحرب المفروضة على الحدود مع العراق، لم تقفل الجمهورية الإسلامية التطوع لمقاومة العدو الصهيوني. وكان للحرس الثوري دورا بارزا في الإعداد والتدريب لمواجهة الغزو الصهيوني وإحياء ثقافة التحرير والمقاومة بروح جديدة وعقل مبدع في ميادين الجهاد. حصلت أول عملية لمقاوم ومجاهد لبناني في 1982/11/11 ضد مركز الحاكم العسكري الصهيوني في مدينة صور الجنوبية. قام بهذه العملية أمير الاستشهاديين أحمد قصير وقتل فيها ما يزيد عنماية جندي وضابط صهيوني. هذه العملية أرَخت لميلاد جديد ولنوع متفرد من المقاومة التي وضعت حدا للهزائم، وأفقدت العدو الصهيوني توازنه ولبس ثياب الحداد طويلا. هذا الزلزال الثوري أفقد الغزاة الصهاينة عقولهم ولجأوا كعادتهم الظالمة والجبانة إلى اضطهاد السكان المدنيين، كديدنهم عندما يخسرون في أرض الميدان يبدأون بالتنكيل بالعزل من المدنيين، أو بالاغتيالات والاعتقالات. ولكن، في نفس الوقت، هذه العملية أعقبها عمليات شبيهة أدت بالعدو إلى الانسحاب عام 1985 إلى الشريط الحدودي..

بينما، لسوء التقدير السياسي، ونتيجة لارتباط بعض قوى منظمة التحرير بأنظمة عربية قرارها يتخذ في واشنطن، ذهبت في اتجاه معاكس لتطلعات المقاومين ناهيك عن ابتعادها عن خط المقاومة الذي دعا إليه الإمام قدس سره... وصولا إلى اتفاق أوسلو والسكوت عن

القضم المستمر للأراضي الفلسطينية التي احتلت عام 1967. الطامة الكبرى، التي تعادل نكبة 1948، هو أن يعترف الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني، تحديدا منظمة التحرير الفلسطينية، بوجود هذا الكيان الغاصب لأرض فلسطين، وهو ما كان من نتائج اتفاق اوسلو. وبقيت على مسماها منظمة التحرير؟ تحرير ماذا؟ لكن، وهذا هو المهم أن قوى فلسطينية مقاومة بقيت على طريق الجهاد لتحرير كل فلسطين، باستجابة تامة لتطلعات وآمال الشعب الفلسطيني، ورؤية الإمام الخميني قدس سره من أن «إسرائيل غدة سرطانية يجب اقتلاعها من الجذور».

هذا الموضوع، بأبعاده التاريخية والعقائدية، هو ما أرخى بظلاله على حركة وطريقة تفكير المنظمات والأحزاب السياسية أو العسكرية، كما النخب الفكرية العربية المحدثة. حتى الدول الناشئة بحدودها وأنظمتها المستجدة على التاريخ الثقافي/السياسي للمنطقة وشعوبها-غير محددة مصادر الشرعية والمشروعية ولا حتى القيَم الكلية. هذه الحيثيات السياسية الهجينة التشكل استجابت طواعية لإرادة وإملاءات الغرب لأنها وليدته وركيزته، وربما أيضا للبقاء في كنف عالم «بناه الغرب» واستكملته أميركا» لاحقا. هذه «القوى» العربية التي حاولت تقليد الولايات المتحدة في السياسة والثقافة والاقتصاد والتنمية، هي إما وجدت نفسها داخل دائرة النفوذ الأميركي أو تهاوت بفعل جبروته واستكباره. زراعة الغرب تنتج ثماره. سايكس- بيكو وبلفور وكامب ديفيد وأوسلو ووادي عربة، وغيرها من الإملاءات الماحقة للقضايا العربية آتت أكلها، وربح الغرب كل معاركه ضد الشعوب المستضعفة في المنطقة على مدى قرنين. في المقابل، الثورة الإسلامية في إيران، ومنذ الأيام الأولى، أعلنت بوضوح عن مرجعيتها ومبادئها الدينية والسياسية من منطلقات إيمانية إسلامية ذاتية جامعة، معاهدة الحفاظ على مصالح المسلمين كافة وخاصة في استعادة فلسطين والقدس الشريف. حددها الإمام الخميني قدس سره، لا شرقية ولا غربية: جمهورية إسلامية. هذا لم يكن شعارا للترف الثوري والمظاهرات الجماهيرية. صورة عقلية ومفهوم كلي وجد مصاديقه العملية في سياسات الجمهورية وفي حركة وفعل الشهيد قاسم سليماني ورفاقه المجاهدين وعلى مختلف المستويات وعلى مدار الجبهات.

زمن الثورة الإسلامية والنهوض الذاتي

في ذروةالاستسلام الرسمي العربي الذي تتوج باتفاقية كامب دايفيد (1978) وخروج أكبر دولة عربية، جمهورية مصر العربية، من معادلة الصراع مع الكيان الغاصب، التي جمدت الحلم العربي بتحرير فلسطين وكادت أن تقتله، نهض الشعب الايراني بقيادة الامام الخميني قدس سره وأطلق ثورة ثقافية وسياسية واجتماعية ودينية. قدر الله لهذه الثورة الشعبية، غير المسبوقة بأبعادها الدينية في المنطقة والعالم، ان تنتصر على أعتى استبداد في إيران والمنطقة. سقط شاه امريكا الحاكم لإيران، وانهار اهم حليف وداعم لهذا الكيان الغاصب.هذا الحدث الإلهي العظيم زلزل السياسات الامريكية ومخططاتها وأزال ونهائيا الرهان الغربي- الامريكي على إيران.قدمت الثورة الإيرانية بداية مفتوحة ومتينة لنموذج إسلامي في الثقافة السياسية والحرية والاستقلال لكل شعوب المنطقة. كانت تصريحات الامام الخميني قدس سره واضحة وصريحة وجريئة، ان هذه الثورة هي ثورة المستضعفين في مواجهة المستكبرين، وأعلن وحدة المسلمين والمستضعفين في مواجهة الاستكبار العالمي وعلى رأسه الولايات المتحدة الامريكية. بدأت إيران الثورة تدعم في تصريحاتها واعلامها المقاومة الفلسطينية في لبنان وفلسطين، وطردت السفارة الاسرائيلية واقامت لأول مرة سفارة فلسطين. أسقط بيد الولايات المتحدة الاميركية في ان تسقط الثورة او تجهض قيام الدولة: «الجمهورية الاسلامية». كما أشرنا، جيشت أمريكا كل العالم ضد الثورة الاسلامية واخفقت فدبرت مع حلفائها أو مطاياها من العرب حربا قادها المستبد صدام حسين استمرت لثماني سنوات. شارك القائد الشهيد قاسم سليماني، وأخوانه بقوة في رد هذا العدوان، وطهروا الارض الايرانية من رجس المعتدين، وقلبوا السحر على الساحر الى ان، وبدعم اميركي استخدم صدام الاسلحة الكيميائية والتي اصيب شهيدنا العظيم ببعض من شظاياها والتي بقيت آثارا على جسده الى حين الاستشهاد. الشهيد قاسم سليماني واخوانه قدموا الكثير من التضحيات والابداع العسكري والاستراتيجي حتى اطاحوا بجميع المخططات المعادية لإيران، من محاولات اسقاط الدولة الى تقسيم إيران الى زرع الفتن بين الاقليات والاثنيات والطوائف والمذاهب. بعد وقف الحرب، او حتى أثنائها، كانت إيران الثورة وجيشها وحرسها وطاقاتها، وبالتعاون الوثيق والصادق مع قوى المقاومة في المنطقة، تتمكن من ايقاع الخسائر السياسية والاقتصادية الجسيمة بالولايات المتحدة وحلفائها في

أكثر من موقع وعلى أكثر من صعيد، من لبنان الى فلسطين الى اليمن الى العراق وسوريا. بدأت الولايات المتحدة وحلفاؤها يشعرون ويلمسون ان إيران الجمهورية الإسلامية الخمينية بدأت تتجذر وتنبت وتتفرع وتقلب مسار الحرب، وترد الطغاة المستكبرين الى زمن ما ظنوا انه سيكون. أربعون عاما والغرب وعلى رأسه أميركا يبحثون عن طريقة لاسترداد إيران الى الحضن الايديولوجي والسياسي العلماني الغربي/الأمريكي وعزلها عن محيطها فيما يتعلق بالمسارات الاستراتيجية في المنطقة. استخدموا كل الأساليب، ترغيبا وترهيبا واغتيالات وحصار وتطويق عسكري واقتصادي لئيم وإعلام خبيث وتشويه صورة (إيران فوبيا). كل ذلك لم يؤت أكله، وبقيت إيران، الثورة والدولة، تتماسك وتشتد عودا وتتقدم وتنمو ويزداد قبولها لدى الشعوب المستضعفة والدول المظلومة أمريكيا. هذا على الرغم من المناخ السلبي للدول المحيطة في سياساتها وثقافتها التاريخية المحكومة بالعقل التاريخي القبلي المستسلم للأقوى والمقلد له في كل شيء (يمكن العودة إلى حكم المؤرخ ابن خلدون في مقدمته حول علم نفس الذات العربية القبليَة). سايكس-بيكو ووعد بلفور أنجزوا ما عليهم بمساعدة عربية تاريخية. ولا يبدو أن هناك شعورا رسميا عربيا بالإثم، لأن أنظمة الدول العربية بغالبيتها تتبع الغرب الوستفالي، بحسب هنري كيسنجر في كتابه «نظام عالمي». (Henry Kissinger world Order, 2014) الغرب الوستفالي الذي تحمل رايته وقيادته الولايات المتحدة. هو الغرب الذي يقسم الدول القوية تاريخيا، وهو أيضا الذي يهفت ويفكك ثقافات الشعوب لجعل الثقافة الغربية أساس النظرة إلى الحياة والوجود، والعالم وما بعد الطبيعة.

خلاصة: عجزت الولايات المتحدة بجبروتها وترسانتها العسكرية وعقوباتها وحصارها عن أن توقف تقدم إيران في قيادة محور المقاومة. كلما غزوا أو احتلوا بلدا ظنوا أن وجودهم العسكري يهدد ويحاصر أو يرهب الجمهورية الإسلامية، تنقلب الأمور ويصبح هذا البلد أقرب إلى إيران منه إلى الولايات المتحدة، ويتحول التهديد إلى فرصة لصالح محور المقاومة: العراق، سوريا، فلسطين، لبنان واليمن نماذج ساطعة. عندما يخططون لبناء خارطة -موجة أو سيناريو جديد للهيمنة المستدامة علىالمنطقة: اليمن، فلسطين، سوريا والعراق، ولبنان، تتحول هذه الخارطة عامل قوة لمحور المقاومة. من يدير هذا العقل الاستراتيجي القادر على دحر وتهشيم «العقل العسكري الأول» في العالم؟ أحد أهم هذه العقول المقاومة هو عقل الحاج قاسم سليماني. في الدراسات والمقالات الصادرة عن مراكز

الدراسات الأميركية تحديدا، نجد أن الأمريكي راقب وبشكل حثيث خطوات وانتصارات ومكانة الحاج قاسم. (راجع بعض هذه الدراسات والمقالات في الصفحات الأخيرة من هذا الكتاب، ترجمة الكاتب).

لماذا اغتالت أميركا الحاج قاسم سليماني:
السبب العميق والنتائج المرتدة

أميركا بدأت تفقد ليس فقط وجودها العسكري وتأثيرها السياسي الفعال في المنطقة والأقطار التي احتلتها مباشرة بعد 11 أيلول 2001 (أفغانستان والعراق)، إنما بدأت تخسر الإرث السياسي والثقافي الحامل لهذا التراث الذي أسهم كثيرا في وجودها وشرعيتها المفروضة وظهورها على المسرح الدولي. ذلك التراث الممتد، تاريخيا، إلى خروج المسلمين من غرناطة (أسبانيا) سنة (1492)، ثم اكتشاف أميركا، العالم الجديد، في هذه الأثناء. حينها شهدت أوروبا، في بدايات القرن السادس عشر انقسامات حادة، خاصة بعد دعوة مارتن لوثر(1483-1546) إلى إصلاح الكنيسة، وهو ما اصطلح على تسميته الثورة الإصلاحية/ البروتستانتية. على أثرها حصل انقسام كبير في المجتمعات الأوروبية وحروب استمرت لعشرات السنين (30 سنة) بين الكنيسة الرومانية والأمراء الجدد المعتنقين للبروتستانتية. وهي لا زالت مستعرة عقائديا حتى العصر الحديث. مجازر ارتكبت، وتطهير ديني وعرقي وقع بين الأوروبيين. أعداد كبيرة من الأوروبيين هربوا من هذه الحروب الدينية والسياسية والإكليريكية وظلم الاقطاعية الأوروبية-بين البروتستانت والكاثوليك وعائلات وممالك- إلى العالم الجديد، أميركا الشمالية. (الوافدون/الهاربون بالجملة من أوروبا وسجونها المكتظة بالناقمين على السلطات كافة، الذين وجدوا شعبا مسالما من الهنود الحمر يقطن في هذه الأصقاع، قاموا بارتكاب المجازر الفظيعة بحقه فقتلوا بحسب إحصاءات لمؤرخين أميركيين ما يزيد عن مئة مليون نسمة. (هوارد زن، تاريخ أميركا، وآخرون). مهمشون وحاقدون ومجرمون في مجتمعاتهم الأصلية تركوا لغرائزهم العنان ليفتكوا بشعب أعزل مسالم يعيش بعيدا عن ثقافة هؤلاء الغزاة الجدد. تكررت المأساة ذاتها في فلسطين في القرن العشرين

على أيدي أناس من نفس الثقافة والطبيعة، مع ادعاء اختلافهم في العقيدة الدينية. مع فارق هنا أن الشعب الفلسطيني يريد العودة إلى أرضه بفعل مقاومته الشعبية المحقة، ودعم لا ينثني من قوى محور المقاومة، ويثبت أقدامها قامات عظيمة مثل شهيد التميُز الجهادي قاسم سليماني قدس سره.

هذه الحروب الأوروبية الداخلية، والتي بدأت دينية اجتماعية، استمرت، في اعتقاد واقعي، لأكثر من مئة عام، أي منذ عشرينيات القرن السادس عشر إلى أواسط القرن السابع عشر. وصلت هذه الحروب الفظيعة إلى مرحلة فاصلة في العلاقات بين الدول الناشئة-والتي كانت اقطاعيات عائلية أكثر منها كينونات سياسية-معظمها في أوروبا الغربية، إلى توقيع معاهدة وستفاليا (1648). صاغت هذه المعاهدة إطار بدئي للتفكير السياسي، النظري والعملي، في المجتمعات الغربية، ما بعد الإمبراطورية الرومانية. الخاسر الأكبر في هذه المعاهدة هو الكنيسة الرومانية الكاثوليكية (البابوية وتراجع التأثير السياسي واللاهوتي) وعموم الإكليروس الغربي. الرابح الأكبر هو الحركة الإصلاحية التغييرية، البروتستانتية، وإن كان فصل الدين عن السياسة رابضا في عقل الموقعين على نصوص الاتفاقية. ما يعني فصل الخالق عن المخلوق، لأجله. سلطة الدولة -التي تعني أمراء العائلات والإقطاعيات في هذه المرحلة من التاريخ الأوروبي-حازت على الحصة الحاسمة من مشروعية القرار وشرعية الوجود والبقاء. ولأن جوهر موضوعنا ليس التاريخ الأوروبي وتطوراته، وإنما ما يراد محاسبتنا دينيا وثقافيا وسياسيا على نتائجه ومآلاته، وإن كانت صناعته تمت في عالم آخر زمانيا ومكانيا. طبعا بحسب الذهن والثقافة والبناء السياسي التاريخي-تحديدا الصهيوني-لأحد المؤثرين الكبار في العقل الأميركي، وحتى الغربي.

يمكن تلخيص مبادئ معاهدة وستفاليا في النقاط الأساسية التالية:

1. مبدأ سيادة الدول، سلطة الدولة تستطيع حتى أن تتحكم في ديانة ومعتقد وثقافة معظم مواطنيها. 2. الولاء للسلطة القومية للدولة، و3. مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول.

يعتقد كيسنجر (م. س. ص 131 وما بعدها) أن ملهم هذه المعاهدة هو الفيلسوف السياسي الإنكليزي توماس هوبز (1588-1679)، وهو صاحب كتاب «العقد الاجتماعي»،

وكتاب «التنين» (Leviathan). في الكتاب الثاني يشير هوبز إلى أن الإنسان مفطور على الشر وهو مطبوع على العدوان. لذا، ومن أجل الحفاظ على النوع الإنساني، وبدل أن تستمر «حرب الكل ضد الكل»، على الشعب/المواطنين أن يتخلوا عن جزء كبير من حريتهم للسلطة/ للدولة التي تستحوذ على السلطة مقابل حفظ أمن وممتلكات المواطنين. (محسن صالح، الفلسفة الاجتماعية وأصل السياسة، توماس هوبز، ص 136). نشأة الدولة في أوروبا، كما هو معلوم، مر بمرحلتين: وستفاليا، نظمت العلاقة بين الأقوام/العائلات الحاكمة في أوروبا. أما المرحلة فإنها تبدأ مع الثورة الفرنسية وتحول النظام والتقاليد الفرنسية. الشعارات التي رفعت إبان الثورة الفرنسية، متأثرة بفلاسفة التنوير والعقد الاجتماعي والسياسي-من مكيافيللي وصولا إلى جان جاك روسو وهوبز وهيوم وغيرهم-أزاحت وللأبد تأثير الكنيسة ورجال الدين عن الواقع الاجتماعي والسياسي الفرنسي. أصبح كل ذلك في عهدة الدولة الحديثة، خاصة بعد قيام دولة الولايات المتحدة الأميركية التي بتركيبتها لا تستطيع أن تكون دينية. هي دولة بطبيعتها عنصرية، أنكلو- ساكسون، وهي وريثة «أوروبا العجوز» بحسب وصف دونالد رمسفيلد، وزير حرب أميركا في عهد بوش الإبن. اوروبا الوستفالية هذه هي التي أنتجت ظاهرتان معاديتان للآخر أيا يكن، هما: النازية الهتلرية والفاشية الموسولونية. كما أن تسليم أميركا ونظامها الصاعد، زمام قيادته للهيمنة على العالم، نجم عنه نظاما عالميا جديدا، يستتبع حتى أوروبا وكل دول العالم بفلسفة ليبرالية لا ترى في ثقافات، أو حتى سياسات، الآخر إلا عوائق أمام الشركات العابرة للقارات. الولايات المتحدة الأميركية هي خلاصة عقل هتلر وموسوليني. لذا فإن أميركا هذه تخطت كل الحدود الإنسانية العقلية والثقافية في التعامل خاصة مع الشعوب العربية والإسلامية وقضاياها. شرذمة الدول وتفتيتها، كما الثقافات والحدود، هي أسس مستدامة التفعيل لاستمرار هذا النظام العالمي الآحادي القطب. هنا يكمن سر سايكس-بيكو ووعد بلفور وقيام «دول» عربية قبلية طيعة، وكيان صهيوني غاصب وأنواع من الشرق الأوسط: كبير، وسط وصغير، لتسهيل ديمومة الهيمنة والاستغلال. هذه هي صورة الإمبريالية الأميركية المقيتة.

إذن ما هو هذا العامل العميق الذي أدى إلى ارتكاب هذه الحماقة الأميركية الاستراتيجية الكبرى؟

لماذا اغتيل قاسم سليماني؟ ماذا يعني لكل من طرفي الصراع: الطرف المعتدي: أمريكا والصهاينة وأدواتهم، والطرف المقاوم: محور المقاومة بقيادة الجمهورية الإسلامية في إيران.

أولا: يقول هنري كيسنجر (1927 -)، وزير خارجية الولايات المتحدة في عهدي الرئيسين ريتشارد نيكسون وجيرالد فورد في أوائل سبعينيات القرن العشرين، في كتابه «النظام العالمي، World Order- 2014»: «عندما قام الإمام الخميني بثورته عام 1979، هو لم يقم بذلك من أجل برامج اجتماعية وحكم الديموقراطية. ولكنه وباسم المعتدى عليه، قام (بالثورة) معاديا للنظام الإقليمي بشكل تام، وبالفعل ضد الترتيبات المؤسساتية للحداثة». (ص 152) يضيف كيسنجر: «العقيدة التي تجذرت في إيران الخميني لا تشبه أي تجربة غربية منذ ما قبل الحروب الدينية في فترة ما قبل وستفاليا. لا شرعية للدولة ككينونة إلا على قدر ما تكون أداة في الصراع الديني. خارطة القرن العشرين الشرق أوسطية التي أعلن الإمام الخميني بطلانها، ولا إسلاميتها، رسمتها الإمبريالية، والحكام الطغاة لأنفسهم. (هذه الخارطة) فرقت الأمة الإسلامية عن بعضها، وأوجدت أمما منقسمة بشكل اصطناعي». (ص 153)

كل المؤسسات السياسية المعاصرة في الشرق الأوسط هي غير شرعية لأنها لا تخضع «للقانون الإلهي». الحكومة التي أعلنها الإمام الخميني في 1 شباط 1979 هي «أول أيام الحكومة الإلهية». الكيان (الإيراني الجديد) لا يشبه أي دولة حديثة». (ص 153)

ويتابع كيسنجر قراءته للثورة والدولة الإسلامية في إيران ويقول (ص154): «مع الثورة الإيرانية، الحركة الإسلامية كرست نفسها لإسقاط النموذج الوستفالي، الذي قاد الدولة الحديثة». «الجمهورية الإسلامية قدمت نفسها إلى المسرح الدولي بخرق هائل للمبدأ الأساس (الرئيس) لنظام وستفاليا العالمي». (ص 154) يشير كيسنجر إلى أن أمر التقارب الإيراني بين السنة والشيعة إنما وجد من أجل مناهضة المصالح الغربية. تسليح حماس السنية ضد إسرائيل نموذجا. إن الوحدة الإسلامية التي تسعى إليها طهران هدفها الأول ضرب الحدود التي وضعها الغرب. (نفس الصفحة)

يوصي كيسنجر الإدارة الأميركية (مطلق إدارة، أكانت جمهورية أو ديموقراطية)، في حال كانت تريد الحوار مع إيران، (الطلب منها) أن توقف دعمها لحزب الله في لبنان

وجيش المهدي في العراق لأنهما «ميليشيات غير حكومية تشكل تحديا للسلطات الحكومية القائمة». (ص 154-155). ذلك من أجل «بناء علاقات بناءة ومتكافئة». (المؤكد واليقيني أن حزب الله في لبنان وجيش المهدي في العراق لا يشكلان تحديا للسلطات في هذين البلدين، إنما يشكلان تحديا وإحراج اللولايات المتحدة وهيمنتها وإضعافا لأدواتها في المنطقة). برأي كيسنجر، على الولايات المتحدة أيضا، من أجل إنجاز أهدافها الاستراتيجية، أن تحدد فيما إذا كانت «إيران ستواصل طريق الإسلام الثوري أو الأمة التقليدية الكبيرة والتي دخلت بالضرورة في النظام الوستفالي للدول. ولكن أميركا تستطيع أن تنجز ذلك على قاعدة التدخل المباشر وليس الانسحاب». (ص169) يحدد كيسنجر الدول العربية والإسلامية المنخرطة، أو التي ألحقت في نظام وستفاليا: السعودية، شريكة الغرب وأميركا في كل شيء منذ الحرب العالمية الثانية، العراق، تركيا، مصر ووو... ليصل إلى «إسرائيل». يقول كيسنجر: «إسرائيل بالمبدأ هي دولة وستفالية، وجدت سنة 1947، والولايات المتحدة حليفها الأساسي وحامي وقائد، ومفتاح الدفاع عن نظام وستفاليا العالمي». (ص132)

هل يمكن أن نعثر على نص أوضح من هذا للدلالة على عمق المعركة التي تخوضها الجمهورية؟ ولماذا هذا الحقد الدفين والمعلن على الجمهورية الإسلامية؟ وعلى كل من يعتقد ويحمل نفس الثقافة والسياسة من شعوب المنطقة وأفرادها وقياداتها؟ ما حقيقة وستفاليا، التي وقعت قبل اتفاقية سايكس-بيكو بثلاثة قرون تقريبا، التي يطالب كيسنجر الصهيوني جمهورية إيران الإسلامية باحترامها والالتحاق بها، لا بل تقديسها؟ويعتبرها مقياس ومعيار شرعية وجود الدول، أي دولة؟ حتى «دولة» الاغتصاب الصهيوني، التي زرعت غصبا بعد وستفاليا بثلاثة قرون تماما؟ استنادا إلى نظرية كيسنجر حول المكانة المعيارية «لمعاهدة وستفاليا» «العالمية» يمكن الاستنتاج، أن أي دولة لا تلتزم الثقافة السياسية الغربية ومحدداتها، أو ببيان أوضح، أن أي كينونة سياسية لا يمكن أن تكون دولة معترفا بها إلا إذا اتخذت من مبادىء وستفاليا اساسا لوجودها الشرعي، على المسرح السياسي العالمي. (كذا) النظام العالمي يعني الغرب وما يقرره وعلى رأسه الولايات المتحدة. بناء عليه، معاهدة سايكس-بيكو بين بريطانيا وفرنسا، وعد بلفور البريطاني، وما ينجم عن الغرب وأميركا من سياسات وخطط وتنظيرات سياسية هي قواعد ملزمة للشعوب التي تقع عليها تبعات سلبية جدا، والأرجح مدمرة. حتى شكل النظام السياسي يجب أن يتساوق مع

مبادىء وستفاليا. فصل الدين عن الدولة. زرعت «دولة» في فلسطين، أو ربما في مكان آخر كجنوب السودان، يجب على العالم الاعتراف بها وحضنها لأنها انتاج عقل سياسي غربي. هذه هي مكيافيلية وهوبزية القواعد السياسية الغربية. في الحقيقة لا أحد، عاقل، أو شعب حر، أو دولة ذات سيادة، في هذا العالم، يمكن أن يسلم بنهائيات سياسية لهذه المبادىء. خاصة إذا كانت الدولة، والشعب الخصم لهذه المعادلة، أصحاب حضارة وثقافة وحضور مؤثر بمبادئ بديلة أكثر رقيا وعدلا. الدول والأنظمة هي بالضرورة منتج ثقافي لأي شعب يختاره بملء إرادته. الشعب الإيراني صوت على دستور الجمهورية الاسلامية بنسبة تفوق 90 بالمئة. فهل أي من الكيانات السياسية الوستفالية يلتزم بهذا المبدأ السيادي الشعبي الراقي والحضاري، وهل دول الغرب وأميركا التزموا بقواعد المبدأ الثالث الوستفالي بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى؟ لا أحد منهم يستطيع أن يجيب بنعم.

حصان وستفاليا المؤسسي وحدود الدول التي رسمها الغرب في بداية القرن العشرين؟

ليس مثيرا للدهشة إذا سلمنا أن الغرب بعد الحرب العالمية الأولى، قبلها وبعدها، تصرف مع العالم ودوله وشعوبه على أنه المالك الوحيد، أو المقرر النهائي، لمصائرها في التكون الثقافي والسياسي. ببساطة لأنه امتلك عناصر القوة التي تصنع السلطة على العالم الآخذ بالتشكل، بعد تفكك وسقوط السلطنة العثمانية وعدم تشكل قوة عالمية منافسة. إذن «القوة العارية» أعطت الغرب شرعية أو حق التصرف في العالم وتحديدا في المنطقة العربية والإسلامية. بقرار وهندسة غربية، بريطانية ومشاركة أميركية تحديدا، دولتان ركبتا على أساس ديني ولغاية واحدة. العائلة السعودية الوهابية و«الوطن القومي لليهود» عبر «وعد بلفور». روحية ومادة وجود هاتان الدولتان مناقض لأحد أهم مبادئ وستفاليا: «فصل الدين عن الدول». الغاية من الإنشاء، وحتى من تقسيم المنطقة، هو إيجاد دول «أدوات أو وسائل»، بغض الطرف عن عنوان أو اسم الكينونة السياسية. طالما هي في خدمة مصالح الغرب وقوته على المسرح الدولي، وتساهم بتطويب تأثيره العالمي، إذن هي وستفالية التركيب والهوية. واستخدام الأساطير الدينية المزيفة التقسيمية والفتنوية والعدوانية هي صورة هذه الدول المصطنعة. وإلا ما معنى أن تكرر الولايات المتحدة والغرب القول بأنهم لا يريدون تغيير النظام في إيران لإسلاميته، أو حتى في سوريا العلمانية الوستفالية بالمعنى

الأميركي، بل يريدون تغيير سلوكه.(؟) وهنا، يجب التفكير مليا بتعبير «تغيير السلوك» ومعناه على الصعيد الثقافي السياسي والقيمي. مشكلة الولايات المتحدة مع إيران/سليماني أن إيران تتأهل وتليق اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وعسكريا لتكون قطبا إنسانيا قويا في مواجهة من يتسلح بالقوة العارية لفرض أسس ظالمة على العالم، وخاصة منطقتنا. وهذا ما يلغي المبدأ الثاني من مبادىء وستفاليا حيث القوي عسكريا وماديا يفرض شروطه، مهما كانت ظالمة، على المسضعفين. بوضوح، إيران الشاه كانت ممتازة لأنها كانت خاضعة للإملاءات الأمريكية تقبل سايكس بيكو ووعد بلفور وقتل اللبنانيين والفلسطينيين... إيران التي تقول «لا لأميركا» وسياساتها الظالمة مثل «صفقة القرن» واحتلال القدس وجعلها عاصمة أبدية لكيان غاصب، هي دولة «راعية للإرهاب» وهي دولة «خارجة عن القانون وتصنع أسلحة دمار شامل».؟!

يقول دوغلاس فايث، مساعد وزير الحرب الأميركي دونالد رامسفيلد في إدارة جورج بوش الإبن (2000-2008) بعد غزو كل من أفغانستان والعراق: «بعد الإطاحة بطالبان ونظام صدام، قررت ليبيا أن تخرج من (صناعة) أسلحة الدمار الشامل، وسحبت سوريا قواتها من لبنان لأول مرة منذ عشرين عاما تقريبا. غير أن المفاعيل المرجوة لم تمتد إلى إيران وكوريا الشمالية! اللتين لا تزالان كلاهما تطرحان تهديدات للسلام والأمن. لم تقنع السياسة أيا منهما لتفكيك برنامجها للسلاح النووي. وتبقى إيران الدولة الرئيسية الداعمة لكل من حزب الله وحماس». (دوغلاس فايث، الحرب والقرار: من داخل البنتاغون، 2010، ص 582) يذكر فايث حادثة مخابراتية ذات دلالة كبرى. بعد أن يشير، في الهامش (ص 582)، إلى تقرير المخابرات الأميركية حول «السلاح النووي الإيراني» والذي، كما تقول المخابرات الأميركية، أنه توقف عام 2003، يكتب كيسنجر مقالا في صحيفة الواشنطن بوست (13 كانون ثاني، 2007) يرد فيه على تقرير المخابرات الأميركية ويعتبره بدون مصادر وبدون براهين مقنعة. يريد كيسنجر من الدولة الأميركية أن تهاجم إيران تحت هذه الحجة النووية، كما احتلت العراق لسبب من هذا النوع الملفق. في هذا السياق، الإدارات الأميركية المتعاقبة، منذ ما بعد نكسة حزيران عام 1967، ابتليت بشخصيتين أكاديميتين يهوديتين/صهيونيتين متعصبتين وعنصريتين حاقدتين على الإسلام والمسلمين، شكلتا بوصلة عقل السياسات الأميركية في معظم المراحل الحساسة والخطيرة. هاتان الشخصيتان هما المختص بالتاريخ

الإسلامي برنارد لويس، أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة برنستون الأميركية، منذ ما يقرب من نصف قرن. هذا الدكتور هو الذي يستشار ويضع خرائط تقسيمية للمنطقة حسب ما يطلبه اللوبي الصهيوني (أيباك) ويقدم إلى دوائر القرار في البيت الأبيض. طبعا هو مشارك في النقاشات والسيناريوهات التي تعد للمنطقة وشعوبها من مآس وعذابات ومجازر سياسية وديموغرافية وثقافية. هو كذلك صهيوني عنصري، بأرق العبارات. الآخر والأخطر ربما يكون هنري كيسنجر. هذا الأخير هو مستشار غير معلن لترامب للشؤون الدولية. القابلية الترامبية للهوج السياسي العالمي الشخصي معطوفة على صهره الجندي الصهيوني، جاريد كوشنر، وطمعه بولاية ثانية في البيت الأبيض، (فاز خصمه جو بايدن الديموقراطي بالانتخابات الرئاسية) مصحوبة بثقافة وتعاليم هذين الهرمين الخرفين الصهيونيين، ستجعل العالم بشكل دائم على فوهة بركان يمكن أن ينفجر بأي لحظة.

في هذه الآونة، التي يسجل لها فايث في كتابه سابق الذكر، كان ماكريستال قائد القوات المشتركة/القوات الأميركية ومن يساعدها؟ في محاولة لإخضاع الشعب والمقاومة في العراق. (أنظر مقالا للجنرال ماكريستال عن الشهيد سليماني وعظمته وقوته في الفصل التالي) خلاصة كتاب فايث، مساعد رامسفيلد، أن الحرب على العراق كانت فاشلة إداريا، عسكريا، إقتصاديا، مخابراتيا وحتى استراتيجيا. برأي فايث أن الخسائر والخيبات في العراق أعطت مساحة للذين يريدون إخراج رامسفيلد. هذا الإخفاق الأميركي أدى إلى استقالة رامسفيلد في نوفمبر عام 2006. (فايث، الحرب والقرار، ص 584) يجب أن نتذكر أنه في هذه الفترة كان قد مر فقط أربعة أشهر على فشل العدوان الصهيوني على لبنان حيث كان القائد الشهيد سليماني موجودا في لبنان مشاركا في الدفاع عن الشعب اللبناني المقاوم. بعد عودته إلى العراق أنبأهم القائد الشهيد أنه كان في لبنان وقد عاد للتو، بعد أن قهرهم في رد عدوانهم المدمر. أيضا رايس، وزيرة الخارجية، كانت في لبنان بعد أسبوع على بدء العدوان تبشر «بولادة شرق أوسط جديد»، أمريكي. كان وزير الحرب دونالد رامسفيلد، وكان الفشل الذريع حليفهما، أي رايس ورامسفيلد، زائدا بعض الأدوات من اللبنانيين والعرب. وبالتالي من الذي حطم أحلام أميركا والكيان الصهيوني في المنطقة؟ إنه قاسم سليماني وأخوانه في المقاومة التي تدعمها الجمهورية الإسلامية في إيران. كان الحضور السليماني يؤذن بالأفول الأمريكي الحتمي الوشيك.

في هذا الخضم لم تستطع الولايات المتحدة أن تفرض شروطا، أو حتى إمكانية تحييد الجمهورية الإسلامية عن مسارات المنطقة السياسية والمبارزة العسكرية والثقافية. إيران قدمت الوجه المضيء للإنسانية في وقوفها مع القضايا المحقة والعادلة وربحت على الولايات المتحدة بالنقاط وفي الاستراتيجيا في أكثر من موقع وساحة. يقول زبغنيو بريجنسكي، مستشار الأمن القومي في إدارة جيمي كارتر: «لا يجب على أميركا أن تنخرط منفردة في عمل عسكري ضد إيران، أو حتى بالتعاون فقط مع إسرائيل. من شأن ذلك العمل العسكري أن يغرق أميركا، وحيدة، في صراع واسع سيؤدي إلى تدمير ذاتي (لأميركا نفسها). (Z.Brzezinski, Strategic Vision, P. 124) أكثر من ذلك، يعتقد بريجنسكي، وهو أحد تلامذة كيسنجر، أن الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي يسمم أجواء الشرق الأوسط ويدمر بشكل مباشر مصالح أميركا الوطنية.. وإذا لم تحصل نتائج إيجابية على هذا الصعيد فإن المصالح الأميركية ستتأذى ومصير «إسرائيل في هذه الأجواء العالمية المعادية سيكون أمر مشكوك فيه». (ص. 83) وهل كان بريجنسكي يقصد غير ايران سليماني وقوى المقاومة في لبنان وفلسطين التي تشكل الخطر الوجودي على «إسرائيل».؟

قبل إيران الثورة وفيلق القدس وقائده الشهيد العظيم، وقبل قيام المقاومة في لبنان وفلسطين والعراق واليمن وسوريا..ما كان هذا الكلام ليرد إلى خلفية عقل القوة المكيافيلية الأداتية المستكبرة. إن الأدبيات السياسية الصادرة عن كبار المسؤولين الأميركيين السابقين (دجيرجيان، هيلاري كلينتون، ودوغلاس فايث وآخرون، والتقارير الصادرة عن مراكز الأبحاث، خاصة الأمن القومي، ومؤسسة راند) بمجملها تركز على صعود قوة الجمهورية الإسلامية في المنطقة ودعمها لحركات المقاومة. طبعا دعم إيران للقضية الفلسطينية تحتل الصدارة لأن جهدا غربيا لقرن من الزمن، من سايكس-بيكو ووعد بلفور إلى 1948 عام النكبة، إلى الأموال الطائلة التي دفعت لحماية هذا الكيان/الأداة قد يذهب بأيام أو شهور. ربما لا ينسى الغرب المجازر والاغتصاب ومصادرة الأرواح والممتلكات التي ارتكبت بحق الشعب الفلسطيني والشعوب العربية والإسلامية والتي كانت نتيجة لظلم أنظمة الغرب وعملائهم والأجراء لديهم من العرب. منذ سايكس-بيكو، حتى اليوم، الغرب والولايات المتحدة «يسيئون استخدام القوة ولديهم رغبة في الانتقام، ما يبعد الغرب عن أن يكون نموذجا صالحا». (بريجنسكي، ص. 83) الغرب نموذجا آدميا سيئا وغير أخلاقي. منذ ما قبل القرن الماضي

وخلاله تعرضت معظم شعوب العالم إما للاحتلال أو الاستعمار ولفترات طويلة من الهند الصينية إلى أميركا اللاتينية إلى الشرق الأوسط في محاولات لاستعبادها، محو هوياتها ونهب خيراتها. الغرب هو الذي أشعل حربين عالميتين أدتا إلى ملايين القتلى والمعوقين، وأميركا هي الدولة الوحيدة في العالم التي استخدمت القنبلة النووية وقتلت مئات آلاف اليابانيين، إلى العدوان الغادر على كل شعوب المنطقة وآخرهم «سيد شهداء محور المقاومة»، ونائب قائد الحشد الشعبي في العراق الحاج أبو مهدي المهندس.

إذا كانت الولايات المتحدة الطرف الأقوى في العالم من حيث القوة العسكرية المتقدمة والقوة الاقتصادية التي تهدد كل دول العالم بالعقوبات الاقتصادية، وهي كذلك!. لماذا إذن تلجأ إلى هذا العمل الخسيس والغادر؟

عرفت الولايات المتحدة بالتجربة أن هذه القوة المادية الهائلة والمرعبة لم تمكّنها من تغيير المسار الذهني والعقلي والثقافي والجهادي لقيادة وشعب أراد، واستطاع القيام بثورة لا ترضى بالاستسلام والخضوع لواقع مأساوي ظالم مهما طال أمده. وعرفت أيضا أن تطور إيران السياسي من خلال تمتين العلاقات مع الدول القوية في العالم والمناهضة للسياسات الأميركية البتراء والظالمة سيؤدي إلى مزيد من تراكم قدرات إيران في مختلف المجالات: العسكرية والاستخدام التقني الصناعي لليورانيوم المخصب للأغراض المدنية والطاقة السلمية، صواريخ باليستية عابرة للقارات، واستخدام تقنيات «النانو» لأغراض الطب والصناعة، وأكثر. هذه الإرادة والقدرات ليست مملوكة لدولة عالمثالثية، وإنما لدولة متقدمة وقادرة. آخر الإمكانيات الجو-فضائية الهامة جدا والتي أرعبت الولايات المتحدة والكيان الغاصب، هو القمر الصناعي نور1-الذي أطلقته الجمهورية الإسلامية-الحرس الثوري إلى الفضاء. مدار هذا القمر حول الأرض 16 مرة يوميا، ويبعد عن قشرتها425 كلم. يعتبر هذا الأمر تطورا استراتيجيا وتقنيا لافتا لدولة لا زالت تعاني كل أنواع الحصار وحجز الطاقات والأرصدة في المغارات الأميركية والغربية. هذا ربما يكون أحد الأسرار التي لم يكشف النقاب عنها، أو ألمع لها، التي عطلت سلاح السايبر الأميركي أثناء الغارة على قاعدة «عين الأسد»، والتي وضعت القوات الأميركية في حالة من «عماء التواصل» والذي أوصل هذه القوات إلى حالة الرعب الشديد تلك الليلة من قصف إيراني مزلزل.

أمر آخر فائق الأهمية أخرج الأمريكي عن طوره. في الأدبيات السياسية الأميركية، كما في خطابات الرؤساء الأميركيين، كثيرا ما يتم التركيز على أن «الولايات المتحدة هي حامية النظام العالمي» وهي القطب الأوحد القادر على ذلك. أكثر دول-ونسبة مهمة من- شعوب العالم تسلم لها بذلك، ولكن الشعوب لا تستسلم للقوة الظالمة. في الاجتماعات المكثفة التي كان يعقدها مجلس الأمن القومي برئاسة بوش الإبن في أعقاب هجمات 11/9، كان عنوان وزارة الحرب بقيادة رامسفيلد، اقتداء بالمحافظين الجدد يومذاك: «نغيرهم أو نتغير». (فايث، ص 74) التفكير الجماعي وكيفيات تغييره في المنطقة، وخاصة في الجمهورية الإسلامية وشعوب محور المقاومة، كان على رأس أهداف الولايات المتحدة. وما أسمته الولايات المتحدة «الحرب على الإرهاب»، إنما كان باختصار حربا على محور المقاومة. والباقي من خصومهم: القاعدة وطالبان وصدام وصولا إلى داعش والنصرة ومسميات إرهابية حقيقية إنما كانت تباينات داخل البيت السياسي الواحد. قد تصل إلى صراع ضد أفراد أو قيادات، لكنه ليس صراعا استراتيجيا محكما يغير البنى العقلية والسياسية والثقافية لشعوب المنطقة. لأن أميركا هي التي أوجدت القاعدة ونسلها وصولا إلى تسهيل إحضارها إلى العراق وسوريا ولبنان. الأموال والإعلام، الأميركي والعربي والغربي، الذي سخر في تلك الفترة بذروة لا تضاهى ضد محور المقاومة وبيئته الشعبية: لبنان/2004-2008، إيران 2009، فلسطين 2008 والعراق، والعدوان المستمر على اليمن، وضد الدين والتحريض على الفتن المذهبية والقومية والعرقية والمناطقية، لم يضعف قوى محور المقاومة. إذن القلق الفكري الاستراتيجي، وحتى الأيديولوجي، الأميركي والذي يخرج في كتابات أساسية، أو على ألسنتهم في الندوات، أن محور المقاومة في المنطقة يمكن أن يشكل رافعة لنظام إقليمي جديد مقاوم، لا بل يمكن أن يتجاوز ذلك ليصبح عالميا/آسيويا، في مواجهة النظام العالمي القائم على الهيمنة الأميركية. هذا اللهاث الأميركي المستمر لمطاردة قدرات إيران وإمكانياتها هو إبراز لفشل الاحتواء الذي استمر اكثر من أربعين عاما ولا زال يضغط ويحاصر، ويفشل. مشكلة أميركا أنها لا تعلم، أو أن خيالها لم يصل، كما يبدو، إلى تحديد مكامن القوة العالية للشعب الإيراني، أو لجماهير المقاومة في المنطقة. إن تحضيرات عالية المستوى ومحاضرات وندوات لإعلاميين عربا وأجانب، وإمكانيات فاقت الخيال للنيل من محور المقاومة أدى إلى معادلة معكوسة. إن مخيال وروح المقاومة لدى الشعب والقيادة في إيران وحلفائها

تفوقت على المخيال وروح البقاء الحضاري لأوروبا وأميركا. محور المقاومة قام بتهيئة عقلية ونفسية وميدانية للاستجابة لمتطلبات هذا البقاء، وقد سلخ عن نفسه وروحه الاستسلام والهزيمة، ربما لأن ذلك (الرضوخ) ليس من طينته أصلا. ربما يكون النظام الأميركي العميق بحاجة إلى عقول أكثر موضوعية ومرونة من عقول عميقة جدا أتى عليها الصدأ، عقيمة جدا كعقول برنارد لويس وهنري كيسنجر وجون بولتون واتباعهم من المحافظين «الجدد» ومن الصهاينة المتمسحين زورا.

بناء عليه، دولة استطاعت أن تراكم انجازات ضخمة خلال فترة زمنية قصيرة، مرة أخرى رغم الحصار الخانق، وحققت التقدم المطلوب لأخذها إلى مرحلة التوازن، لا بل الانتصار المتيقن على بعض الجبهات، في مواجهة القطب الأقوى الأوحد في العالم، لا شك أن هذه الدولة ستصل قريبا إلى إمكانية اقتلاع القوات الغازية والمحتلة من المنطقة. هكذا فكر الشهيد قاسم سليماني وهكذا عمل بدأب متواصل، وهو استطاع ان يتفوق بقدرة التفكير على قوة التفكير لدى القوة المادية الأعتى في العالم. هم قدَروا أن قدرة التفكير الاستراتيجي هذه ستصل إلى مرحلة التطابق مع الميدان. ساعتذاك، القوات الأميركية وقوات الاحتلال الصهيوني في فلسطين لن يكون أمامهم إلا طريق واحد نحو الشواطئ التي قدموا منها. الطريق نفسه الذي خبروه جيدا في التاريخ المعاصر. ربما، رفعا للعتب وترسيخا للإمتاع والمؤانسة لزمن خلى، سيحملون معهم بعض الملوك والرؤساء من «دول» المنطقة، وربما لا! المرجح أنهم سيكونون على عجلة من أمرهم الهستيري، تماما كما كان حال الجيش الصهيوني المدحور عن لبنان عام 2000، حيث نسي أن يجر عملاءه معه، أو ربما وعلى ألأرجح لم يسعفه الوقت.

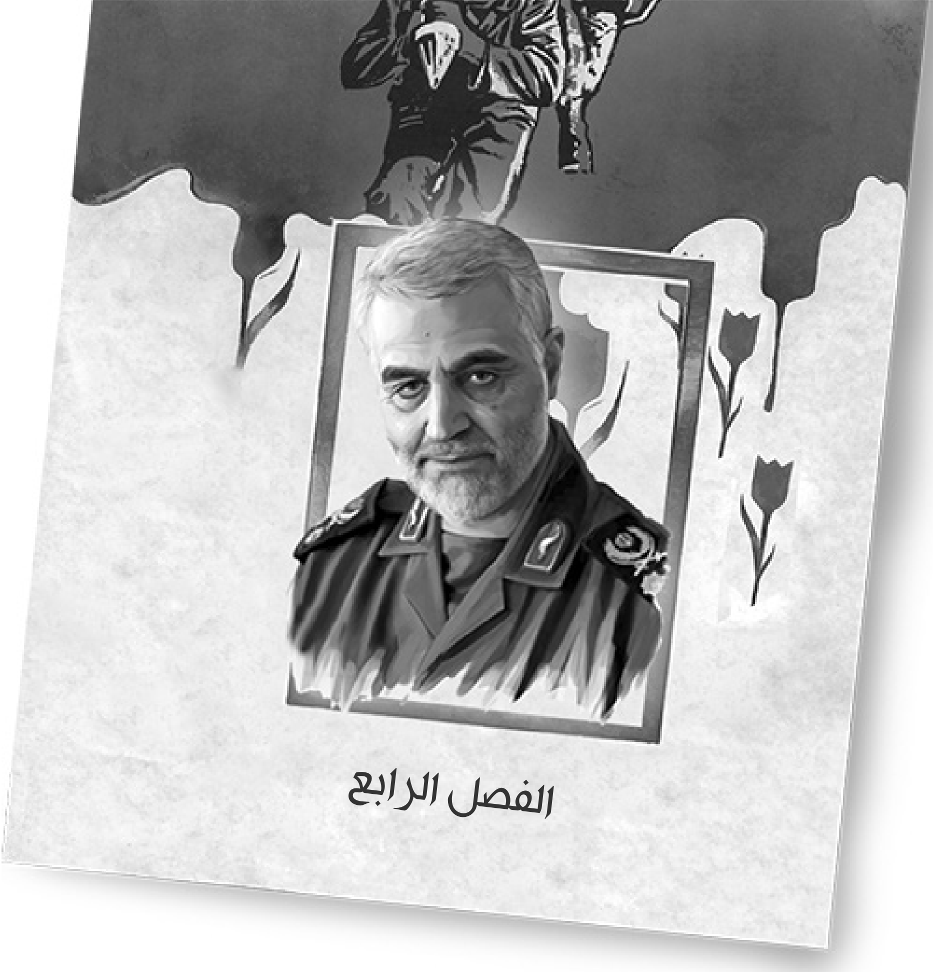

نصوص مترجمة

الفريق الشهيد قاسم سليماني، «قائد الظل»، في كتابات الاعداء

(في آخر لقاء له معه، لفت سماحة السيد حسن نصرالله نظر القائد الشهيد قاسم سليماني إلى أن الإعلام الأمريكي يركز عليه في الفترة الأخيرة، وأن صحفا ومجلات أميركية وغربية كبرى تضع صوره على صدر صفحاتها الأولى. كما تكتب مقالات وأبحاثا عن دوره في العراق وسوريا وفلسطين ولبنان واليمن وصواريخ المقاومة التي «تطوق إسرائيل». لفت نظره ونصحه أن يكون حذرا في تنقلاته في هذه الفترة، لأن ذلك يشير إلى نية اغتيال يدبرها الأعداء. رد القائد سليماني ببسمة مهذبه: «هذا جيد». يبدو أن غرامه بنيل الشهادة جعله يستهزئ بالأعداء ويسخر منهم. وعادة الشهيد النيل منهم. فعلا، نال الشهادة ونال منهم).

لم يحظ قائد عسكري من دول العالم الثالث، خاصة من بلاد العرب والمسلمين، بمثل ما حظي به «سيد شهداء محور المقاومة»، من اهتمام أعدائه «الأقوياء». لقد اعترفوا بمهاراته وإبداعاته وقيادته وأخلاقياته وشخصيته التي تستحق التقدير. كما أنهم لم ينكروا تفوقه عليهم في أكثر من ساحة معركة: أفغانستان، سوريا، العراق ولبنان واليمن وفلسطين ...هذا الشهيد العظيم لم يدرس في كلياتهم العسكرية المتقدمة، كما أنه لم يخضع لدورة في الأركان من معاهدهم التي يفتخرون بها، ويخرَجون «قادة العالم الثالث من أفريقيا وآسيا». في الميدان تغلب عليهم، كما في الاستراتيجيات. من الحرب العراقية المفروضة إلى العدوان الصهيوني عام 2006 على لبنان بإرادة أميركية وتسليح ومخابرات ورعاية «لمخاض شرق أوسط جديد». فشلوا أمام هذه الشخصية القادرة والحكيمة والمبدعة في كل الساحات.

لذلك لجأوا إلى خيار الجبناء: الاغتيال من الجو.

في الدراسات والمقالات التي بين ايدينا لأهم الكتّاب والمتخصصين في الشأنين الإيراني خاصة والإسلامي عامة، إضافة إلى الإصدارات الإستراتيجية في الغرب وأميركا، نجد تقديرا عاليا لهذا القائد الذي واجه الغزاة الأمريكيين أو ما يسمى قوى «التحالف» في كل من العراق وسوريا ولبنان. لهذا سنختار أهم هذه الدراسات والمقالات ونقوم بترجمتها ووضع بعض الملاحظات على ما جاء فيها، خاصة لناحية إثارة النعرات المذهبية والقومية والأيديولوجية. راعينا في الاختيار أهمية هذه الدراسات والمراكز التي أصدرتها، هذا إلى جانب أهمية الكتَاب والجهات (المجلات والصحف) المهتمة في الشأن الاستراتيجي خاصة.

المقالة الأولى

الجنرال المتقاعد ستانلي أ. ماكريستال قائد العمليات الخاصة المشتركة في العراق من عام 2003 إلى عام 2008 وشغل منصب قائد القوات الأمريكية وقوات حلف شمال الأطلسي في أفغانستان في عامي 2009 و 2010.

مقال ستانلي ماكريستال عن الفريق الشهيد قاسم سليماني:

غالبًا ما يكون قرار عدم التصرف هو القرار الصعب - وهو غير صحيح دائمًا. في عام 2007، شاهدت سلسلة من السيارات تمر من إيران إلى شمال العراق. كنت أعمل كرئيس لقيادة العمليات الخاصة المشتركة للجيش الأمريكي منذ أربع سنوات، حيث عملت على وقف الإرهاب الذي دمر المنطقة، وقد اعتدت على اتخاذ خيارات صعبة. لكن في تلك الليلة من يناير، كان الخيار صعبًا بشكل خاص: ما إذا كان يجب مهاجمة قافلة تضم قاسم سليماني، قائد قوة القدس الإيرانية، وهي منظمة تشبه إلى حد بعيد مزيجًا من وكالة الاستخبارات المركزية وJSOC في الولايات المتحدة.

كان هناك سبب وجيه للقضاء على السليماني. في ذلك الوقت، كانت القنابل المزروعة على الطريق، الإيرانية الصنع، والمنتشرة تحت قيادته تودي بحياة القوات الأمريكية في جميع أنحاء العراق. ولكن لتفادي تبادل إطلاق النار، والسياسة الخلافية التي ستتبع ذلك، قررت أن نراقب القافلة، وليس الضرب على الفور. في الوقت الذي وصلت فيه القافلة إلى أربيل (شمال العراق)، كان سليماني قد اختفى في الظلام.

في هذه الأيام، لا يزال يعمل خارج دائرة الضوء. لقد تحول سليماني من قائد عسكري إلى هاجس يشبه الشبح. اعتمدالذكاء الهادئ والحصيف لتعزيز نفوذ إيران الدولي. لقد كان حلفاؤه يحترمون تألقه وفعاليته والتزامه تجاه بلده، ويدينهم النقاد على قدم المساواة. ومع ذلك، يبدو أن كل ما يتفق عليه الجميع هو أن يد الزعيم المتواضع الثابتة ساعدت في توجيه السياسة الخارجية الإيرانية لعقود - وليس هناك من ينكر نجاحاته في ميدان المعركة. يمكن القول إن سليماني هو أقوى ممثل مطلق اليد في الشرق الأوسط اليوم. أفاد مسؤولو الدفاع الأمريكيون أن سليماني هو من يدير الحرب الأهلية السورية (عبر وكلاء محليين لإيران)،

كل ذلك بمفرده.

إن الشهرة التي حققها السليماني اللطيف تعود بشكل خاص إلى أصوله المتواضعة. ولد في بيئة فقيرة تقع في جبال شرق إيران. أظهر مثابرة لافتة في سن مبكرة. عندما كان والده غير قادر على سداد الديون، عمل سليماني البالغ من العمر 13 عامًا على سدادها بنفسه. قضى وقت فراغه في رفع الأثقال وحضور الخطب التي ألقاها وكيل الزعيم الإيراني الحالي، آية الله علي خامنئي. كان مفتونًا بالثورة الإيرانية عندما كان شابًا. في عام 1979، في عمر 22 عامًا فقط، بدأ سليماني صعوده عبر الجيش الإيراني، حيث تلقى تدريبات تكتيكية ستة أسابيع فقط قبل أن يرى القتال لأول مرة في مقاطعة أذربيجان الغربية بإيران. لكنه في الحقيقة هو ابن الحرب العراقية-الإيرانية، التي بدأت بعد عام. خرج من الصراع الدامي بطلاً نظرا للمهام التي قادها عبر الحدود العراقية - ولكن الأهم من ذلك أنه برز كزعيم واثق وثابت.

لم يعد سليماني مجرد جندي. إنه استراتيجي وعملي ودقيق الخطى. الأكثر صلابة، وعلى حساب الجميع، أقام علاقات دائمة لتعزيز موقف إيران في المنطقة. لم يستطع أي فرد آخر في مجاراته في تحقيق النجاح وفي تمكين الحلفاء الشيعة في بلاد الشام. إن دفاعه القوي عن الرئيس السوري بشار الأسد قد أوقف فعلياً أي تقدم من قبل الدولة الإسلامية وغيرها من الجماعات المتمردة، كل ذلك مع ضمان بقاء الأسد في السلطة وابقاء التحالف مع إيران. لعل أبرز (نجاحاته) أنه في ظل قيادة سليماني توسعت قدرات «قوة القدس» بشكل كبير. براغماتيته ودهاءه حول الوحدة (فيلق القدس) إلى فاعل رئيسي في المجالات الاستخباراتية والمالية والسياسية خارج حدود إيران.

ومع ذلك، سيكون من غير الحكمة دراسة نجاح سليماني دون وضعه في سياق جيوسياسي أوسع. إنه زعيم إيراني فريد، وهو نتاج واضح لآمال البلاد بعد ثورة 1979. إن تقديره الواسع للمصالح والحقوق الإيرانية يتطابق مع تلك التي تسود بين النخب الإيرانية. مقاومة إيران لتورط الولايات المتحدة في الشرق الأوسط هي نتيجة مباشرة لتورط الولايات المتحدة في الحرب بين إيران والعراق، والتي تطورت خلالها رؤية سليماني للعالم. قبل كل شيء، فإن السليماني مدفوع بالقومية القوية التي هي شريان الحياة للمواطنين والقيادة الإيرانية.

ترجع إنجازات السليماني، في جزء كبير منها، إلى نهج بلاده طويل النفس تجاه السياسة الخارجية. في حين تميل الولايات المتحدة إلى أن تكون متقطعة في ردودها على الشؤون الدولية، فإن إيران تتفق بشكل مذهل في أهدافها وأعمالها.

إن تمديد فترة ولاية قائد قوة القدس في دوره - تولى قيادة الوحدة في عام 1998 - هو عامل مهم آخر. يتمتع سليماني، وهو نتاج غير أساسي للبيئة السياسية المعقدة لإيران، بحرية العمل على مدى أفق زمني طويل، وهو موضع حسد العديد من المهنيين العسكريين والاستخباراتيين الأميركيين. نظرًا لأن قوة القائد تكمن في النهاية في نظر الآخرين، وتزداد بسبب الاحتمالية المتوقعة لقوة المستقبل، فقد كان سليماني قادرًا على التصرف بمصداقية أكبر مما لو كان ينظر إليه كقائد مؤقت.

بهذا المعنى، فإن نجاح السليماني مدفوع بكل من موهبته واستمرار وقته في مواقع السلطة. مثل هذا القائد ببساطة لا يمكن أن يوجد في الولايات المتحدة اليوم. لا يسمح الأمريكيون للقادة العسكريين أو غيرهم بالبقاء في المناصب العليا منذ عقود. هناك أسباب لذلك - سياسية وتجريبية على حد سواء. ليس منذ J. Edgar Hoover) مسؤول المخابرات الأمريكية المركزية خلال ستينيات القرن العشرين واشتهر على أنه حاكم الولايات المتحدة خلال إدارة الرئيس جون أف. كينيدي، والذي قتل قبل استكمال ولايته عام 1963). سمحت الحكومة الفيدرالية لموظف حكومي طويل الأمد بتجميع هذه المستويات من التأثير الغامض.

على الرغم من غيرتي الأولية من حرية السليماني في إنجاز الأمور بسرعة، أعتقد أن ضبط النفس هذا يمثل قوة للنظام السياسي الأمريكي. يمكن استخدام عقلية متحمسة وعملية المنحى، إذا لم يتم التحقق منه، كقوة من أجل الخير - ولكن إذا تم تسخيرها للمصالح أو القيم الخاطئة، فقد تكون العواقب وخيمة. سليماني خطير بشكل فردي. وهو أيضًا في وضع فريد لتشكيل مستقبل الشرق الأوسط.

نهاية مقالة الجنرال ستانلي ماكريستال

ظهر هذا المقال في الأصل في عدد شتاء 2019 من مجلةالسياسة الخارجية.

المقالة الثانية
قائد الظل: قاسم سليماني القائد الإيراني الذي يعيد تشكيل الشرق الأوسط

- The Shadow Commander: Qassem Suleimani is the Iranian Operative Who has been Reshaping the Middle East
- By DexteR Filkins
- September 23,2013
- The New Yorker, September 30, 2013 issue3

(هذا المقال التفصيلي والمطول يعتبر من الأدبيات الأولى التي تتناول حياة ومسيرة «سيد شهداء محور المقاومة» الفريق الحاج قاسم سليماني. دلالة المقال: إن هناك رصدا أميركيا عاما وحتى تفصيليا لحركة الشهيد، وإن يكن غير دقيق وفيه الكثير من التحريف والتحريض المذهبي والقومي والشخصي. سأقوم بتلخيص وتوثيق أهم ما جاء في هذه الدراسة، خاصة لناحية أهمية العنوان الذي اختاره كاتب المقال.)

«ضابط سابق بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية يطلق على سليماني، قائد قوة القدس الإيرانية، «أقوى الفاعلين في الشرق الأوسط»».

«في فبراير الماضي (2013)، تجمع ثلة من أهم قادة إيران والأكثر نفوذاً في مسجد أمير المؤمنين، شمال شرق طهران، داخل مجمع مسوَر مخصص لضباط الحرس الثوري. جاءوا لتقديم آيات الاحترام إلى رفيق سقط (استشهد). حسن شاطري، أحد المحاربين القدامى في حروب إيران السرية في جميع أنحاء الشرق الأوسط وجنوب آسيا، قائداً بارزاً في قوة النخبة- الحرس الثوري يُطلق عليها اسم «قوة القدس». القوة هذه، هي الأداة الحاسمة للسياسة الخارجية الإيرانية، تشبه إلى حد بعيد وكالة الاستخبارات المركزية والقوات الخاصة المشتركة؛ اسمها مشتق من الكلمة الفارسية للقدس، والتي وعد مقاتلوها بتحريرها. منذ عام 1979، كان هدفها هو تدمير أعداء إيران وتوسيع نفوذ البلاد عبر الشرق الأوسط. قضى شاطري معظم حياته المهنية في الخارج، أولاً في أفغانستان ثم في العراق، حيث ساعدت

قوة القدس الميليشيات الشيعية في قتل الجنود الأميركيين».

«قبل جنازة شاطري، أصدر آية الله علي خامنئي، المرشد الأعلى للبلاد، مذكرة الثناء: «في النهاية، شرب كأس الشهادة الجميل».

كان اللواء قاسم سليماني، قائد قوة القدس، يجثو في الصف الثاني على أرض المسجد المغطاة بالسجاد: رجل صغير له من العمر ستة وخمسين عاما، شعر فضي، لحية مشذبة، نظرة تدل على الاحتواء الذاتي. كان سليماني هو الذي أرسل شاطري، صديق قديم وموثوق به. كقائد في الحرس الثوري، كان هو وشاطري ينتميان إلى أخوَة صغيرة تشكلت إبان حرب الدفاع المقدس ضد العراق».

«تولى سليماني قيادة قوة القدس قبل خمسة عشر عامًا (1998)، وفي ذلك الوقت سعى لإعادة تشكيل الشرق الأوسط لصالح إيران. فرضت وزارة الخزانة الأمريكية عقوبات على سليماني لدوره في دعم نظام الأسد وتحريضه على الإرهاب. ومع ذلك فقد بقي في الظل، غير معروف للعالم الخارجي، حتى وهو يدير العملاء ويوجه العمليات. قال لي جون ماجوير، الضابط السابق بوكالة الاستخبارات المركزية في العراق: «سليماني هو أقوى شخص منفرد في الشرق الأوسط اليوم، ولم يسمع به أحد من قبل».

«عندما يظهر سليماني علانية - غالبًا ما يتحدث في فعاليات المحاربين القدامى أو للقاء (السيد القائد الإمام) الخامنئي. يحمل نفسه بشكل غير واضح ونادراً ما يرفع صوته، «إنه قصير القامة، لكن لديه هذا الوجود». قال لي مسؤول عراقي سابق كبير: «سيكون هناك عشرة أشخاص في الغرفة، وعندما يمشي سليماني لا يأتي ويجلس معك. يجلس هناك على الجانب الآخر من الغرفة، بنفسه، بطريقة هادئة للغاية. لا يتكلم، لا يعلق، يجلس ويستمع فقط. وبالطبع فكل شخص يفكر فيه فقط».

«لم تفقد قوة القدس مثل هذا الضابط الرفيع المستوى في الخارج. في اليوم السابق للجنازة، سافر سليماني إلى منزل شاطري لتقديم التعازي لعائلته. لديه ارتباط قوي بالجنود الشهداء، وغالبًا ما يزور عائلاتهم؛ في مقابلة أجراها مؤخراً مع وسائل الإعلام الإيرانية، قال: «عندما أرى أطفال الشهداء، أريد أن أشم رائحتهم، وأذيب نفسي». ومع استمرار الجنازة،

توجه هو والآخرون إلى الأمام للصلاة، وضغطوا جباههم على السجادة. وقال الإمام علي رضا باناهيان للمشيعين: «أحد أندر الناس الذين جلبوا الثورة والعالم أجمع إليك».

هذه اللحظة السياسية صنعت نقلة تاريخية من حيث التدخل الإيراني في الحرب في سوريا. قال أحد رجال الدين الإيرانيين: «إذا فقدنا سوريا فلا يمكننا الحفاظ على طهران». برأي مسؤول أمني أميركي أن المساعدات المالية والعسكرية التي تقدمها إيران لسوريا لا تحتسب بالدولارات. إنهم يعتبرون «خسارة الأسد يعتبر تهديدا وجوديا». بالنسبة لسليماني، بدا أن انقاذ الأسد، مسألة فخر، خاصة إذا كان ذلك يعني التمييز بينه وبين الأميركيين. سليماني يقول، كما أخبر مسؤول عراقي: «نحن لسنا مثل الأميركيين، نحن لا نتخلى عن أصدقائنا».

بدأ سليماني يطير يوميا إلى سوريا. مسؤول في الدفاع الأميركي يقول عن سليماني: «إنه يدير الحرب بنفسه». في غرفة العمليات «سليماني، قادة من الجيش السوري، قائد من حزب الله، مدير الميليشيات الشيعية العراقية والعميد في الحرس حسين همذاني»».

«حدثت نقطة تحول في أبريل/2013 عندما استولى المتمردون على بلدة القصير السورية، على الحدود اللبنانية. دعا سليماني حزب الله إلى حشد قواته وتطويق المتمردين. وهكذا، في يونيو تم تحرير هذه المدينة. سليماني هو منسق عملية «التحرير»، التي كانت نصرا كبيرا له.

على الرغم من أعمال سليماني القاسية، إلا أن صورته بين الإيرانيين المؤمنين هي صورة بطل حرب لا يمكن تعويضه. في العشرينات من عمره تسلم قيادة فرقة في الحرب العراقية الإيرانية. علاقته وثيقة بالقائد آية الله خامنئي، وله تأثير في اتخاذ القرارات الخارجية. يصفه المسؤولون في إيران بأنه مؤمن بالإسلام والثورة».

«عام 2011 نظم سليماني هجمات في أماكن بعيدة متعددة، تايلاند، لاغوس، ونيروبي. الأكثر شهرة هو محاولة اغتيال السفير السعودي لدى الولايات المتحدة في مطعم قرب البيت الأبيض. تبين أن عضو كارتيل المخدرات الذي اتصل به وكيل سليماني كان مخبرا لإدارة مكافحة المخدرات الأميركية. (يبدو أن قوة القدس أكثر فاعلية على مقربة من الوطن). بعد انهيار

المؤامرة، أخبر اثنان من المسؤولين الأمريكيين السابقين لجنة الكونغرس أنه ينبغي اغتيال سليماني. قال أحدهم «سليماني يسافر كثيرا، إذهب واحصل عليه: قبضا أو قتلا». في إيران أعلنت حملة على وسائل التواصل الاجتماعي وقعها مئات الأشخاص: «كلنا قاسم سليماني».

«عندما تسلم سليماني قيادة قوة القدس عام 1998، مسؤولون أميركيون وأرجنتينيون اعتقدوا أن النظام في إيران ساعد حزب الله في تفجير السفارة الإسرائيلية في بيونس آيرس عام 1992؟ وقتل 29، كذلك تفجير المركز اليهودي في نفس المدينة. سليماني حول قوة القدس إلى منظمة غير عادية. فروعها تتعلق بالمخابرات والتمويل والسياسة ..عديدها بين عشرة آلاف وعشرين ألف عنصر. مقسمة إلى قسمين: مقاتلين ومدربين في الخارج. بناء لصحيفة «إسرائيل اليوم»: المقاتلون المتطوعون من كل المنطقة، يتدربون في شيراز وطهران ويتثقفون في كلية القدس للعمليات في قم ويرسلون إلى العراق أو أفغانستان ليحصلوا على الخبرة العملية المطلوبة. عادة ما يسافرون بغطاء عمال البناء الإيرانيون».

«سليماني متن علاقاته في لبنان مع حزب الله: مع (عماد) مغنية و(السيد) حسن نصرالله، قائد حزب الله. بقول كروكر (ريان كروكر كان سفير أميركا في العراق) أن الحزب أنهك القوات الإسرائيلية بعملياته، لأن لقوات القدس حضور في التدريب والتخطيط والمشورة. انسحبت إسرائيل بسبب هذه العمليات عام 2000. قوة القدس، بقيادة سليماني، لم تساعد حزب الله الشيعي فقط، وإنما ساعدت حماس السنية. هذا من أجل تشكيل محور المقاومة، من طهران حتى بيروت. سليماني كان الأقدر في المنطقة على التقاط اللحظة المناسبة: الأذكى، الأسرع، والأحسن عدة من الآخرين في الإقليم. يلتقط الفرص، يبني عليها، ببطء لكن بثبات».

يروي دكستر في الصفحات التالية العلاقة بين سليماني وقادة القوات الأمريكية المتلاحقة في كل من أفغانستان والعراق. محادثات بالواسطة أيضا كانت تدور بين الحاج قاسم والسفراء الأمريكيون حول موضوعين: الأول، بعد 11 سبتمبر حول طالبان والقاعدة في أفغانستان، وعندما مس بوش الابن الجمهورية الاسلامية بكلمة حول النووي والارهاب أوقف سليماني هذه المحادثات غير المباشرة والظرفية. الثاني، الموضوع العراقي بعد الغزو الأميركي للعراق. ينسب دكستر كلامه إلى ريان كروكر، الذي كان سفيرا في العراق، أن إيران وسوريا كانتا خائفتين من تمدد الغزو الأميركي ليطالهما، مع أنه كان ضد غزو العراق. وكما

يقول كروكر، أنه فكر في ان بالإمكان تحويل العدو إلى صديق تكتيكيا. قيل له أن هناك شخصا واحدا يدير هذا الأمر هو قاسم سليماني. ماغواير، الذي كان ضابط CIA في العراق، تحدث لدكستر نفس المضمون.

عام 2004، يقول دكستر، بدأت قوات القدس بقيادة سليماني تضع العبوات، إيرانية الصنع، على جوانب الطرق والتي كان هدفها القوات الأميركية. هذه العبوات قتلت 20 بالماية من عدد قتلى الجنود الأميركيين، وكما يقول الجنرال ستانلي ماكريستال، الذي كان قائدا للعمليات المشتركة الأميركية، نعرف مصانع هذه العبوات في إيران والتي قتلت مئات الأميركيين. سليماني تجاوز الخلافات السنية-الشيعية لمتابعة حملته ضد القوات الأميركية في العراق. سليماني كان يحرض الطرفين، السني حتى القاعدة والشيعة قوات بدر، القيام بهجمات على قوات التحالف الغربية. هذا الأمر كان يجعل كروكر يشتعل من الغضب.

يروي دكستر عن ضابط مخابرات أمريكي أنه قام بزيارة إلى بيت جلال طالباني في شمال العراق، وجد سليماني هناك ولم يتحادثا، إلا أن طالباني كان مرعوبا! بعد ذلك، نتيجة للخسائر الأميركية، قرر ماكريستال مهاجمة قوات القدس. قامت القوات بمهاجمة مجمع عبد العزيز الحكيم وجدوا العميد محسن شيزاري. اعتقلوا أربعة من بينهم العميد شيزاري وعلي موسى دقدوق من حزب الله. المالكي اتصل بماكريستال لتسليم العميد للسلطات العراقية. تم تسليمه إلى المالكي الذي بدوره سلمه للإيرانيين. يقول ماكريستال أنه اتصل بالمالكي واحتج على تسليم العميد إلى إيران وقال له أنه في المرة القادمة لن يسلمه من تعتقله القوات الأمريكية.

يستمر دكستر في سرديته التي أصبحت في متناول عامة القراء، خاصة من المهتمين. بعث سليماني رسالة ألكترونية لبترايوس على تلفون طالباني الخلوي. تدخل سليماني في ترتيب الوضع السياسي في العراق. أما في سوريا وأمام قدرات سليماني على التدخل لحماية النظام من الانهيار فقد تطورت العلاقة كثيرا ما بعد 2013، أي بعد كتابة هذا المقال الطويل. الأمريكي الرسمي يعترف أن سليماني هو الذي استطاع أن يجمع العراقيين لتشكيل حكومة المالكي. ويعتبرون أن سليماني أخرجهم من داخل العراق قبل أن يخرجوا عسكريا عام 2011. وهم يعلمون أنه فاقهم تأثيرا في رسم السياسات العامة في المنطقة. أينما يكون يغير الواقع لصالح إيران و«محور المقاومة».

دراسة تفصيلية مطولة أصدرها
«مركز محاربة الإرهاب-وست بوينت» في نوفمبر 2018.

كاتب الدراسة: علي صوفان (ضابط أمني أميركي سابق من أصل عربي/قطري)

عنوان الدراسة: «قاسم سليماني والاستراتيجية الإيرانية الفريدة في المنطقة»

ملخص الدراسة: في السنوات الأخيرة وضعت إيران قوتها على مدى الشرق الأوسط، من لبنان إلى سوريا إلى العراق واليمن. أحد مفاتيح نجاح استراتيجيتها الفريدة هو المزج بين «الملية» وقوة الدولة، والتي انبنت جزئيا على طراز أو طريقة حزب الله في لبنان. المهندس الرئيس، والمعروف، لهذه «الطريقة» السياسية، هو «المايجور جنرال» قاسم سليماني، صاحب الخدمة الطويلة في قيادة «قوة القدس». سليماني، وبلا منازع، هو اليوم أقوى جنرال في منطقة الشرق الأوسط. وهو ايضا، واحد من أهم الشخصيات شعبية من بين الأحياء (في إيران!). كما يتردد (اسمه) كمرشح محتمل للرئاسة.

على الرغم من مخاوفها الاقتصادية المستمرة، صممت إيران نفسها اليوم لتكون من أوائل دول منطقة الشرق الأوسط قوة، سياسيا وعسكريا، ذلك في مقابل خصمها الرئيسي العربية السعودية، للسيطرة على المنطقة برمتها. أنجزت ذلك من خلال دمج السياسات، من بينها: المناورة الدبلوماسية البارعة، التحالف التكتيكي مع روسيا فلاديمير بوتين، التزود بالأسلحة، النصيحة والسيولة المالية للميليشيات الشيعية في عدد من الدول. في الحالة الأخيرة، إيران كان لها قصب السبق فيما يبدو (أنه) استراتيجية منفردة حيث تضم المقاومة مع قوة الدولة، بفعالية متمازجة. هذه الاستراتيجية تبدو جلية اليوم في لبنان، سوريا، العراق واليمن.

رجل واحد معروف على أنه المهندس الرئيس لكل من هذه السياسات: إنه الفريق قاسم سليماني، القائد العريق لقوة القدس، القوات الميدانية الخاصة الكاسرة، التابعة لحرس الثورة (الإسلامية الإيرانية). على الرغم من تبجيله في بلده، ومهاب الجانب في أرض المعركة عبر الشرق الأوسط، سليماني يبقى (شخصية) غير معروفة في الغرب. أما القول أن إيران اليوم لا يمكن فهمها كليا بدون معرفة قاسم سليماني فذلك سيكون أمر مبالغ به. أكثر من أي شخص آخر، سليماني كان مسؤولا عن إيجاد محور فعال/مؤثر- الذي تسميه إيران: «محور

المقاومة»-يمتد من خليج عُمان إلى العراق، سوريا ولبنان، إلى الشواطئ الشرقية للبحر الأبيض المتوسط. اليوم، مع النصر المعلق/غير المكتمل (للرئيس) الأسد، في بلده المنكوب بحرب أهلية، هذا التحالف الإيراني أضحى ثابتا بما فيه الكفاية حيث أن قاسم سليماني يجب أن يكون سعيدا لأنه يستطيع أن يقود سيارته من طهران إلى لبنان، على الحدود مع «إسرائيل»، بدون أن يوقفه أحد. وكما أشار رئيس الموساد (الإسرائيلي) يوسي كوهين: هو نفسه الطريق الذي سيكون مفتوحا امام العربات المحملة بالصواريخ لوكيل إيران الأهم في المنطقة، حزب الله.

- «أقدم، نحن بانتظارك»: همذان، إيران، 2018

في يوم عادي، الجندي الأقوى في منطقة الشرق الأوسط الذي ينأى بنفسه عن التبجح، وهو فعلا من النماذج الساعية لمحو الذات. في لقاءاته مع الآخرين من أمراء الحرب المحليين أو آيات الله إلى وزير الخارجية الروسي، الفريق سليماني يفضل الجلوس حاصرا نفسه في زاوية صامتا. عندما يتحدث يفعل ذلك بكل تهذيب. ببساطة، كنعومة ورقَة الوسادة. نادرا ما يرفع صوته. هو يحبط كل محاولات عبادة البطل. يرفض، على سبيل المثال، السماح للمعجبين به أن يقبلوا يده. أحد الصحفيين الأميركيين الذين (كتبوا) عن سليماني قال عنه: «مثال التواضع».

بدنيا، جسمه غير متسق. (؟!) وجهه بارد بلطف مع لحية بيضاء مكسوة بالشعر. عيناه الحالمتان تبدوان مشعتين باستعادة ذاكرة متيمة (حالمة). يحمل شبه، ليس عرضيا، (بالممثل) شون كونري في أواسط مهنته: (في فيلمين) إنديانا جونز وآخر الصليبيين (الحروب الصليبية). قامته قصيرة -حقيقة كان معروفا للأضواء، ملقبا نفسه: «الجندي الأصغر». في يوم من أيام صيف 2018، سقط تواضع(هدوء) سليماني المزيف(!). ليعود إلى طبيعته، على الرغم من الغضب المحق. مصدر سخطه أمر، كما يرويه أميركيون كثر، كان «تويتا» (رسالة الكترونية) من دونالد ترامب. في هذه الواقعة المحددة، كان ترامب غاضبا على رئيس سليماني شخصيا (أي الرئيس روحاني).

«إلى الرئيس الإيراني (حسن) روحاني: لا تهدد الولايات المتحدة أبدا ثانية، وإلا سوف

تتلقى عواقب وخيمة، ماحصل مثلها خلال التاريخمن الأذى. نحن بلد لم يعد يحتمل كلماتك غير العاقلة حول العنف والموت. كن حذرا».

في خطاب له بمدينة همذان، على بعد 200 ميل جنوب غرب طهران، سليماني هشَم(tore) ترامب بلغة نارية (على غير عادته.) عبس وثار (ورفع) إصبعه وصرخ، بالرغم من وجود نصف دزينة من مكبرات الصوت (لقنوات) إخبارية أمامه على المنصة، مع حضور متواضع نسبيا، آخذين بعين الاعتبار شهرة سليماني، خاصة في منطقته. (قال سليماني)

«رئيس الولايات المتحدة .. قام ببعض التعليقات السخيفة على تويتر. هذه التهديدات هي أدنى من أن يرد عليها رئيس إيران، الدولة الإسلامية العظمى. أنا سأرد كجندي في هذه الأمة العظيمة. تهددنا بإجراءات لم يشهد لها العالم مثيلا؟ أولا، ترامب (هذا) لم يمض عليه أكثر من سنة رئيسا، لكن كلماته لا تزال لرجل في بار، أو كازينو. هو يتكلم كنادل في بار أو كمدير كازينو».

مشاهدو سليماني استجابوا بلطف. مع أنهم عادة ما يستمعون إليه بتبجيل صامت، أحيانا يقاطعونه بشعارات الثورة الإسلامية المعتادة. في هذه المناسبة ضحكوا وصفقوا وصفروا وتهكموا، حتى أنهم قاطعوه بالكلام وكأنهم ينظرون إلى مهرج يقف أمامهم.

بعدئذ أتى التهديد. «سيد ترامب، أيها المقامر! {..} أنت تدرك جيدا مدى قوتنا وقدراتنا في المنطقة. أنت تعلم، أيضا، كم نحن أقوياء في الحرب غير المتوازية. تعال، نحن بانتظارك. نحن رجال الساحة، إذا كنت مهتما.! أنت تعلم أن الحرب تعني أن تخسر كل (إمكاناتك) وقدراتك. يمكن أن تبدأ حربا، ولكن نحن من يحدد نهايتها».

إذا كان من أحد، في موقع ما، يقدم على هذه التهديدات الصارمة، هو (بلا شك) قاسم سليماني. أحد المعلقين الأمريكيين شبهه بجون لى كارى الكلي الوجود، الجاسوس السوفياتي غير المرئي، كارلا. (معلق) آخر دعاه «وزير خارجية إيران الحقيقي». الاثنان نالا سهما من الحقيقة. مع أنه، وهذاغير معلوم، عمليا، لدى الجمهور الأمريكي، أن سليماني في الحقيقة يدير مروحة واسعة من العلاقات الخارجية الإيرانية بيد واحدة مطلقة (منفردا) (-single handedly) تقريبا. على مدى عشرين عاما، كان سليماني محظيا بأنه لم يكن هناك وسيط

بينه وبين القائد الأعلى للدولة، آية الله العظمى (الإمام السيد) علي خامنئي، الذي من بين أبطال الجمهورية الإسلامية، سمى سليماني بالشهيد الحي للثورة. خارجيا، هو بنفسه حاز على ثقة القادة السياسيين في سوريا وبيروت وبغداد، وحتى في موسكو.

المجتمع الدولي اتخذ إجراء (note). مجلس الأمن الدولي قاطع سليماني لدعمه الإرهاب وبيعه صواريخ إيرانية وراء البحار (في الخارج). (!) الولايات المتحدة وسمته: مخصب نووي، داعم للإرهاب، مسيء لحقوق الإنسان، ومتهم رئيسي في محاولة اغتيال السفير السعودي في الولايات المتحدة بتفجير في مطعم في واشنطن دي. سي. سنة 2011. بينما معظم الغربيين والأميركيين لم يسمعوا مطلقا باسم قاسم سليماني. أجهزة مخابراتهم يتمنون ألا يأتوا على ذلك، إلا في النادر.

سليماني أضحى عنصرا قياديا في النموذج الإيراني المتفرد في الثورة. عادة، الميليشيات تعرف عن نفسها بأنها ضد الحكومات/السلطات، تحاربها، وتسعى إلى كنس كل مقومات قوتها. على النقيض من ذلك، هؤلاء الذين كانوا بإمرة سليماني، كانوا مرارا أميل للعمل مع بعض مقومات السلطة، وهكذا يفرغون السلطة من الداخل، ويدخلون عناصر الميليشيا إلى مساحة ضخمة. حزب الله اللبناني أفضل مثال على ذلك. ولكن، كما ستلحظ هذه المقالة، هو ليس (النموذج) الأوحد فقط.

- سارق الماعز: إيران، العراق، أفغانستان، 1953-2002

نزر يسير عن خلفية حياته الشخصية يمكن إن يعطينا إشارة على أنه يمكن أن يكون ذو شأن، في يوم من الأيام. سليماني أتى من قرية في جبال محافظة كرمان، إقليم يقع في جنوب شرق إيران. ليس بعيدا عن الحدود مع أفغانستان وباكستان. في كرمان، تقليديا، السياسة القبليّةهي التي تهيمن أكثر من أي قانون للسلطة المركزية (في طهران)، البعيدة حوالي 500 كلم.

والد سليماني كان فلاحا صغيرا، أصبح مدينا لسلطات الشاه بمبلغ 9000 ريال، بعدما قام الأخير بما أسماه «الثورة البيضاء»، وإصلاح زراعي. هذا الدين على والد سليماني، والذي يبلغ 100دولار أمريكي!، يبدو أنه قسم ظهر العائلة، ما أجبر الابن قاسم إلى ترك المدرسة

والعمل لمساعدة الأب. عمل أولا في البناء ومن ثم انتقل ليعمل تقنيا في مصلحة مياه الإقليم. في هذه الأثناء قامت الثورة سنة 1978.

قبل هذه اللحظة، سليماني الصغير لم يكن يبدى أي استعداد، أو رغبة، في السياسة. انضم إلى حرس الثورة الإسلامية بعد تشكيله بوقت قصير في أبريل 1979. هنا وجد نفسه. على أي حال، يجب أن يكون قد أبهر أحدهم ليتم تعيينه مدربا للمتطوعين الجدد، حالما أنهى تدريبه الأساسي. كانت هذه اللحظة التي بدأ عندها (نجم) قاسم سليماني بالصعود المميز.

من وجوه عدة، بروز قاسم سليماني من منطقة غير مشهورة (نائية) إلى ذروة القوة يوازي (يشبه) صعود إيران الإقليمي خلال العقود الأربعة الماضية (!). مسيرته في الجبهة الأمامية بدأت في المخاض الذي تلا الثورة الإسلامية، عندما أرسلت وحدته إلى الشمال الغربي لوضع حد لانتفاضة الإنفصاليين الأكراد- مهمة اعتبرت في هذه الأثناء بمثابة وسام تكريمي داخل حرس الثورة الإسلامية الإيرانية. (في هذه الأثناء، في خضم الجهود التي كان يبذلها سليماني، وعمره آنداك 22 سنة، التقى ولأول مرة ناشط سياسي يدعى محمود أحمدي نجاد والذي كان عمره 23 سنة، حيث كان يعمل مستشارا لحكومة الإقليم (المنطقة). بعد ثلاثين سنة تقريبا هذا الأخير، أحمدي نجاد، استمر في الخدمة كواحد من أكثر رؤساء الجمهورية الإسلامية تشددا- بدعم مطلق من سليماني.

في أيلول سنة 1980، رئيس العراق صدام حسين الانتهازي غزا جاره آملا أن (يجني) رأسمالا في فوضى ما بعد الثورة. مبدئيا، كان سليماني قد أرسل إلى كرمان (منطقته) ليجند ويدرب فرق (للحرب)، ولكنه فورا وجد نفسه متوجها إلى الجبهة، حيث طلب طوعيا أن يبقى وقتا إضافيا. سليماني خدم خلال الحرب تقريبا في كل جزء من الجبهة، من إعادة(تحرير) بوستان في كانون أول 1981 حتى غزو كردستان العراق سنة 1987، حيث استخدمت خلالها قوات صدام الأسلحة الكيماوية ضد الوحدة (التي يقودها) سليماني (حيث أصيب بذاته) وصولا إلى الحملة البيئية (الإيكولوجية والمستنقعات) إلى جزيرة الفاو في إبريل سنة 1988، حيث ان فشلها ساعد على السير في وقف لإطلاق النار الذي أدى إلى وقف الحرب.

سليماني اشتهر بسمعته (الحسنة) لتعامله الجيد مع الرجال (الجنود)، الذين يخدمون

بإمرته. كان من عادته أن يعود من الخطوط الخلفية، في مهمات استطلاعية، ومعه (عدد من) الماعز الحي، وأطعمة أخرى، لرجاله، ما أكسبه لقب معجب، «سارق الماعز». في مناسبات عدة، وعلى الملأ، كان يتساءل حول جدوى القرارات التي يتخذها (بعض) قادته. بلغ هذا الأمر ذروته عندما علا صراخ بينه وبين القائد العام (للحرس)، محسن رضائي، (حيث قال له سليماني): «ليس لدينا أية خطة للحرب».! ولكن هذه (الحادثة العرضية)، لم تمنعه من أنيتبوأ قيادة الفرقة 41، في الحرس الثوري، المسماة «ثار الله»، نسبة إلى الإمام الحسين، حفيد النبي (محمدﷺ) وأحد الرموز الهامة عند المسلمين الشيعة. وهو، (سليماني) بدأ يجذب انتباه القيادة العليا جدا. ففي صورة له في تلك الفترة يظهر سليماني جالسا على الأرض يتلذذ بوجبة على يمين الرئيس اللاحق، علي خامنئي.

بعد وقف الاعتداءات مع العراق سنة 1988، أرسل سليماني إلى منطقته كرمان ليخوض حربا على عصابات المخدرات الذين كانوا يهددون النظام/الأمن (العام) في المنطقة. كما حرب الولايات المتحدة على «المخدرات»، كانت حملة دموية، استمرت ثلاث سنوات. القوات التابعة لقيادة سليماني استطاعت إخماد (عصيان العصابات) وأعادت الأمان إلى المنطقة. (هذه الحملة ونتائجها) أكسبت سليماني امتنانا/تقديرا خالصا من سكانها.

قليلة هي المعطيات عن حياة سليماني خلال الست أو السبع سنوات اللاحقة (ما بين 1991 و 1998)، ولكن منذ مارس/آذار 1998 على أبعد تقدير، برز كقائد لقوات القدس، وحدة القوات الخاصة المرعبة في الحرس الثوري. مهمة (هذه الوحدة) شد أزر الأنظمة والميليشيات الخارجية المؤيدة لإيران. بقية هذه المقالة سوف تبرهن أن سليماني نجح بشكل باهر في هذه المهمة: أسس أو قوىَ الاتصالات مع الميليشيات الشيعية والأحزاب السياسية في المنطقة، كما بالنسبة لنظام (الرئيس) بشار الأسد في دمشق.

في هذه الأثناء، ومع استلام الإدارة الجديدة للرئيس محمد خاتمي، سلمته مسؤولية إدارة المواجهة الإيرانية المتصاعدةمع حركة طالبان المبتدئة في البلد الجار أفغانستان. ليست المرة الأولى ولا الأخيرة، حيث أن معرفة سليماني الفطرية بالثقافة القبلية المعاشة والسياسات المتبعة بما يؤهله للقيام (بمهام) غاية في الإفادة.

في آب/اغسطس 1998، بعد أشهر من تفرغ سليماني كقائد لقوات القدس، اجتاحت

قوات طالبان مدينة مزار شريف، شمال أفغانستان، الآهلة بكتلة سكانية أساسية من أثنية الهزارة الشيعية، والتي تتحدث اللغة الفارسية. بادرت طالبان إلى القيام بأعمال وحشية ممنهجة ضد سكان (من هذه) الأقلية: تخريب للمنازل، اغتصاب النساء والبنات، والقيام بمجازر راح ضحيتها المئات من الرجال والأطفال من الشيعة. من بين القتلى مجموعة من تسعة إيرانيين: ثمانية دبلوماسيين وصحفي. أمام هذا الاعتداء السافر، فرق عسكرية على جانبي الحدود (الأفغانية-الإيرانية) توجهت متأججة للحرب. القائد العام للحرس الثوري، الآن، يحي رحيم صفوي، طلب إلى القائد الأعلى (الإمام) الخامنئي السماح له «بمعاقبة طالبان، والتقدم إلى مدينة هرات (غرب أفغانستان) لإنهاء (طالبان)، ويعاقبهم، ويمحيهم (من الوجود)». بدأت إيران بحشد ما يقارب ربع مليون جندي على الحدود مع أفغانستان لاجتياحها. تقول التقارير، هنا تدخل سليماني ساحبا الفتيل بدون اللجوء إلى مزيد من العنف. عوضا عن مواجهة طالبان مباشرة، سليماني اختار زيادة المساعدات الإيرانية للحلفاء من المعارضة في الشمال. هو شخصيا ساعد مباشرة في توجيه العمليات من قاعدة على الحدود الشمالية الأفغانية-الطاجيكية. كانت نموذجا للحرب بالوكالة والتي أصبحت ديدنه، مرة بعد أخرى.

في الأشهر التي تلت (حادثة) 11/9)، رأى الفرصة سانحة لهزيمة طالبان دفعة واحدة باستخدام أدوات غير تقليدية-تحديدا، التعاون مع الولايات المتحدة. في بدايات الحرب، أمر الدبلوماسيين الإيرانيين بتبادل المعلومات الاستخبارية حول المواقع العسكرية لطالبان، مع نظرائهم من الأميركيين. الأميركيون بدورهم أخبروا الإيرانيين بما لديهم من معلومات حول مخابئ القاعدة شرق إيران.

للحظة عابرة، بدا أن هذا التواصل يمكن أن يؤدي إلى ارتخاء عام في العلاقات بين إيران والبلد الذي يناديه قادتها بـ«الشيطان الأكبر». بالفعل، هناك في طهران، خلف الأبواب الموصدة، كان سليماني يعبر عن نفسه «مرتاح لهذا التعاون»، وتندر على أعلى المستويات السياسية، ذلك أنه «قد يكون الوقت سانحا لإعادة التفكير بعلاقاتنا بالأميركيين». (Filkins: shadow commander)

هذا التعاون توقف فجأة في كانون الثاني 2002، بعد أن استخدم الرئيس جورج بوش

الابن خطابه عن حال الإتحاد ليرمي التهمة على إيران، واصما إياها بالمنتج للنووي، المصدر للإرهاب، دولة القمع، وجزء من «محور الشر». سليماني، كما هو متوقع، سكت، {apoplectic} وألغى اللقاءات اللاحقة مع الأميركيين، ارتداد ضخم.

الآتي أعظم!

عندما نقول لا، علاقة الجمهورية الإسلامية بنظام بشار الأسد عميقة الجذور، تمتد إلى (ما قبل) الحرب العراقية-الايرانية، حينما والد بشار الأسد، حافظ، أغلق أنبوبا رئيسيا للنفط كرهان لإلحاق الأذى بالاقتصاد العراقي. عام 2003، الغزو الأميركي للعراق دفع سوريا وإيران لتمتين علاقاتهما، لأن النظامين أدركا أن نجاح الولايات المتحدة في العراق، سيأتي دورهما. من أجل تحطيم الاحتلال الأميركي، سليماني ساعد المخابرات السورية لخلق منفذ يضخ المجاهدين السنة إلى العراق. عندما كان المجاهدون يهاجمون القوات الأميركية بوضع متفجرات على جوانب الطرق، مرات عديدة استخدموا عبوات مصنوعة في المعامل الإيرانية، مقدمة من قوات سليماني.

سريعا تدخل سليماني مباشرة في العراق. أيضا أرسل وكلائه من الميليشيات الشيعية. تحت قيادته، قوات القدس جهزت عددا من الميليشيات لغاية معلومة وهي الهجوم على القوات الأميركية والفرق الحليفة. كل هذه المنظمات، مجتمعة، كانت مسؤولة عن مئات من قتلى التحالف (قوات أميركية وغربية). إحدى هذه المنظمات، «عصائب أهل الحق»، أعلنت عن ستة آلاف عملية هجوم ما بين بداية تشكلها عام 2006 والانسحاب الأميركي من العراق سنة 2011، بمعدل أكثر من ثلاث عمليات يوميا، لمدة خمس سنوات.

عام 2006، في ذروة نزيف الدماء في العراق، أخذ سليماني فرصة من إدارة العصائب وأخواتها من أجل الإشراف على وكيل إيراني آخر، حزب الله، في حربه (الضروس)مع إسرائيل. خلال غيابه، قادة عسكريون اميركيون في المنطقة الخضراء (في بغداد)، لاحظوا الانخفاض الحاد في الإصاباتعلى مستوى البلد. عند عودته من لبنان، كتب سليماني لقادة القوات الأميركية: «آمل أن تكونوا قد استمتعتم بالسلام والهدوء في بغداد. كنت مشغولا في بيروت».

بعد إعادة تشكيل الحكومة في العراق سنة 2005، تأثير سليماني تمدد إلى سياسات الدولة أيضا. في ظل رئاسة الحكومة لكل من إبراهيم الجعفري ونوري المالكي، وكلاء سليماني، منظمة بدر، بناء عليه، كان مسموحا لها أن تصبح ذراع الدولة خاصة عندما خضع لسلطة جناحها السياسي وزيرا الداخلية والمواصلات. الرئيس العراقي من 2005-2014، جلال طالباني، استفاد من مساعدة الحرس الثوري (كما أنه استفاد من مساعدة السي آي أى) عندما خدم كقائد للمقاومة الكردية ضد صدام خلال تسعينيات القرن العشرين، وقد استفاد سليماني كثيرا من كل ذلك التاريخ. (!؟) دكستر فيلكنز (Dexter Filkins) من (مجلة (The New Yorker) اقتبس عن أحد ضباط الاستخبارات قوله أنه لم ير طالباني، عادة رجل رائع، «غير مهتم بأحد، وكان مرتعبا». لا عجب، نفس الصورة نقلها أحد رفاق طالباني من الرسميين الأكراد، «عندما نقول لا (لسليماني) يخربها علينا. متفجرات، إطلاق نار».

أوائل سنة2008، أرسل سليماني إلى ديفيد بترايوس، الذي أصبح قائد القوات الأميركية في العراق، رسالة (أميرية): «عزيزي الجنرال بترايوس: يجب أن تدرك إنني أنا، قاسم سليماني، أقود السياسة الإيرانية في العراق، سوريا، لبنان، غزة وأفغانستان. السفير (الإيراني) في بغداد عضوا في قوات القدس، والشخص الذي سيخلفه هو أيضا عضو في قوات القدس».

هذه الرسالة وصلت إلى الجنرال بترايوس عبر التلفون الخلوي لطالباني- عمليا تحول طالباني إلى رجل بريد عند سليماني. رمزية الرسالة لا تضيع أحدا (الكل يفهمها) (تلخيص فقرات ص27/6)الخارجية الأميركية فهمت الرسالة ووصفته على أنه «الرجل المركزي الذي يصنع المعادلات التي تريدها بلده ويطبقها في العراق، ولدية سلطة تلي سلطة المرشد الأعلى الخامنئي فقط».

عادة سليماني في إزعاج الرسميين الاميركيين لم تتوقف بعد الانسحاب الأميركي سنة 2011. حديثا، سنة 2017 عندما كان مايك بومبيو مديرا للسي آي أى كتب رسالة ثانية! لسليماني يحذره بأن عليه أن يوقف الميليشيات التي تقع تحت إمرته لتمسك عن مهاجمة المصالح الأميركية في العراق. إجابه «كارلا» (الرجل الغامض): «لم اتلقى رسالتك، ولن أقرأها، وليس عندي شيء لأقوله لهؤلاء الناس».

- «يجب أن نشهد الانتصار»: سوريا والعراق، 2011 -حتى الآن

عندما بدأ الربيع العربي أواخر سنة 2010، سليماني كان سريع الإعلان عن ترجيح استفادة إيران، معلنا في خطاب له في أيار2011 في مدينة قم، هذه الانتفاضات سوف تقدم لثورتنا فرص عظيمة .. يجب أن نشهد الانتصار في مصر، العراق، لبنان وسوريا. هذه ثمار ثورتنا الإسلامية». في الأشهر التالية، سليماني جعل من نفسه رجلا لا يمكن الاستغناء عنه للنظامين السوري والعراقي- من خلال حشده للميليشيات التي تقع تحت إمرته.

في ساحة المعركة في البلدين، قاسم سليمان جعل من نفسه كلي الوجود، (صاحب السيطرة الكلية المنفردة). المرء قد يراه واقفا (جالسا) على غطاء محرك «الكميون» أو على صندوقها (المفتوح). محاط بمقاتلين، يتدافعون ويسكتون بعضهم بعضاليسمعوه ويرونه بشكل أفضل. أتباعه، أو أنصاره الجذلين يتألفون من ميليشيات شيعية من دول متعددة يقاتلون لدعم نظام الأسد، ضد مجموعة تنظيم الدولة، مع أنه لا شك أبدا بولائهم الرئيسي. هذه المجموعات، ليس فقط تغني أغان عن سليماني، ولكنها أيضا تؤلف تسجيلات موسيقية تحاكي براعة «المجاهدين» وتحيي صورة الجنرال.

على أثر اندلاع الحرب الأهلية في سوريا عام 2011، سليماني أعطى الأمر لبعض ميليشياته العراقية للذهاب إلى سوريا للدفاع عن نظام (بشار) الأسد. لنفس الغاية جهز مجموعات إضافية من الميليشيات الشيعية. ضمت مجموعة من الافغان المقيمين في إيران: فرقة الفاطميون، وكتيبة الباكستانيون ولواء الزينبيون. مجرد الأسماء لهذه المجموعات تشير إلى النيات «الفرقوية» لإيران: المسلمون الشيعة يضفون على السيدة فاطمة (الزهراء عليها السلام)، ابنة النبي، مكانة تضاهي تلك التي للعذراء مريم في الكاثوليكية، بينما السيدة زينب عليها السلام، إبنة فاطمة، كانت أخت الإمام الحسين عليه السلام، الذي (استشهد) في معركة كربلاء والتي شكلت لحظة حاسمة في الانقسام السني-الشيعي. القوات التي كانت بإمرته أثرت في عدد من الهجمات الأساسية في الحرب السورية، بما في ذلك استعادة منطقة القصير من المتمردين. الصورة بدقة/واقعية، سليماني رأى أن يمزج بين إمكانيات الدولة مع قوة المقاومة بأبرع ما يمكن. بحسب التقارير، فإن الطاقم في مقره السري في دمشق يضم كوادر ميليشيات من اللبنانيين والعراقيين يعملون جنبا إلى جنب مع جنرالات من إيران وسوريا.

في حزيران 2014، قوات الدولة الإسلامية (داعش) استولت على مدينة الموصل، مدينة في شمال العراق عدد سكانها يقارب المليونين. أمام تقدم الجهاديين، عشرات الآلاف من القوات العراقية والبوليس الفيديرالي (الاتحادي) تجردوا من بزاتهم وذابوا. بحدود تشرين الأول 2014، الدولة الإسلامية وصلت ضواحي بغداد وأمطرت دوائر المطار الدولي للمدينة بالقذائف الصاروخية. في ظل غياب جيش عراقي يعول عليه، أحد ما يجب أن ينقذ المدينة/العاصمة. سليماني ووكلائه من الشيعة، إضافة إلى ميليشيات أخرى، كانوا سعيدين بتنكب هذا الواجب. في هذا الحين، أمر سليماني بعض الميليشيات الشيعية، التي كانت تؤدي دورا في حماية (نظام الرئيس) الأسد، لتعود وتعبر الحدود لإنقاذ الدولة العراقية. المقاتلون المشاركون في حملة الدفاع نظموا أنفسهم باسم قوات الحشد الشعبي، كمؤسسة مظلة للتنسيق مع الحكومة في بغداد. معظم قوات الحشد الشعبي تتألف من الشيعة، وغالبية هؤلاء، بطريقة أو أخرى، حلفاء لإيران، وإن كان ليس كلهم يقعون تحت أمرة سليماني المباشرة. ولكن قوات سليماني هي الأكبر من بينهم، هؤلاء شهدوا أعنف المعارك- مستفيدين مرارا من التغطية العسكرية الأميركية للقوات العراقية الرسمية على الأرض. مثلا، كانوا هم الحاسمين في إستعادة تكريت، وسليماني نفسه كان قد صوَر مرارا في الخطوط الأمامية.

في حديث لاحق في ذلك العام (2014)، خلال المنتدى الاقتصادي العالمي في دافوس، رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي شكر إيران على إمداد العراق الفوري بالقوة العسكرية والذخائر، «من دون السؤال عن الدفع الفوري». وهو احتفظ بمديح مخصوص لقاسم سليماني، مسميا له بالاسم كأحد أهم حلفاء العراق في الحرب ضد الدولة الإسلامية.

اليوم، لا تحتفظ الدولة الإسلامية بأي منطقة مهمة في العراق. لكن قوات الحشد الشعبي لم ترحل. حتى مع بدايات 2018، كانت قدرة قواته قد تراوحت بين 100000 ألف مقاتل و150000، معظمهم متحالف مع إيران. بعد وقت طويل من هزيمة تنظيم الدولة المحسومة، رئيس الوزراء حيدر العبادي كان اعتبر الحشد الشعبي على أنه «أمل العراق والمنطقة». حقاً، حكومة العبادي خندقت قوات الحشد الشعبي أكثر، صانعة منه قوة أمنية يعتمد عليها، وتتبع مباشرة لمكتب رئيس الوزراء-هذا الموقع، بتفاهم متمادي (طويل)،

تبوأه على الدوام مسلم شيعي. في الوقت الذي ضمت مجموعات مركبة من الحشد الشعبي إمرتها لمكتب رئيس الوزراء، فإن مجموعات أخرى-من ضمنها مجموعات مهمة تربطها علاقات حميمة مع طهران- رفضت ذلك مفضلة الاحتفاظ باستقلاليتها. محاولات حكومة العبادي لجلب هذه المجموعات لإمرة الحكومة لاقت مقاومة، وتحذيرات، وأحيانا حالات عنف، مقترحةً على الحكومات المستقبلية الحاجة لدرس خطواتها بعناية عند التعامل مع قوات الحشد الشعبي.

في هذه الأثناء، مجموعات قوات الحشد الشعبي أصبحوا أنفسهم قوة غب الطلب. في سنة 2018، عدة ميليشيات كبيرة موالية لسليماني، بما فيها منظمة بدروعصائب أهل الحق (كلتيهما حاربتا القوات الغربية أثناء الاحتلال الأميركي) شكلتا تحالفا سياسيا، تحالف الفتح، الذي فاز ب 48 مقعدا في مجلس النواب العراقي في انتخابات أيار 2018. في المفاوضات السياسية التي أعقبت الانتخابات، طهران، مبدئيا، سمت هادي العامري، قائد منظمة بدر وتحالف الفتح، كواحد من المرشحين المفضلين لرئاسة الوزراء (الإسم الآخر كان رئيس الوزراء السابق نوري المالكي). العامري اعترف بصداقته وإعجابه بسليماني بكلمات مؤثرة. (العامري)، كوزير للنقل في حكومة المالكي 2010-2014، كما زُعم، سمح لطائرات نقل مزودة من إيران إلى حزب الله لتعبر سماء العراق بتوصية من سليماني.

دور سليماني في السياسة العراقية استمر بقوة. قبيل استعادة مدينة كركوك من قوات البيشمركة الكردية خريف 2017، سليماني سافر شخصيا إلى كردستان في ثلاث مناسبات على الأقل ليرسل رسالة تهديد مبطنة للقيادة الكردية لمصلحة العبادي الذي أصبح رئيسا للوزراء. لا شك أن هذه التحذيرات رمت بثقلها على القرار النهائي الكردي بتسليم المدينة تقريبا بدون قتال. سليماني، وبمناورة عملية، مركز ميليشياته بشكل حاذق بحيث يستطيعون إشعال المنطقة والسيطرة على كل المواقع حول المدينة.

مستخلص: استدعاء «الدب» الروسي: في 15 تموز 2015 سافر سليماني إلى موسكو. اجتمع مع وزير الدفاع الروسي والرئيس بوتين. أقنعهما بالتدخل الروسي في سوريا لمصلحة نظام الرئيس الأسد. كما أن في ذلك مصلحة إيرانية-روسية مشتركة في مواجهة الأطلسي

وأميركا. الطيران الروسي قلب المعادلة لصالح النظام والحلفاء. في كانون أول 2016 شوهد سليماني يتجول في قلب مدينة حلب التاريخية.

قوات الحرس الثوري بقيادة سليماني شاركت بفعالية. استنادا إلى مؤسسة واشنطن لدراسات الشرق الأدنى التي قدرت عدد قوات الحرس بحوالي 700 إلى 3000. تحملت هذه القوات خسائر تصل إلى 349 (شهيدا) ضباطا وأفرادا. سليماني يعتقد أن تقوية «محور المقاومة» يستحق التضحيات، خاصة للناحية الجيو-سياسية التي تتمتع بها كل من سوريا ولبنان.

- (كرونولوجيا) أهم المحطات التاريخية في مسيرة (الشهيد) قاسم سليماني:

1979 - انضم إلى حرس الثورة الإسلامية الإيرانية بعد وقت قصير على تشكله في شباط **1979**. بعد إكماله دورة تدريبية أولية أصبح مدربا للمتطوعين الجدد.

1980-1988 الحرب العراقية-الإيرانية. خلال هذه الحرب لم يفارق الشهيد سليماني المواقع العسكرية المتقدمة وشارك مباشرة في المعارك الأساسية. رقي إلى رتبة قائد الفرقة 41 (ثار الله) في الحرس الثوري.

بعد انتهاء الحرب (المفروضة) انتدب (الشهيد) إلى منطقة كرمان ليشارك في حرب إيران على عصابات المخدرات في تلك المنطقة.

1990 - حتى تعيينه قائدا لقوة القدس في الحرس الثوري في آذار 1998 على أبعد تقدير.

في هذه الفترة أشرف على الجهود العسكرية الإيرانية في مواجهة طالبان على الحدود مع أفغانستان، الانضمام إلى تحالف الشمال في أفغانستان.

2000 - .. بعد الغزو الأميركي للعراق عام 2003 أشرف (الشهيد) سليماني على جهود قوات القدس لدعم قيام عدد من الميليشيات الشيعية ومهاجمة القوات الأميركية والقوات الحليفة لها في العراق.

2006 - لعب (الشهيد) سليماني دورا استراتيجيا إلى جانب حزب الله خلال الحرب ضد «إسرائيل».

2008 - «أعلن سليماني أنه يقود سياسة إيران في العراق وسوريا ولبنان وغزة وأفغانستان». في رسالة ألكترونية بعث بها إلى الجنرال ديفيد بترايوس. (قائد قوات التحالف في العراق عبر تلفون جلال طالباني).

2010 - العقد الحالي. قائد الجهود العسكرية الإيرانية المباشرة وغير المباشرة في الحرب الأهلية السورية (201 -1..)، وفي العراق (2014 -..) وفي اليمن(2015 -..)

(الكاتب علي صوفان يعدد الفصائل والمجموعات العراقية والأفغانية وغيرها والتي أشرف الشهيد سليماني على تدريبها وتسليحها لتوسيع محور المقاومة. يذكر «عصائب أهل الحق» و «بدر» في العراق، فرقة «فاطميون» و فيلق «زينبيون» و«حزب الله» في لبنان و«حركة أنصار الله»، في اليمن.) (المقالة مفصلة. ما قمت بترجمته أو تلخيصه إنما يقدم صورة كرونولوجية وافية، من المقالة، عن مسيرة «سيد شهداء محور المقاومة»).

مقالة للكاتبة Robin Wright

The New Yorker, January 6, 2020 ,

بعد مقتل قاسم سليماني: حبس أنفاس غير خفي يلف الشرق الأوسط

(تحت العنوان صورة للشهيد وتعليق يقول: المشيعون يبايعون قاسم سليماني، الذي قتل بغارة أميركية، والذي أحدث اهتزازا على مدى الشرق الأوسط. الكاتبة متخصصة في شؤون الشرق الأوسط)

العلم (الإيراني) الذي لف الجنرال قاسم سليماني كان مطوقا بالحشود المنتحبة في طهران يوم الإثنين (6 ك2، 2020)، حيث سقط بغارة أميركية، والتي خطفت الأنفاس. لم تشهد شوارع إيران تأججا للعواطف كهذا منذ رحيل قائدها الثائر آية الله روح الله الخميني سنة 1989. خليفته، آية الله علي خامنئي بكى علنا-كذلك فعل القادة السياسيون والضباط العسكريون- حيث كان يصلي على النعش.

إسماعيل قآءاني، خليفة سليماني في قيادة قوات القدس، جناح النخبة في الحرس الثوري، أقسم أن يواجه الولايات المتحدة. «نعد بمتابعة طريق الشهيد سليماني بثبات كما في السابق، بعون الله. والانتقام لشهادته، سيكون هدفنا إخراج أميركا من المنطقة». قال قاءاني في التشييع.

وزير الخارجية (الأميركي) الذي تحدث خمس مرات نهار الأحد مرتديا، بشكل مثير للفضول، ربطة عنق حمراء اللون في مرتين وزرقاء في المرات الثلاث الأخرى. (بدا) أنه يتباهى بالعملية الأميركية: «أزحنا الرجل (القوي) من أرض المعركة»، قال ذلك على شبكة الأخبار سي أن أن CNN لبرنامج «حال الاتحاد»، «اليوم، بعد هذا الهجوم، المخاطر على القوات الأميركية في المنطقة أقل». الآن، لا شيء يعدو الحقيقة. شكل آخر من أشكال الصراع، سري أو علني، بين الولايات المتحدة وإيران، يبدو أنه الأكثر احتمالا من أي وقت مضى، منذ أن قامت الثورة سنة 1979. الاستثمار الأميركي في العراق- جار إيران- آلاف من أرواح الأميركيين، مئات البلايين من الدولارات في الخزانة الأميركية، عقود من الجهود الدبلوماسية الأمريكية- يبدو أن كل ذلك أصبح مكشوفا (وغير آمن)، يرافق ذلك مزيدا من

الانقسامات في الشرق الأوسط. البعثات الدبلوماسية في الشرق الأوسط وجنوب آسيا عمليا شبه مغلقة، إضافة إلى مناشدة المواطنين الأمريكيين إلى الخروج من العراق وإيران والإبقاء على حالة من الحذر (الاختباء) في أماكن أخرى من المنطقة.

عوضا عن أن يكون الرجل (غير الجيد) قد مات، ها هو سليماني قادر (عند شهادته)، كما كان قبلها. موته أجج المشاعر المعادية للولايات المتحدة عبر الشرق الأوسط. وحدت المجتمع الإيراني المنقسم، وهي أيضا سرعت أول فعل (قصف إيران لقاعدة عين الأسد للقوات الأميركية في العراق) يضعضع أو يضع نهاية للوجود العسكري الأمريكي في المنطقة- هذه كانت مهمة سليماني الأولى عندما استلم قيادة قوة القدس عام 1998.

يوم الأحد (5-1-2020 أي بعد أقل من ثلاثة أيام على الجريمة)، صوت مجلس النواب العراقي، وبدون مناقشة تقريبا، على قرار طرد أكثر من خمسة آلاف جندي أميركي وقوات أجنبية أخرى، مخاطرا بست سنوات من حملة الحرب على تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) الذي قادت تحالفه الولايات المتحدة الأميركية. رئيس الوزراء العراقي عادل عبد المهدي وسم العملية الأميركية ضد سليماني ب«الاغتيال السياسي»، وضغط من أجل إجراءات عاجلة، إما إخراج القوات الأميركية أو الحد من مهامها في تدريب القوات العراقية. وقال: «على الرغم من الصعوبات الداخلية والخارجية التي يمكن أن تواجهنا، يبقى من الأفضل للعراق مبدئيا وعمليا». الاقتراع (لصالح الخروج الأمريكي) مر 170 صوتا مقابل صفر، بأكثرية الأعضاء الشيعة. أكثرية الأعضاء من السنة والأكراد لم يصوتوا مطلقا. القرار يحتاج إلى توقيع رئيس الذي يتبوأ رئاسة القيادة العليا للقوات المسلحة العراقية، الجدير ذكره أن عبد المهدي رئيسا لحكومة تصريف الأعمال منذ أن قدم استقالته في تشرين الثاني 2019. تحرك البرلمان هذا، لا زال موضوعا (للأخذ والرد) في ظل الانقسام والسياسات الهشة في العراق.

قوات التحالف- الذي تقوده الولايات المتحدة- شعر بالتهديد الكافي لتعليق عملياته العسكرية ضد تنظيم الدولة الإسلامية، المعروف بـ (داعش) لدى المتحدثين باللغة العربية، (هذا التنظيم) خضع للعديد من التحولات في الأشهر الأخيرة. لا زال لدى التنظيم ما بين 14-18 ألف «جهادي متطرف» في العراق وسوريا، بناء على تقديرات استخبارات الولايات المتحدة. القوات الأميركية أخذت مواقع الدفاع -فقط لحماية أنفسهم-في وجه انتقام

محتمل من الميليشيات المساندة لإيران، أو من إيران. «وقد صرح التحالف أن هذا الأمر حد من قدرتنا للقيام بعمليات تدريب مع شركائنا أو لمساندتهم بعمليات ضد داعش، ولهذا أوقفنا هذه النشاطات، ووضعناها قيد المراجعة الحثيثة». ثغرة تمثل هبة لداعش، الذي قام بعشرات عمليات التفجير والاغتيالات منذ انهيار خلافته في آذار الماضي، 2019. يا للسخرية، المسألة الوحيدة التي تعاونت فيها الولايات المتحدة وإيران عسكريا-بعض الأحيان من القواعد الاميركية في العراق-كان يتم محاربة المجموعة السنية المتطرفة. التوتر بين البلدين يمكن أن يؤدي إلى منح مساحة معينة لتنظيم الدولة (داعش) لإعادة تجميع نفسه.

في إيران حلق نعش سليماني وحط في ثلاث مدن: الأهواز، مدينة مشهد المقدسة، ومن ثم في طهران العاصمة- حيث جرت مراسم احتفالية هتفت فيها الحشود «الموت لأميركا»، وأحرقت العلم الأميركي. في طهران، زينب بنت سليماني-قالت لمئات آلاف المشيعين-إيران أعلنت عن وجود ملايين- أن الثأر لموت أبيها آت! «عائلات الجنود الأميركيين في غرب آسيا سيمكثون أيامهم ينتظرون جثث أبنائهم». قالت زينب، الجماهير رحبت: «أيها الأحمق ترامب، رمز الجهالة، عبد الصهيونية، لا تفكر أن قتل والدي قد أنهى كل شيء».

موت سليماني يحرك مفهوما أساسيا عند المسلمين الشيعة-استشهاد أقلية محاربة من أجل البقاء في مواجهة أكثرية-والتي تؤرخ لوجود الفرع الثاني من الإسلام، في القرن السابع الميلادي. الرعب وحد القطاعات المختلفة في المجتمع الإيراني، والذي كان لأسابيع خلت منقسما، وتظاهرات في الشوارع تتحدى الحكومة في عشرات المدن الإيرانية. الرئيس حسن روحاني، والذي بشق الأنفس حصل على انتصار منذ سبع سنوات، بعد دعوته للدبلوماسية مع الولايات المتحدة لإنهاء التوترات حول الملف النووي الإيراني، أصدر تحذيرا لاذعا خلال تعازيه عائلة (الشهيد) في عطلة الأسبوع، قال: «الأميركيون حقا لا يدركون الخطأ الفادح الذي ارتكبوه». «الثأر لدمائه سيتم في اليوم الذي تقطع فيه ألأيدي الأميركية الملوثة من المنطقة وإلى الأبد». وزير الاتصالات والمعلومات محمد جواد آذري جاهرومي أدان ترامب ووصفه بالإرهابي بـ«ربطة عنق».

نهار الإثنين، الجنرال أمير علي حاجي زادة حذر من أن إيران سترد على جبهات متعددة. «إطلاق صلية (مجموعة) من الصواريخ، ضرب قاعدة (أميركية)، أو حتى قتل ترامب لا يكفي لتعويض دماء الشهيد سليماني»، قال ذلك عبر محطة تلفزيون رسمية. «الشيء الوحيد

الذي يمكن أن يعوض دماء الشهيد يكون بالمحو التام لأميركا من المنطقة وقطع دابر شرها عن الشعوب المستضعفة في المنطقة». مسؤول كبير في الحرس الثوري، غلام علي أبو حمزة قال: «أن إيران حددت 35 هدفا في المنطقة، (وأهداف أخرى) في «إسرائيل» وخطوط تصدير النفط في الخليج الفارسي، مضيق هرمز ممر حيوي للغرب، وعدد كبير من المدمرات والسفن الحربية الأميركية تعبر مضيق هرمز، بحر عمان والخليج الفارسي».

إيران أيضا أعلنت أنها لن تلتزم، من الآن وصاعدا، بالعدد المحدد للمفاعلات المستخدمة لتخصيب اليورانيوم، الوقود المستخدم للصواريخ النووية. العدد المحدد كان جزءا مفتاحياً في «خطة العمل المشتركة» للصفقة النووية التاريخية (J. C. P. O. A.) التي أبرمت سنة 2015 بين إيران ومجموعة 5+1. ترامب سحب الولايات المتحدة، آحاديا، في أيار 2018، وأعاد فرض عقوبات بعد ستة أشهر. الدول الخمس الأخرى: بريطانيا، الصين، فرنسا، ألمانيا وروسيا- ألتزمت بالتفاهمات (المبرمة). لكن إيران بدأت منذ منتصف 2019 تدريجيا بخرق هذه الالتزامات-على قاعدة أنها لم تكن تحصل على العائدات الاقتصادية التي وعدت بها في الصفقة. هذا هو خرقها الخامس. الصفقة للآن لم تمت. «إذا كانت الولايات المتحدة وإيران راغبتين بصدق عدم التصعيد، لا زال الأمر ممكنا بالنسبة لأميركا وإيران بالعودة للإلتزام بخطة العمل المشتركة-التي أبرماها - بحسب داريل كيمبول (DaRyl Kimball)، المدير التنفيذي لوكالة الحد من الأسلحة. (أخبر الكاتبة كما تقول).

وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف، كتب تويت (رسالة ألكترونية)، قال: «إن الخطوات الخمس أتت ردا، أو خطوة مضادة للتطبيق الملزم (الفعال) للالتزامات المتبادلة». الحرب الكلامية بين الولايات المتحدة وإيران تزداد بشكل كبير على وسائل التواصل. ظريف لاحظ أن طهران ستتابع التزامها بالتعاون مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية، التي تراقب بدقة البرنامج النووي الإيراني.

مع تصاعد التوتر، أكثر من ثلاثة آلاف جندي أميركي جديد من الفرق الأميركية، حشدت في المنطقة، الرئيس ترامب أمضى عطلة الأسبوع يلعب الغولف بالقرب من منتجعه في مار-آ-لاغو، في فلوريدا-يرسل التهديدات من على صفحة تويتر عند استراحته. نهار السبت، تعهد بضرب 52 هدفا إيرانيا، بعض (هذه الأهداف) عالية المستوى وذات أهمية لإيران،

والثقافة الإيرانية. إذا استهدفت إيران الأميركيين أو المصالح الأميركية». «هذه الأهداف، إيران نفسها، سوف تضرب بسرعة وبقسوة»، أضاف ترامب. «الولايات المتحدة لا تريد مزيدا من التهديدات». اختيار رقم 52 تعبير عن الأميركيين 52 الذين احتجزوا في السفارة الأميركية في طهران سنة 1979. تهديد ترامب أغاظ جون ليمبرت، أحد الرهائن ومسؤول سياسي في آخر بعثة في السفارة الأميركية في طهران. «لا أريد أي شراكة في هذا (أخبر الكاتب) ليل الأحد الماضي. إذا كان ترامب يفعل هذا باسمي، لا ! هذه سخافة. «هو يستخدم ما أصابنا لغرضه الضلالي هذا». سألته (الكاتبة) إذا كانت إيران تخشى من تويت برافادو لترامب، أجاب «لا أعتقد». ليمبرت، والذي للأمس القريب كان مدرسا في الأكاديمية البحرية الأميركية، قال: «هم (الإيرانيون) يتوقعون أن يحصل التنمر عليهم، وأن يتم تهديدهم، خاصة من الولايات المتحدة. هذا ما يحدث منذ أربعين عاما. لا يعيرونه بال. (They shrug it off).

تدمير الأماكن الثقافية خرق لاتفاقية جنيف، و(تعد) جريمة حرب. الإدارات الأميركية المتعاقبة/السابقة أدانت بشكل متكرر تدمير طالبان لتمثال بوذا الكبير في باميان، من القرن السابع قبل الميلاد، في أفغانستان، وتدمير «تنظيم الدولة-داعش» لهيكل بال من القرن الأول الميلادي، في مدينة تدمر التاريخية في سوريا. إيران، بلاد فارس القديمة، لديها عشرات (dozens) الأماكن- مثل بريسبوليس التي يعود عهدها لآلاف السنين. نهار الأحد، جواد ظريف كتب تويتا بالإنكليزية يقول: «تذكير لهؤلاء الذين يهلوسون الذين يريدون الاقتداء بداعش وجرائم الحرب التي ترتكبها، باستهداف مواقعنا الثقافية: عبر آلاف السنين من التاريخ، برابرة أتوا وخربوا مدننا، ومحوا آثارا وأحرقوا مكتبات لنا. أين هم الآن؟ نحن هنا نقف بشموخ».

بومبيو حاول «ضبضبة» تهديد ترامب بمهاجمة أهدافا ثقافية (إيرانية)، «سنسير بحسب القوانين». قال بومبيو على شبكة ABC برنامج «هذا الأسبوع مع ستيفانوبولوس». ولكن الرئيس كررها ثانية من على طائرته الرئاسية مساء الأحد، في طريق عودته إلى واشنطن بعد عطلة 17 يوما. «سمحوا بقتل أناسا لنا»، قال ذلك لمراسلين كانوا معه على متن الطائرة: «مسموح لهم أن يعذبوا ويهينوا أناسنا. مسموح لهم أن يستخدموا متفجرات على جوانب الطرق ويفجروا اناسنا، ونحن ليس مسموحا لنا بلمس أما كنهم الثقافية؟ الأمور لا تسير هكذا».

الرئيس ترامب هدد العراق ايضا بفرض عقوبات ضخمة جدا، إذا أجبرت القوات الأميركية على

الانسحاب. «إذا لم يقوموا بذلك بحسب قواعد (اتفاقية) الصداقة، سوف نفرض عليهم عقوبات لا سابق عهد لهم بها أبدا». قال ذلك أيضا على متن الطائرة الرئاسية. سوف تبدو العقوبات على إيران، أمام العقوبات على العراق، على أنها لينة». هو حذر بغداد من أنها أيضا يجب أن تدفع تعويضات مالية للولايات المتحدة. قال (ترمب): «لدينا قاعدة عسكرية جوية غير عادية، ثمينة جدا، كلف بناؤها مليارات الدولارات، قبل مجيئي بوقت طويل. لن نترك، إلا إذا أعادوا أموالنا».

للآن الادارة الاميركية لم تفصح عن طبيعة التهديد الذي قاد ترامب لإعطاء الاوامر للقوات الجوية الاميركية التي قتلت سليماني وقائد مليشيا عراقية مهمة الاسبوع الماضي. الديمقراطيون سيقدمون مقترح قرار حول (قرار الحرب) في الكونغرس ومجلس الشيوخ (هذا الاسبوع)، «للحد من اعمال الرئيس الحربية بخصوص إيران»، قالت رئيسة الكونغرس نانسي بيلوسي (كاليفورنيا)، اخبرت كتلتها بهذا في رسالة نهار الاحد.. «ليؤكد رؤية الكونغرس-المعتمدة لوقت طويل- مسؤولياته بالطلب - انه اذا لم يأخذ الكونغرس علما بالأعمال العدوانية العسكرية للإدارة بشأن إيران، يجب ان تتوقف خلال ثلاثين يوما».

سيناتور تيم كاين، فرجينيا، ايضا تقدم بقرار مشابه في مجلس الشيوخ نهار السبت. البيت الابيض لم يلتزم بالوقت المحدد المطلوب وهو 48 ساعة بحسب المادة المتعلقة بقرار الحرب (1973)، لتقديم طلب رسمي لتدخل القوات المسلحة الاميركية. لكن بيلوسي قالت ان الإخطار/ الطلب «يثير الكثير من الاسئلة، أكثر من تقديم الإجابات.. هذه الوثيقة تتطلب جدية وسرعة لتقديم إجابات عن التوقيت، الصفة والتبرير لقرار الادارة للانخراط في اعمال عدائية ضد إيران».

في واشنطن، هناك حبس انفاس بخصوص سرعة وعمق الازمة مع إيران - مع عدم وجود إستراتيجية واضحة للخطوات التالية من الإدارة، ليس اقل من ذلك «الخروج الاستراتيجي»، اقله للآن، تبدو الديبلوماسية كأنها خارج الطاولة، على الرغم من التصريحات المتتالية للرئيس ترامب من أنه يريد الحوار مع إيران حول صفقة نووية جديدة لتجنب النزاع. في الوقت ذاته، أي من الخيارات الاخرى ستكون الولايات المتحدة اقل امانا مما كانت عليه منذ عشرة ايام. نهار الجمعة الجنرال مارك مايلي قائد القوات المشتركة، كان قد سئل عن الاخطار على الولايات المتحدة بعد قتل سليماني. «هل يوجد خطر؟» اجاب مراسلي الصحف في البنتاغون: damn Right. مؤكدا. (!)

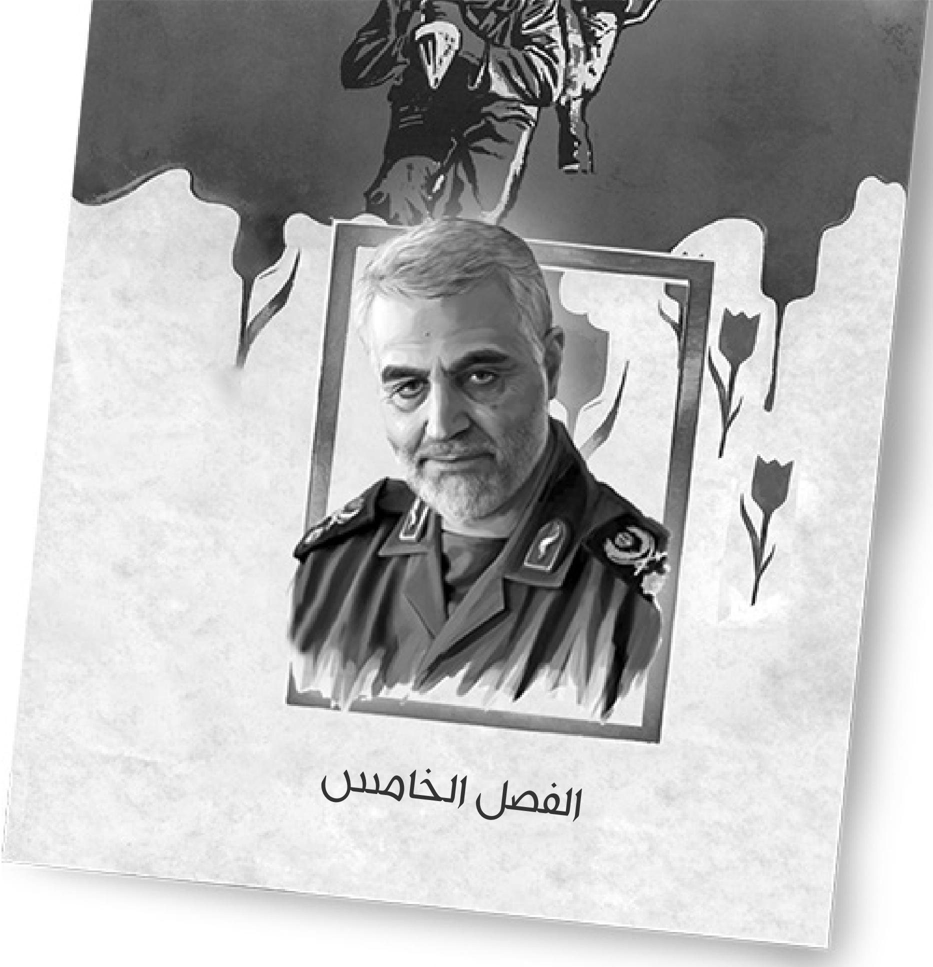

مقابلات

قائد تاريخي واستراتيجي مميز يتحدث
بحب وشغف وغضب عن قائد شهيد

قائد المقاومة الإسلامية في لبنان، الأمين العام لحزب الله، سماحة السيد حسن نصرالله يتحدث عن «سيد شهداء محور المقاومة»: مقابلة مع وكالة U NEWS الإيرانية مساء يوم 2020/2/13

لمدة ثلاث ساعات تحدث سماحة السيد حسن نصرالله عن الفريق الشهيد قاسم سليماني. وما كاد يفرغ ما في جعبته من عاطفة ومودة تجاه الشهيد. منذ اللقاء الأول كان هناك «كيمياء» بين القائدين. كان الارتياح باد على محياه، أما كلماته الغاضبة والحزينة عكست عمق الفقد لحبيب ورفيق ومجاهد هذا الزمان. هو حزن وعاطفة وفقد لعزيز، على قدر المعزة والعزة، ورفيق، على قدر الصحبة الوفية الراقية جدا والمثمرة بعظمة ونبل، والثقة والعقل المشترك. كانا صاحبا قضية عالمية، تحرير المنطقة، خاصة فلسطين وعاصمتها القدس الشريف. جمعتهما الولاية. حب الإمام الحسين عليه السلام وكربلاء، حب الإمام الخميني قدس سره والإمام الخامنئي دام ظله. وحب الحرس الثوري.

الحديث دار عن علاقة امتدت لإثنين وعشرين سنة منذ 1998-2020، عندما كان القائد الشهيد في آخر زيارة له لسماحة الأمين العام. وهو ما كان آتيا لعمل. هو أتى فقط لرؤية سماحة السيد. وكان الشهيد قال منذ أشهر: «أقبل يد سماحة السيد حسن». وكأنه أتى لوداع السيد عن هذه الدنيا. كان يريد رؤية هذا القائد السمح في آخر لحظات حياته يرتاح ويسعد برؤيته. هو لأول مرة يطلب أخذ الصور عند الجلوس، عند الوضوء، عند الصلاة، عند كل بسمة وكل حركة، قال سماحة السيد. ليسا فقط قائدين يرسمان معالم مستقبل الأمة، إنهما أنيسان يسعد الأول لرؤية الثاني، ويسعد الثاني لملاقاة النديم الأول. هي حياة عظيمين عاشا باستهداف قل نظيره. استشهد القائد سليماني. بكى نصرالله كما لم يبك حتى

الشهيد السيد هادي نصرالله، ولده البكر الذي استشهد في مواجهة الصهاينة في الجبل الرفيع-الجنوب قبل التحرير. دموع حسينية، ليس كأي بكاء. بكاء الأبطال المتوعدين بالثأر لرفيق العمر، بكاء مدد السند بالكلمة، بالبسمة، بالانتصار، بالنجاح، بصدق الوعد، بالعلاقة الناجحة المتأججة دائما والتي لا تهدأ تحرر وتبعث الأمل. هذه العلاقة بين هذين القائدين والتي حققت إنجازات تاريخية لا تخبوا ابدا، وهي نور دافق لسالكي هذا الطريق. هي إنجازات لا تضاهى على صعيد الأمة، وخلال مدة وجيزة من الزمن.

لقد جمع الأعداء كل حطبهم وأوقدوا نارا عام 2006، وكأنها كانت نار نمرود لإحراق دعوة المقاومة ورسالتها النبوية الوقادة. تصدى لهذه النار: رضوان الإلهي قائد الانتصارين (2000 و 2006)، العقل الجهادي المبدع، وسليماني الجندي العرفاني صاحب الانتصارات على جبهات سوسنكرد ونهر آروند وكل حدود حرب صدام وبوش واولمرت وترامب ونتنياهو، وغيرهم من عرب. ارتدت عليهم حروبهم، وانتصر القائدان العظيمان والأمة. أصبحت المقاومة في لبنان بقيادة سماحة السيد نصرالله بعد عام 2006، وكما حدَث الإمام السيد الخامنئي دام ظله للقائد السليماني الخميني، «قوة إقليمية مقتدرة لا أحد يستطيع هزيمتها». كعادته رد فعل السيد نصرالله بحياء وتواضع: «نريد أن نكون قوة عادية».. على كل حال، هذا ما اعترف به الصهاينة اليوم وحينها. تسيبي ليفني قالت: «ليس هناك من قوة في العالم تستطيع نزع سلاح حزب الله». القائد الشهيد شهد هذه الحرب العدوانية الضروس: امريكا أمرت ودخلت على خط هذه الحرب، بعض العرب، دفعوا أموالا واعتبروا هذه الحرب مغامرة ولاموا المقاومة وحرضوا عليها. وقف الصهاينة عند الحدود في عيتا الشعب ومارون، ولم يستطيعوا أن يحققوا إنجازا عسكريا واحدا، سوى تدمير الأبنية والبيوت وقتل الأبرياء من المدنيين كعادتهم. الجندي قاسم سليماني كان حاضرا. لم يترك الميدان على مدار المعركة. ثلاثة قادة جلسوا تحت شجرة في الضاحية الشامخة. ظللتهم الأفئدة والبارىء تعالى، قبل أن تظللهم الشجرة. كلمة الله ويده كانت في قلب المعركة. إما أن تبقى وإما أن تخفت. نزل الشرك كله للإيمان كله. كانوا ثلاثة، ولكنهم كانوا يحملون حلم مئات الملايين. أمانة شعبية حفظوها بالمقل والسهر. رفض قاسم سليماني الخروج على خط آمن، وأبى إلا أن يمكث حتى لحظة الأمان الكلي. انتصروا وانتصر في فيئهم مئات الملايين من الأحياء ومن الجينات التي تنتظر أن ترى النور الإلهي. وهو قال في خواطره ومذكراته: «لا يوجد حرب جربها العدو أصعب وأشد من حرب الـ33 يوما في لبنان. ولا يوجد

من عدو أكثر كلاسيكية وتدريبا من إسرائيل. فهؤلاء، بدهشة، رأوا أن أقوى جيوش العدو في العالم قد هزم على يد مجموعة صغيرة باسم حزب الله». (ص 97)

يقول قائد المقاومة: الحاج قاسم لم يكن قائدا عسكريا فحسب. كان صاحب فكر سياسي واستراتيجي مبدع ونادر. كان يبني على المعطيات ويركب رؤية جديدة وغير تقليدية. كان صاحب استشراف استراتيجي. يقدم الحلول والخطط الملائمة لكل المنطقة. ليس لدائرة واحدة من الصراع مع العدو الصهيو-أمريكي. كانت الخطط تأخذ بعين الاعتبار كل عناصر القوة الذاتية وقوة الأعداء. كانت الروح تتغلب دائما على الآلة التقنية العالية التركيب. تركيب النفس عند الحاج قاسم تتغلب على تركيب القوة المادية. هذا جديد في الثقافة العسكرية. ربما لا !؟ معركة الخندق (بين الإمام علي والمشرك عمر بن ود)، كانت النموذج الأول. الولاية هكذا تصبح من أفعل الأسلحة في الحروب، حتى الحديثة منها.! كانت ركنا من أركان الحرب لدى الحاج قاسم.

عاد الحاج قاسم من مطار دمشق بعد اغتيال الحاج عماد مغنية، كان متأثرا جدا. كانا سويا قبل الاغتيال في الشام. كان رفيق دربه وعمره وكان يحبه في الله والميدان. كانا صديقين وفين ورفيقا سلاح وخط عقائدي. حزن الحاج قاسم كثيرا. زار عائلة الشهيد الكبير، صاحب الانتصارين، 2000و 2006، الحاج رضوان. وصفه الحاج قاسم في إحدى المقابلات بأنه هو «حزب الله».

«الحاج قاسم لم يكن يملي ولا يفرض ولا يتدخل، يسعى للاطمئنان على وضع المقاومة في لبنان من منظار المنطقة. كان همه المقاومة، قوة المقاومة وحمايتها. لأن ما يجري في لبنان يؤثر على المنطقة. كان لا ينفعل أو يبدي حزنه، كان يمسك نفسه، كي لا يظهر التأثير عليه(في العلن). في خلواته كان يبكي ويتأثر على الشهداء. كان كثير التردد على عوائل الشهداء: شهداء منطقته ولوائه (ثار الله)، عائلة السيد مصطفى بدر الدين وآخرين.

عراقيا، عندما سيطرت داعش على مدن عراقية، في الموصل ..وصولا إلى ضواحي بغداد والكاظميين عليهما السلام، وكانت مخازن الأسلحة خالية من الذخائر والمعنويات العسكرية لدى الجيش في الحضيض. الوضع في العراق كان مأساويا. حضر الحاج قاسم إلى بغداد واتصل مع قيادات الفصائل .. نزل إلى الميدان. كان على طريق بغداد سامراء ..كاد أن يقتل. أتت فتوى المرجع الكبير السيد السيستاني في الدعوة إلى الجهاد والتطوع لرد داعش. وصل الحاج قاسم إلى الشام ليلا، منتصف الليل، واتصل وقال: «أريد 120 قائد عمليات، لا نريد عناصر، للدفاع

عن المقدسات. قال الحاج قاسم أريدهم مع الفجر ليذهبوا معي إلى العراق. قمنا بالاتصالات وأمَنا حوالي ستين من الكوادر. خلال 22 يوما لم يطلب من الحاج قاسم شيئا إلا للعراق. كانت الدنيا، في هذه الفترة، بالنسبة للحاج قاسم، هي العراق.كان همه إبعاد الخطر عن العراق وإيران أيضا. تطورت العلاقة مع الحاج أبو مهدي المهندس بعد استلام الحاج قاسم قيادة قوة القدس، وخاصة بعد ما حصل في العراق وتشكيل الحشد الشعبي.

كان الحاج قاسم دائما في الخطوط الأمامية. كان في أماكن الخطر، في العراق وسوريا. يرفض أن يكون في الصفوف الخلفية. عاشق للشهادة، لكن ليس كيفما كان. كان لديه رؤية. كان لديه شجاعة وصمود وتحدي. وكان يعتقد أن الانتصار لا يتحقق بإدارة خلفية. نفس وجوده في الجبهة كان يعطي الشجاعة للمقاتلين، وقوي البعد النفسي والروحي. كان يتعامل مع المقاتلين بكل حب وود، خاصة هؤلاء منهم الذين في الخطوط الأمامية. كان الحاج قاسم مدرسة في الجهاد والمقاومة. لم يكن يرفض أن يلتقطوا صورا لهم معه وينشرونها، وإن كان هو شخصيا لم يكن يرغب بأن تنتشر صوره.

في لقاء طويل مشترك، يقول سماحة السيد، مع الحاج أبو مهدي والحاج قاسم، منذ مدة ثلاثة أشهر، جرى استعراض التطورات في العراق، والوضع في لبنان وفيما إذا حصلت حرب إسرائيلية على لبنان، كيف يمكن للعراقيين أن يشاركوا في الدفاع عن لبنان.

في آخر لقاء، يقول سماحة السيد أنه لفت نظر الحاج قاسم إلى أن الأميركيين يسلطون الضوء عليك في إعلامهم وأن مجلات أميركية مهمة تذكرك وتكتب عنك. هذه مقدمات لعمليات اغتيال. الحاج قاسم كان يجيب: هذا جيد. كان أكثر مرة أراه مرتاحا وسعيدا، وجهه منورا. يقول السيد: أنا خفت عليه، رجوته ألا يذهب! قال الحاج قاسم: أريد أن أذهب، لدي لقاء مع رئيس الوزراء (العراقي) صباح الغد. بعد الساعة الثانية عشرة-منتصف الليل- سمعت بالخبر، «قصف صواريخ كاتيوشا على مطار بغداد»، كنت اعتقد ان هناك توتر. طائر الحاج قاسم كان يفترض أن تقلع الساعة السادسة. تحركت متأخرة ليلا. اعتقدت أن الحاج استشهد. لم أكن أعرف أن الحاج أبو مهدي كان في المطار. منذ اللحظة الأولى اعتقدت أن الحاج قد استشهد. كنت أتابع إلى أن تأكدت أن الحاج استشهد.

«هو يوم من أيام الله». هذه حادثة إلهية. التشييع: من الذي يأتي بالناس، بهذا العدد

المليوني الكبير في إيران، على الرغم من هذا الطقس المثلج والقارس. حب الناس له. «هو في قلوب الناس وهو ولي من أولياء الله».

في المضمون: فقدوا حبيبا وعزيزا يبكونه بحزن شديد. بالنسبة لي، يقول سماحة السيد: «فقدت أعز الأحباء». الحاج قاسم ظاهرة إلهية. هذه حادثة تاريخية تقسم التاريخ قسمين: ما قبل الاستشهاد وما بعدها. كسرت كل الخطوط الحمراء. المقاومة وشعوبنا بمواجهة مباشرة مع الولايات المتحدة. فتحت أبواب الجهاد.

كانوا يظنون أن المقاومة ستضعف وأن إيران ستضعف. على العكس قوة إيران هي التي ضربت اكبر قاعدة أميركية في عين الأسد. محور المقاومة يتقدم ولا يتراجع. مثال في اليمن معركة البنيان المرصوص وغيرها .. في سوريا تقدم، مسؤوليتنا في كل الساحات أن نتقدم، لا أن نتراجع. تقدم في مواجهة الإرهاب وصنوهم الكيان الغاصب. لاحظ، موقف المقاومة والشعب الفلسطيني. دماء الشهداء أعطت دفعا قويا. هذه ولادة جديدة لمحور المقاومة. لا مجال للقلق ببركة وجود سماحة القائد الإمام الخامنئي دام ظله. سيكون تأثير الشهيدين أقوى وأكبر. صفقة القرن لن يستطيعوا فرضها.

هذه الشخصية المتكررة لن يستطيعوا حذفها، هي حاضرة: في القلوب والنفوس وفي ميدان المعركة، هي أبدية الوجود في الانفس المقاومة ولا أحد يستطيع اقتلاعها.

يتابع السيد: من أعظم النعم الإلهية هي معرفتي بالحاج قاسم سليماني. صداقة، محبة، «نفكر مثل بعض»، بسهولة يمكن أن يقنع أحدنا الآخر. هو يأنس بي وأنا آنس به. أثق به كثيرا، وهو كذلك. أخ عزيز وحبيب، حاضر أن أفديه بروحي. (وأفاض سيد المقاومة بما يكنه للحاج قاسم سليماني) وقدم فرضية أن يأتي ملك الموت ويسأل السيد: بأنه، ملك الموت، ذاهب إلى إيران ليقبض روح الحاج قاسم سليماني، أو (البديل) أن نقبض روحك. ماذا أقول لملك الموت؟ تأخذني، واترك قاسم سليماني. لأجل الحب والود والعاطفة التي بيننا. وجوده يخدم الإسلام والمسلمين أكثر من وجودي. هذا ما كان يمثله لي الحاج قاسم سليماني. بحزن بالغ، ونقمة عارمة على الأعداء الغادرين، يختم القائد والأمين سماحة السيد حسن نصرالله مقابلته التاريخية.

(ملاحظة: استخلاص وصياغة الكاتب، عدا الاقتباسات ما بين مزدوجين)

مقابلة أجراها الكاتب مع المستشار الثقافي للجمهورية الإسلامية- مكتب بيروت- سعادة الدكتور عباس خامه يار (4 آذار 2020)

توقف المستشار عند حدث التشييع الذي لم تشهد إيران مثيلا له منذ 2500 سنة. أي ما قبل الإسلام. هذا التشييع على رمزيته كان في قلب الواقع والحقيقة. على مدى التاريخ، والعالم أيضا، لم نشهد تشييعا بمثل هذه الروحية والاجتماع. بشهادته تتوج الحاج قاسم على قلوب المحبين، وخاصة في إيران. صحيح أن محبيه كانوا من كل العالم الإسلامي، إلا أنه في إيران له رمزية خاصة. هو قائد القلوب، وقائد العشق. سردار عشق. والذي يعرف الأدب الفارسي، حافظ شيرازي وجلال الدين الرومي ومولوي، يعرف اللغة المعنوية هذه. هذا له ميزة تاريخية ومفهوم خاص. من شاهنامة، ملحمة فردوسي، زال، فرهاد، رستم، كل هذا اجتمع في ثقافة الإيرانيين عن الشهيد. إن أسماء القهرمان، الأبطال، أصحاب الملاحم، الرجل الرجل. ربما هذه الملاحم فيها خيالات وأوهام، لكن مع الحاج قاسم تحولت إلى ملحمة حقيقية.

دينيا ومذهبيا هو ولي من أولياء الله. وهو في الخط الأول من فرادة العترة النبوية الشريفة. هو بسيره وسلوكه سليل العترة النبوية، سيد/سردار. هذا الامتياز لم يستطع أحد أن يخترقه سواه. تاريخيا لم يستطع أحد أن يصل إلى هذا المقام. الحاج قاسم ولي من أولياء الله: يتبركون به، هو إمام زاده، مقدس، قديس، وهو تعامل مع الناس هكذا. بدورهم الناس تعاملوا معه بهذه الصفة والميزة.

لم يكن الحاج قاسم رجلا قوميا، ولم يكن رجل دين معمما، كان مسؤولا في الخارج في بعد إنساني عالمي. في إيران كان الاستفتاء على هذا الموضوع: عالمية المقاومة. ليس فقط على حدود إيران. شعار فقط إيران، لا غزة ولا لبنان سقط عند استشهاد الحاج قاسم. الناس في إيران أحبوا الحاج قاسم لأنه استشهد في هذه المهمة. وسقطت كل الآمال الأميركية التي كانت تراهن على الانقسام الداخلي حول مهمة الحاج قاسم في المقاومة، وفاز هو. هو أسقط كل الحرب الناعمة في إيران، والمنطقة أيضا.

القوة الناعمة التي أنجزها باستشهاده هي أكبر خطرا من الحاج قاسم. (يعتقد صاحب كتاب نهاية التاريخ، فرنسيس فوكوياما، أن الثورة تنتصر بسبب القوة الناعمة). عندما قام

المنافقون باغتيال الشهيد بهشتي خرج الناس وقالوا: كلنا بهشتي، وهكذا عندما اغتيل رجائي وباهنر. قام أعداء الثورة باغتيال المئات، ومع كل اغتيال كانت الحشود من الشعب تزداد وتتمسك بالثورة. التشييع كان يغير الأمور. مع شهادة الحاج قاسم رأينا كيف ينتصر الدم على السيف. هنا يتجلى محرم وكيف أن كربلاء الإمام الحسين عليه السلام قدمت هذه البركات والانتصارات التي تحققت.

هذه شهادة إلهية. أن يقتل بهذه الطريقة التي كان يتحدث عنها في مناسبات عدة ويتمناها على هذا الشكل، هذه مسألة ليست عادية. كان خوفه أن يموت على الفراش. الله أكرمه بهذه الشهادة.

لقد أنجز القائد الشهيد معظم ما أراده: في اليمن وفلسطين وسوريا والعراق ولبنان. أن يتمكن الأخوة في اليمن من الصمود وتحقيق هذه الإنجازات العظيمة لا شك أنها مفخرة للحاج قاسم وثمرة من ثمار عقله وروحه. انتفاضة فلسطين من الحجر إلى الصاروخ، هذا أيضا. كذلك في كل مكان ذهب إليه.

لقد قضى الحاج قاسم على سايكس بيكو رقم 2 ووعد بلفور جديد والذي يطل برأسه مع «صفقة القرن». كنا بحاجة إلى هذه الدماء لتحفظ خط المقاومة والثورة. (انتهى نص المقابلة مع المستشار الدكتور عباس خامه يار)

مقابلة مع السفير الإيراني في بيروت
السيد محمد جلال فيروزنيا 4 آذار 2020

بسم الله الرحمن الرحيم

وفقت للعمل مع الشهيد الحاج قاسم مدة تتراوح بين 4-5 سنوات، خاصة في الملف العراقي، حيث كنت أذهب إليه في مكتبه. هذه الفترة التي وفقت للعمل بها معه كانت من أفضلفترات حياتي التي أفتخر وأعتز بها. خلال هذه الفترة تعرفت عليه عن قرب وعرفت شخصيته في العمل. سردار سليماني، الفريق سليماني كان يتمتع بشخصية كاريزماتية جدا. لقد صقله الإسلام، لم يكن الأمر صنيعته. نحن عملنا معه وخبرناه جيدا: عميق التفكير، كبير، استراتيجي، دؤوب، ذو رؤية استراتيجية واضحة، يعرف كيفية الوصول إلى الأهداف. هذه هي بعض مواصفاته.

من الناحية المهنية، يمتلك الاقتدار والخصوصية التي يتفرد بها. عملت مع كثيرين، قلة هم نظراؤه، تخصصه في العمليات، قمة في هذا المجال مقارنة باستراتيجيين عالميين كبار. من النادر أن تعثر على شخصية مثل الشهيد قاسم. كاريزماتي، لكن واقعي. لديه جاذبية استثنائية للناحية الاخلاقية في صحبته. في الجلسات معه، يتشاور، يتعاون. لقد تعلمنا كثيرا من هذه الجلسات. كان شخصية عسكرية فائقة القوة. Typology نموذج في هذا المجال. وهو أيضا متدين بشكل عميق. من الأهمية بمكان أن تعثر على عسكريا ملتزما دينيا. كان يأخذ كل هذه الأمر بعين الاعتبار. نموذج الإمام علي عليه السلام، حاضر فيه. عندما وقعت معركة الخندق بين الإمام علي وعمرو بن ود، لم ينفعل الإمام عليه السلام رغم شتيمة عمرو له. هكذا كانت أخلاقيات الحاج قاسم.

في الأهداف الكبرى، كما في التفاصيل، كان يأخذ الأمور الشرعية بعين الاعتبار، وفي كل ما يقوم به. شوقه الكبير للشهادة لم يكن مصطنعا. كان نقي الإخلاص لمدة أربعين عاما، في إيران، في العراق وفي لبنان. هذه العواطف الجياشة والإخلاص بدا في كل هذه المواقع. وبذات الوقت لقي كل التقدير والاحترام من الشعوب التي قدرت له 40 سنة من الجهاد. لقد تخلد في صفحات التاريخ. وتحول إلى قدوة ونموذج يحتذى. ترامب واهم أنه قتله. لا! الشهيد سليماني شهيد حي، شاهد على كل ما يحدث في المنطقة. سليماني الشهيد

أكثر حضورا من الحاج قاسم وأشد تأثيرا. الشهيد سليماني، عدا عن كونه شخصية عسكرية، تعاطيه الشخصي مع الناس العاديين، مع الجميع، كان ضمن التوجهات الإسلامية المخلصة والوفية.

هذا مع أنه كشخصية عسكرية لم يستطيع أحد أن يبرز عضلاته العسكرية أمامه. مع وجود هذه الهالة، كان الجميع يلتفون حوله كالفراش حول الشمعة. العلاقة مع العاملين بإمرته كانت مميزة. كان خلوقا. كان يتقدم الصفوف الأمامية في المواقع العسكرية. نموذجه إنساني راق. احتضن أسر وعوائل الشهداء بمحبة ومودة. كان يعشق المستضعفين في العالم، ليس في إيران فحسب.

مع كل عظمته لم ينس ارتباطه بالطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها. بقي وفيا لمسقط رأسه على الرغم مما بلغه من مرتبة. استطاع أن يقيم أفضل علاقة مع جماهير منطقته. ارتباط عمبق، ارتباط وجودي. الفريق سليماني شخصية عسكرية محترفة كان يتمتع بحكمة وتدبير على مستوى السياسة العالمية وصنع الأدوار. خلال عقدين من الزمن أمور مهمة جدا حدثت. دور مهم في احتضان المقاومة وتأثيرها على صعيد المنطقة. غزا الأميركيون العراق عام 2003 من أجل تغيير خارطة المنطقة. الآن هم يعترفون بالفشل. الشخص الذي كسر شوكة المشروع الأميركي هو سليماني. العسكريون منهم يقرون بهذا الأمر .

في سوريا، كثيرون كانوا يراهنون على أن القضية ستحسم خلال أسابيع. أحد الشخصيات الرئيسية في إفشال هذا العدوان كان الحاج قاسم. التطورات التي حدثت خلال ثلاثة عقود: في أفغانستان واليمن ومناطق أخرى، كان الحاج قاسم يتصدى فيها للأعداء. سليماني شخصية تتمتع بمزايا كثيرة ولا أريد أن أغالي وأبالغ.

طبعا نحن نفهم استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، سيد الشهداء وهو أفضل وأسمى الشهداء، شهادة سليماني تأتي في هذا الأفق، قريبة في معانيها من خواص الأصحاب. كما أننا نستعرض شخصية أمير المؤمنين عليه السلام، كان قلبه يحمية، رأفته ورحمة الأيتام والفقراء والمحتاجين. الفريق سليماني كان يتمثل هذه الشخصيات، وهو وفق وأصبح نموذجا جميلا.

النقطة الأساسية هي ساحة المقاومة التي أعطاها الحاج قاسم خصوصية جديدة ومرحلة

جديدة عدة وعددا. معه حصل تطور مهم في عملها وفلسفتها لم يكن موجودا قبله. محور المقاومة تحول إلى رقم صعب، ولا أحد يستطيع أن يقول غير ذلك.

العلاقة مع الحوثيين في اليمن أنا بدأتها، قبل حوالي 30 سنة. هذه العلاقة بدأت من الصفر. من نقطة البداية بلغت الآن مرحلة متقدمة وتصاعدية قوية. في الخمس سنوات الأخيرة وبفضل الحاج قاسم انظر اين وصلت؟ وكيف أصبحت قوة أنصار الله واليمن. الحشد الشعبي في العراق وقوته وفصائله التي رتبها-مع آخرين- الحاج قاسم. في سوريا، الشهيد هو الذي تحدث إلى الرئيس الروسي بوتين.

في إيران نحن نسعى لكي نحافظ على المقاومة في فلسطين. على الرغم من مواقف البعض تجاه القضية السورية، إلا أن الأهم هو حفظ المقاومة.

أما ما لم يستطيع تحقيقة في حياته هو تحرير القدس. أما النظرة إلى تحريرها لا تزال مستمرة. نريد تحرير القدس، وإخراج القوات الأميركية من المنطقة. هذه الأمور يجب أن تتحقق. لقد فقدنا شهيدا كبيرا. ولكن مفهوم الثورة لن يتوقف، ومع استشهادة هذه الثورة لن تتوقف. هناك الآلاف الذين سينهضون باستشهاده، وتستمر حركة الثورة، ولن تقصم ظهرها. سوف نمنع حصار المقاومة، ونسهل عملها من الناحيتين العملية والاستراتيجية.

نشعر بالأسى والحزن، إلا أن ذلك ليس نهاية المطاف، خاصة أن كل الشعب في إيران يقول: «أنا قاسم سليماني.».

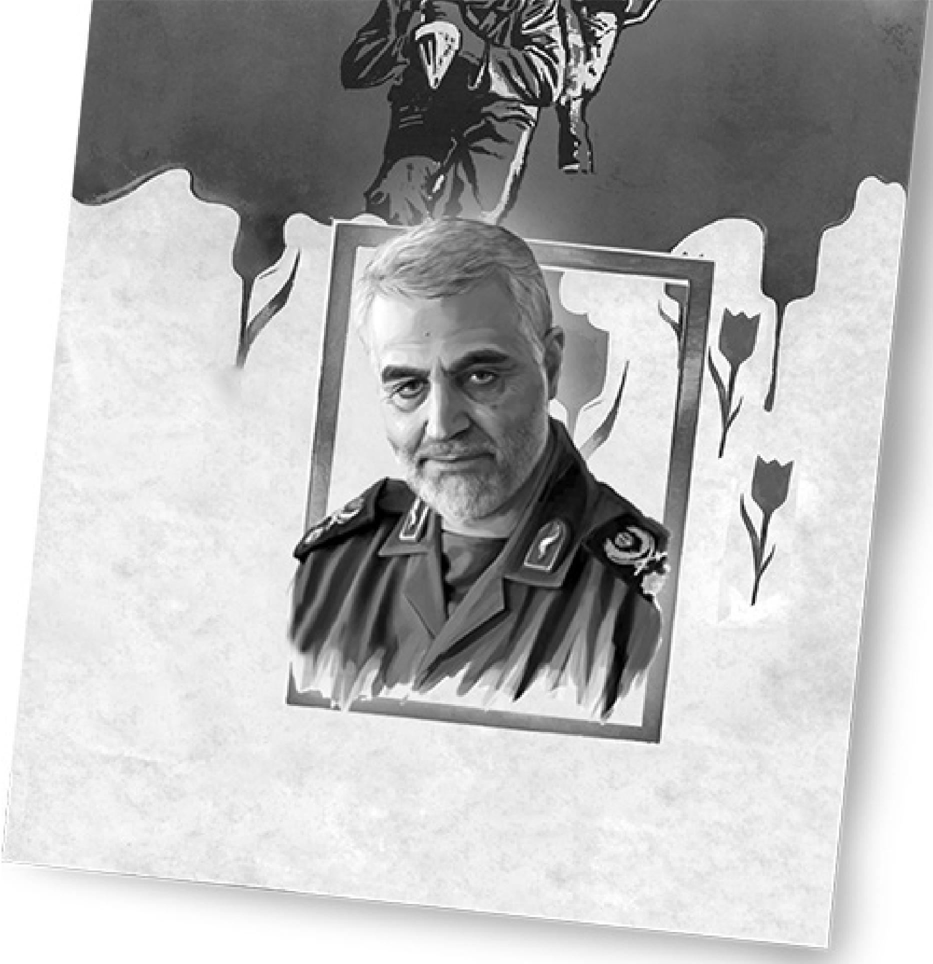

وصية الشهيد القائد الحاج قاسم سليماني

في مراسم أربعينية الشهيد الحاج قاسم سليماني، قرأ العميد اسماعيل قاآني قائد قوة القدس التابعة للحرس الثوري الإيراني الوصية السياسية لقائد فيلق القدس الشهيد قاسم سليماني.

وفي وصية الشهيد الحاج قاسم سليماني توجه فيها الى المقاومين والمجاهدين بالقول، «إخوتي وأخواتي المجاهدين في هذا العالم، يا من أعرتم الله جماجمكم وحملتم الأرواح على الأكفّ ووفدتم إلى سوق العشق من أجل البيع، فلتلتفتوا: إن الجمهوريّة الإسلاميّة قطب الإسلام والتشيّع، مقرّ الحسين بن علي، اليوم، هو إيران فلتعلموا أنّ الجمهوريّة الإسلاميّة هي الحرم، وسوف تبقى سائر الحُرم إنْ بقي هذا الحرم. إذا قضى العدوّ على هذا الحرم فلن يبقى هنالك من حرم، لا الحرم الإبراهيمي ولا الحرم المحمّدي».

وقال، «إخوتي وأخواتي! العالم الإسلامي بحاجة دائماً إلى قائد؛ قائد متّصل بالمعصوم ومنصّب بصورة شرعيّة وفقهيّة. تعلمون جيّداً أنّ أنزه عالم دين والذي هزّ أركان العالم وأحيا الإسلام، أعني إمامنا الخميني العظيم الجليل، جعل ولاية الفقيه الوصفة المنقذة الوحيدة لهذه الأمّة؛ لذلك عليكم أنتم الشّيعة الذين تعتقدون بها اعتقاداً دينياً، وأنتم السنّة الذين تعتقدون بها اعتقاداً عقليّاً، أن لا تتخلّوا عن خيمة الولاية وأن تتمسّكوا بها من أجل إنقاذ الإسلام بعيداً عن أيّ نوع من أنواع الخلاف. الخيمة هذه هي خيمة رسول الله ﷺ. أساس معاداة العالم للجمهوريّة الإسلاميّة يهدف إلى إحراق وتدمير هذه الخيمة. فلتطوفوا حولها».

وأضاف، «والله والله والله لو أصاب هذه الخيمة أيّ مكروه، فلن يبقى لا بيت الله الحرام ولا المدينة ولا حرم رسول الله، ولا النّجف، ولا كربلاء، ولا الكاظمان، ولا سامراء، ولا مشهد؛ وسوف يلحق الضّرر بالقرآن».

وتوجه الى الإيرانيين بالقول، «إخواني وأخواتي الإيرانيّين الأعزّاء، أيّها الشّعب الشّامخ والمشرّف الذي ترخص روحي وأرواح أمثالي آلاف المرّات لكم، كما أنّكم قدّمتم مئات آلاف الأرواح لأجل إيران والإسلام؛ فلتحافظوا على المبادئ. المبادئ تعني الوليّ الفقيه، خاصّة هذا الحكيم، المظلوم، الورع في الدّين، والفقه، والعرفان والمعرفة؛ فلتجعلوا الخامنئي العزيز عزيز أرواحكم، ولتنظروا إلى حرمته كحرمة المقدّسات».

وقال، «أيها الإخوة والأخوات، أيها الآباء والأمهات، يا أعزائي! الجمهوريّة الإسلاميّة تطوي اليوم أكثر مراحلها شموخًا. فلتعلموا أن نظرة العدوّ إليكم ليست مهمّة. أيّ نظرة كانت للعدوّ تجاه نبيّكم وكيف عامل [الأعداء] رسول الله وأبناءه، وأيّ تهمٍ وجّهوها إليه، وكيف عاملوا أبناءه الأزكياء؟ لا يؤذينّ ذمّ العدوّ وشماتته وضغوطاته إلى تفرقتكم».

وتابع، «اعلموا - وأنتم تعلمون- أنّ أهمّ إنجازٍ مميّز للإمام الخميني العزيز كان أنّه جعل في بادئ الأمر الإسلام ركيزة لإيران، ومن ثمّ جعل إيران في خدمة الإسلام. لو لم يكن الإسلام ولو لم تكن تلك الروح الإسلاميّة سائدة في هذا الشّعب، لنهش صدّام هذا البلد كذّئب مفترس؛ ولقامت أميركا بالأمر نفسه ككلب مسعور، لكنّ ميزة الإمام الخميني أنه جعل الإسلام ركيزة ورصيداً؛ وجعل عاشوراء ومحرّم، وصفر والأيام الفاطميّة سنداً لهذا الشّعب. لقد أشعل الثورات داخل هذه الثّورة. ولهذا جعل الآلاف من المضحّين في كلّ مرحلة من أنفسهم دروعًا تحميكم وتحمي الشعب الإيرانيّ وتراب الأراضي الإيرانيّة، والإسلام، وجعلوا أعتى القوى الماديّة ترضخ ذليلة أمامهم. أعزّائي، إياكم أن تختلفوا في المبادئ».

وشدد على أن «الشهداء محور عزّتنا وكرامتنا جميعًا؛ وهذا الأمر لا ينحصر بيومنا هذا فقط، بل إنّ هؤلاء اتّصلوا منذ الأزل ببحار الله جلّ وعلا الشاسعة. فلتنظروا إليهم بأعينكم وقلوبكم وألسنتكم بإكبار وإجلال كما هم حقاً. عرّفوا أبناءكم على أسمائهم وصورهم، وانظروا إلى أبناء الشهداء الذين هم أيتامكم جميعاً بعين الأدب والاحترام. فلتنظروا بعين الاحترام إلى زوجات الشهداء وآبائهم وأمّهاتهم، وكما تعاملون أبناءكم بالصّفح والتغاضي، عاملوا هؤلاء بعناية واهتمام خاصين في غياب آبائهم وأمهاتهم وأزواجهم وأبنائهم».

وقال، «عليكم باحترام قواتكم المسلّحة التي يقودها الوليّ الفقيه اليوم، وذلك من أجل الدفاع عن أنفسكم، ومذهبكم، وعن الإسلام والبلاد، وعلى القوات المسلّحة أن تدافع

عن الشّعب والأعراض والأرض كدفاعها عن منازلها، وأن تعامل الشعب بأدب واحترام، وأن تكون بالنسبة للشعب كما قال أمير المؤمنين ومولى المتّقين مصدر عزة، وقلعة وملجأ للمستضعفين والناس، وزينة للبلاد».

وتوجه الى أهالي كرمان بالقول، «أخاطب أهالي كرمان الأعزّاء أيضاً بنقطة؛ الأهالي المحبوبين الذين قدّموا خلال الأعوام الثمانية من الدفاع المقدس أسمى التضحيات وبذلوا للإسلام قادة ومجاهدين رفيعي المنزلة. أنا خجلٌ منهم دائماً. لقد وثقوا بي لثمانية أعوام من أجل الإسلام؛ وأرسلوا أبناءهم إلى المقاتل والحروب القاسية مثل عمليات كربلاء 5، ووالفجر 8، وطريق القدس، والفتح المبين، وبيت المقدس و.. وأسّسوا فرقة كبيرة قيّمة أسموها «ثار الله» محبّة بالإمام المظلوم الحسين بن عليّ عليه السلام، ولطالما كانت هذه الفرقة كالسّيف الصّارم، أدخلت الفرح والسّرور على قلوب شعبنا والمسلمين مرّات عديدة ومسحت عن وجوههم الحزن والآلام».

وأضاف، «أعزّائي! لقد رحلت عنكم اليوم حسب ما اقتضته المقادير الإلهيّة. أنا أحبّكم أكثر من أبي وأمي وأبنائي وإخوتي وأخواتي، لأنّي قضيت معكم أوقاتاً أكثر منهم؛ وبالرغم من أنّي كنت فلذة كبدهم وكانوا هم قطعة من وجودي، إلّا أنّهم أذعنوا بأن أنذر وجودي لأجل وجودكم ولأجل الشعب الإيراني».

وتمنى أن «تبقى كرمان دائماً وحتّى النهاية مع الولاية. هذه الولاية هي ولاية عليّ بن أبي طالب وخيمتها خيمة الحسين بن فاطمة، فطوفوا حولها. إنني أخاطبكم جميعاً. تعلمون أنّي كنت أهتمّ في حياتي بالإنسانيّة والعواطف والفطرة أكثر من الأطياف السياسيّة. وهذا خطابي لكم جميعاً حيث أنّكم تعتبرونني فرداً منكم وأخاً لكم وواحداً من أبنائكم».

وتابع، «أوصيكم بأن لا تتركوا الإسلام وحيداً في هذه البرهة من الزمن وهو متجلٍّ في الثورة الإسلاميّة والجمهوريّة الإسلاميّة. الدفاع عن الإسلام يحتاج ذكاءً واهتماماً خاصين. وأينما طُرحت في القضايا السياسيّة نقاشات حول الإسلام، والجمهوريّة الإسلاميّة، والمقدّسات وولاية الفقيه، [فلتعلموا] أنّ هذه هي صبغة الله؛ فلتقدّموا صبغة الله على أيّ صبغة أخرى».

وخاطب عوائل الشهداء بالقول، «أبنائي وبناتي، يا أبناء الشهداء، يا آباء وأمّهات الشهداء، أيّتها الأنوار المشعّة في بلادنا، يا إخوان وأخوات وزوجات الشهداء الوفيّات المتديّنات! الصوت الذي كنت أسمعه في هذا العالم بشكل يومي وأستأنس به فيغمرني بالسّكينة كصوت القرآن وكنتُ أعتبره أعظم سند معنوي لنفسي، هو صوت أبناء الشّهداء الذي كنتُ أستأنس به يوميّاً في بعض الأحيان؛ وصوت آباء وأمّهات الشّهداء الذين كنت ألمس في وجودهم وجود والدي ووالدتي».

وقال، «أعزّائي! فلتدركوا قيمة أنفسكم ما دمتم روّاد هذا الشّعب. اجعلوا شهيدكم يتجلّى في ذواتكم، بحيث يشعر كلّ من يراكم بوجود الشهيد في أنفسكم، ويشعر بنفس الروحانيّة والصلابة وكافّة الخصائص. ألتمس منكم الصّفح عني وبراءة الذمة. لقد عجزتُ عن أداء حقّ الكثيرين منكم ولم أوفِّ أيضاً حقّ أبنائكم الشهداء، فاستغفر الله وأطلب العفو منكم. وأرغب أن يحمل أبناء الشهداء جثماني على أكتافهم، علّ الله عزّ وجلّ يشملني بلطفه ببركة ملامسة أيديهم الطاهرة لجسدي».

وتوجه الى السباسيين في إيران بالقول»، أرغب في مخاطبة السياسيّين في البلاد بملاحظة مقتضبة سواء كانوا من الذين يطلقون على أنفسهم اسم الإصلاحيّين أو الذين يسمّون أنفسهم بالأصوليّين. ما كنت أتألّم لأجله دائمًا هو أنّنا بشكل عام ننسى الله والقرآن والقيم في مرحلتين، بل نضحّي بكلّ هذه الأمور».

واضـاف، «أعزّائي، مهما تنافستم وتجادلتم، فلتعلموا أنّه عندما تؤدّي تصرّفاتكم وتصريحاتكم أو مناظراتكم إلى إضعاف الدين والثورة بنحو من الأنحاء، فسوف تكونون من المغضوب عليهم من قبل نبيّ الإسلام العظيم ﷺ وشهداء هذا النهج؛ ميزوا الحدود ولا تخلطوها. إذا كنتم ترغبون في أن تكونوا مع بعضكم، فشرط ذلك هو الاتفاق حول المبادئ والتصريح الواضح بها. المبادئ ليست طويلة وتفصيليّة».

وقال، «المبادئ عبارة عن بضعة أصول هامّة:

1 - أوّل هذه الأصول هو الاعتقاد العمليّ بولاية الفقيه؛ أي أن تنصتوا إلى نصائحه، وتطبّقوا من أعماق القلب توصياته وملاحظاته بوصفه طبيباً حقيقيّاً من الناحيتين

الشرعيّة والعلميّة. إنّ الشّرط الأساسي لكلّ من يسعى في الجمهوريّة الإسلاميّة لاستلام مسؤوليّة معيّنة أن يكون لديه اعتقاد حقيقي وعمليّ بولاية الفقيه. أنا لا أقول بالولاية التنوّريّة ولا بالولاية القانونيّة؛ فلا تحلّ أيّ من هاتين مشكلة الوحدة؛ الولاية القانونيّة خاصّة بعامّة النّاس من مسلمين وغير مسلمين، إلّا أنّ الولاية العمليّة خاصّة بالمسؤولين الذين يريدون حمل أعباء البلد الجسيمة على عاتقهم، خصوصاً وأنه بلدٌ إسلاميّ قدّم كلّ هؤلاء الشهداء.

2 - الاعتقاد الحقيقي بالجمهوريّة الإسلامية وركيزتها الأساسية من أخلاق وقيم وصولاً إلى المسؤوليّات؛ سواء المسؤوليّة قبال الشعب أو قبال الإسلام.

3 - توظيف أفراد أنقياء وأصحاب عقيدة يخدمون الشعب، لا أولئك الذين إنْ استلموا مكتباً في إحدى القرى يجدّدون ذكريات الإقطاعيّين السابقين.

4 - فليجعلوا التصدّي للفساد والابتعاد عن الفساد والبهارج مسلكًا ومنهجاً لهم.

5 -أن يعتبروا احترام النّاس وخدمتهم خلال فترة حكمهم وتولّيهم لأيّ مسؤوليّة نوعاً من أنواع العبادة وأن يعتبروا أنفسهم خدماً حقيقيين، ومطوّرين للقيم، لا أن يطمسوا القيم بحجج واهية».

وقال في وصيته التاريخية: «المسؤولون آباء المجتمع وعليهم أن يعتنوا بمسؤولياتهم فيما يخصّ تربية المجتمع والسهر عليه، لا أن يقوموا بسبب عدم اكتراثهم ولأجل بعض العواطف واستقطاب بعض الأصوات العاطفيّة العابرة بدعم أخلاق تروّج للطلاق والفساد في المجتمع وينتج عنها انهيار العوائل. الحكومات هي العامل الرئيس في تماسك العائلة وتشكّل من ناحية أخرى عاملاً هامّاً من عوامل تلاشيها. عندما يتمّ العمل بالمبادئ، فسوف يكون الجميع حينها على خطى القائد والثورة والجمهوريّة الإسلاميّة وسوف تنتج عن ذلك منافسة سليمة ترتكز على هذه المبادئ من أجل اختيار الأصلح».

وتوجه الى إخوانه في الحرس الثوري والجيش بالقول، «أخاطب إخواني الأعزّاء في الحرس الثوري والمنتسبين للجيش من الحرس: اجعلوا الشجاعة والقدرة على إدارة الأزمات معيار منح المسؤوليات عند اختيار القادة. من الطبيعي أن لا أشير إلى الولاية لأنّ الولاية

ليست جزءاً بالنسبة للقوات المسلّحة بل هي أساس بقائها، وهي شرط لا يقبل الخلل».

وأضاف، «النّقطة الأخرى هي معرفة العدوّ في الوقت المناسب والإحاطة بأهدافه وسياساته واتخاذ القرارات والتصرف في الوقت المناسب؛ كلّ واحدة من هذه الأمور عندما لا تتمّ في وقتها سوف تترك أثراً عميقاً على انتصاركم».

وخاطب العلماء والمراجع العظام بالقول، «لديّ كلمة مقتضبة من جنديّ قضى 40 عاماً في الساحات للعلماء عظماء الشّأن والمراجع الكبار الذين ينشرون النّور في المجتمع ويمحقون الظّلمات، خاصّة مراجع التّقليد العظام. لقد رأى جنديّكم من برج المراقبة بأنّه لو تضرّر هذا النّظام فسوف يزول الدّين وما بذلتم لأجل قيمه ومبادئه الغالي والنّفيس في الحوزات العلمية. هذه العصور تختلف عن كلّ العصور، فلن يبقى من الإسلام شيء إذا أحكموا سيطرتهم هذه المرّة. النّهج الصّحيح يتمثّل في دعم الثّورة، والجمهوريّة الإسلاميّة وولاية الفقيه دون أي تردّد».

وتابع، «يجب أن لا يتمكّن الآخرون خلال هذه الأحداث بأن يوقعوكم في الشّك والترديد يا من يتجلّى فيكم أمل الإسلام. جميعكم كنتم تكنّون الحبّ للإمام الخميني وتعتقدون بمساره. نهج الإمام الخميني هو مواجهة أمريكا والدفاع عن الجمهورية الإسلاميّة والمسلمين الواقعين تحت ظلم الاستكبار في ظلّ راية الوليّ الفقيه».

وأضاف، «لقد كنت أرى بعقلي المتواضع كيف أنّ بعض الخنّاسين حاولوا ولا زالوا بكلماتهم وتقمصهم مواقف الحق أن يدفعوا المراجع والعلماء المؤثّرين في المجتمع إلى التزام الصّمت والوقوع في الشكّ والترديد. الحقّ واضح؛ الجمهورية الإسلاميّة والمبادئ وولاية الفقيه تراث الإمام الخميني قدس سره وينبغي أن يحظى بدعم حقيقي، وإنني أرى سماحة آية الله العظمى الخامنئي وحيداً وفي منتهى المظلوميّة وهو بحاجة إلى دعمكم ومساعدتكم وعليكم أيّها الأجلّاء والعظام أن توجهوا المجتمع نحو دعمه عبر خطاباتكم ولقاءاتكم وتأييدكم فإذا نال هذه الثورة سوء فلن يعود حتى زمن الشّاه الملعون، بل سيعمل الاستكبار على ترويج الإلحاد البحت والانحراف العميق الذي لا عودة عنه».

وقال، «أقبّل أياديكم المباركة وأعتذر لهذا الكلام، فقد كنت أودّ أن أذكر ذلك خلال

تشرّفي بلقاءاتكم المباشرة لكن التوفيق لم يحالفني جنديّكم ومقبّل أياديكم».

وطلب العفو من «الجميع، وأطلب العفو والصفح من جيراني وأصدقائي وزملائي، وأطلب العفو والصفح من مجاهدي فرقة ثار الله وقوّة القدس العظيمة التي هي شوكة في عين العدوّ وعائق يسدّ الطريق أمامه؛ خاصّة من أولئك الذين ساعدوني بمنتهى الأخوّة».

وأضاف، «لا أستطيع ألا أذكر اسم حسين بورجعفري الذي كان يساعدني بنوايا طيّبة وأخويّة ويعينني كابن له وكنت أحبّه كما أحبّ إخوتي وأعتذر من عائلته وجميع إخواني المقاتلين والمجاهدين الذين أتعبتهم وأجهدتهم وبالطبع فإن جميع الإخوة في قوّة القدس شملوني بمحبّتهم الأخويّة وساعدوني وكذلك صديقي العزيز القائد قاآني الذي تحمّلني بصبر وحلم».

(هذه الوصية الإلهية لم تكتب بحبر بل كتبت بالدم المبثوث في حقول المقاومة ومواسمها اليانعة بالشهادة. هو عقل استاذي في بناء الاستراتيجيا الحضارية يحادث مريدية، وغيرهم من المحبين. هذا من أصحاب الحسين، وإن حرمه الزمن من أن يكون في كربلاء سنة 61 للهجرة، كما قال. هو كان فيها بعد 1380 سنة يعيد روعة التحدي والتصدي ليزيد العصر الولايات المتحدة الأميركية. هذا الشامخ في عليائه اختصر المشهد في حياته وعند استشهاده وبعده. هذه الوصية وضعت الأمور في نصابها. في الإيمان، في الولاية، في الدولة، في الجهاد والاستشهاد. حدد الصديق والعدو. كما حدد كيفية العلاقة الداخلية وبخاصة لمعتنقي الولاية. إنها خيمة الإمام الحسين عليه السلام للحرس، الذي كان قلبه وعقله، للجيش الذي يسيج الدولة ويسهر على ديمومتها. للمسؤولين الذين يجب أن يحاربوا الفساد وأن يلتزموا نظافة الكف وأن يشكلوا نماذج تحتذى. لأهالى الشهداء المضحين والحريصين على أن ترتفع راية الإسلام والولاية عاليا رغم المحن والبلاءات.

الشهيد سليماني وضع كل أبعاده في هذه الوصية الحضارية: الدينية والدنيوية، الاعتقادية والعملية، الجهادية والسلوكية تجاه الصديق والاخ والمجاهد والشهيد، كما حذر برسوخ العالم من هجر الولاية أو التلكؤ عن دعمها، لأن ذلك يريح الأعداء ويرسل رسالة للمتربصين بالثورة والدولة وقيادتها فرصة الانقضاض على الثورة، لا سمح الله. ساعتذاك، لن يبقى مكان للمقدسات ولا لأصحاب المقامات، ولا للدولة. نموذجية حتى الرمق الأخير.

هذا الشهيد العظيم الذي كان وسيبقى ركنا في البناء الحضاري للأمة الإسلامية جمعاء لأنها بقضاياها كانت تسكن عقله وقلبه حتى أسلمهما إلى الباري تعالى. في استشهاده يمكنهم الاحتكام إلى سلوكه وعقله المرجعي، العائد الأبدي.)

خلاصات استراتيجية مفصلية وبنيوية

لأكثر من قرن يعاني العالم وخاصة شعوب المنطقة من المخططات الغربية/الأميركية. يرسمون خطوطا وحدودا لدول قديمة ويستحدثون كيانات ويقسمون العالم حسبما ترتضي أنفسهم ومصالحهم. ينصبون حكاما ويخلعون آخرين. من يمانع أو يعارض يعاقب ويوضع على لوائح الارهاب والعقوبات والحصار. لا مكان للشراكة أو للحرية السياسة/الديموقراطية لدول «العالم الثالث»، وحتى لبعض الدول المنضوية في نفس الثقافة. يتدخلون في أدق التفاصيل ويعملون على توليد مجتمعات جديدة عجيبة مستلة من نفس المجتمعات، يسمونها مرة «مجتمعات مدنية» ومرة «حقوق الأقليات»...وهكذا، المهم أن لا تستقر المجتمعات ولا شعوبها ولا دولها بما ترتضية لنفسها. يزرعون الفتن ويقيمون نفسيات الحروب والدم، ويؤلبون كل فئة على الفئات الأخرى.

وعندما قامت الثورة الإسلامية هالهم هذا العناق الشعبي للثورة وقائدها وتعاليمها وثقافتها المترسخة أصلا في وجدان الشعب الإيراني وفي الشعوب الإسلامية والحرة في العالم. لهذا فإن الغرب يعتقد أن هذه الثورة والدولة إذا أصبحت قادرة مقتدرة تمتلك حرية الحركة الفكرية والسياسية والعسكرية فستشكل نموذجا عالميا يطيح بكل مخططاتهم تجاه المنطقة والعالم.

سليماني قطب الرحى للمقاومة والثورة في المنطقة

كشف رئيس المكتب السياسي للحرس الثوري، يد الله جواني سبب اغتيال قائد «فيلق القدس» الجنرال قاسم سليماني من قبل الأميركيين مؤكدا «أنه كان هدفا استراتيجيا سعوا من خلاله لوقف المقاومة في المنطقة وتغيير مسار التطورات التي كانت تسير لصالح المقاومة».

وقال العميد جواني في حوار مع وكالة «فارس» الإيرانية: «عندما تصبح المقاومة في المنطقة قوية فهذا يعني إضعاف التيار المناهض لها في المنطقة والمتمثل بالكيان الصهيوني والأنظمة الرجعية المرتبطة بالقوى الأجنبية، وكذلك القوى الأجنبية نظير الولايات المتحدة في المنطقة. وأضاف المسؤول العسكري الإيراني أنه «كان لديهم تقدير أن السبب الرئيسي لهزائمهم على مدى العقدين الماضيين في المنطقة هو إيران، لا سيما الحرس الثوري وبالذات «فيلق القدس» الذي يدور نشاطه حول محور (الجنرال) قاسم سليماني. من هنا كانوا يتصورون أن ضرب (قتل) سليماني يمكنهم من وقف مسار التطورات وتغييرها (لصالحهم). (Arabi.sputnicnews.com/ 11.08.2020)

وهذا ما أشار إليه سماحة الأمين العالم لحزب الله سماحة السيد حسن نصرالله (حفظه الله) في كلمته التأبينية للشهيدين الكبير: «سيد شهداء محور المقاومة» الحاج قاسم سليماني والقائد الكبير، نائب قائد «قوات الحشد الشعبي العراقي» الحاج أبو مهدي المهندس. على مستوى المنطقة كان الحاج قاسم «الشخصية المتكررة» التي لم تترك للقوات الأميركية قدرة على تحقيق إنجاز تفتخر به، حيثما وجد سليماني، بل جعل احتلالاتها وأدواتها فرصة وهدفا لحت وتآكل قوتها العاتية التي تفتخر بها. أهمية الفريق سليماني تكمن في أنه أبرز إلى الوجود وعلى الملأ حاجة كل عربي ومسلم وحر في هذا العالم إلى ما وفق للقيام به من أنه يمكن هزيمة هذه القوة العالمية الأولى وأن لديها نقاط ضعف يمكن استثمارها من أجل إخراجها من المنطقة. والحقيقة الميدانية تتحدث عن نفسها. إدارتا باراك أوباما وحتى دونالد ترامب اتخذتا قرارا بالانسحاب من المنطقة نتيجة لأعداد القتلى من الجنود الأميريكيين. هذه الاستراتيجية الجديدة في أنه «على حلفاء أميركا الاعتماد على أنفسهم» ما كانت لتتخذ لولا الخسائر التي تكبدتها أميركا جراء العمليات المركَزة التي قادها العقل الاستراتيجي للقائد الشهيد سليماني وأخوانه. وقامت لوبيات الضغط-من الصهاينة وعرب أميركا-على ترامب من أجل عدم الانسحاب الكلي. لأنهم شعروا أن انسحاب القوات الأميركية من العراق وسوريا سيضعفهم، وربما يؤدي إلى زوالهم بأسرع مما يتصورون. وهذه مسألة استراتيجية لا تزال قيد النقاش والصراع، وإن كان القرار الجدي جدا والاستراتيجي لدى قوى محور المقاومة بإخراج هذه القوات من منطقة غرب آسيا، كما أمر قائد الأمة الإسلامية الإمام الخامنئي دام ظله وقائد قوى المقاومة في المنطقة سماحة السيد حسن نصرالله (حفظه الله).

خروج القوات الأميركية من المنطقة يعني استراتيجيا وفكريا قيام نظام عالمي جديد يمهد لاسترجاع الحقوق السليبة من المحتلين والغاصبين للسلطة والأوطان ويقيم العدالة في العلاقات البينية والدولية على قواعد احترام الثقافات والحضارات والوجود الكريم لشعوب المنطقة والعالم. وهذا سيزيح الكابوس الصهيو-أميريكي عن كاهل الشعوب التي لا تريد التطبيع القسري، أو الطوعي للحكام الأدوات.

أمين «مجمع تشخيص مصلحة النظام» في إيران، أحد قادة الحرس الثوري السابقين محسن رضائي، الذي كان على علاقة مميزة بالشهيد سليماني يقول: «إن منهج الشهيد سليماني يمكنه أن يساعد في إرساء نظام عالمي جديد». واعتبر في كلمة (أمام)-ملتقى الخطوة الثانية للثورة- أن «منهج سليماني صانع لإنسان عملاني وجهادي، ويسعى للعمل بالمسؤولية الإلهية وإنتاج الفكر والاستراتيجيا». أضاف رضائي: «التمتع بالعقل الجمعي في مسار أداء المسؤولية، حيث كنا نبحث لساعات طويلة للوصول إلى العقل الجمعي بشأن (كل من) سوريا والعراق ولبنان وعلى مختلف جبهات (المقاومة). في الواقع أن الشهيد سليماني كان يعمل حتى الساعات الأخيرة من حياته وفق العقل الجمعي لمعرفة الواجب وكيفية العمل بصورة أفضل». وتابع رضائي: «إن إنسان اليوم بحاجة إلى نظام عالمي جديد وان منهج الإمام وسليماني يحمل تعاليم جيدة لبناء هذا النظام...إن منهج سليماني يمكنه المساعدة في إرساء نظام عالمي جديد لأنه يعد رمز الفكر والكلمة الطيبة». (وكالة فارس الإيرانية، 2020/07/14)

تقوم الاستراتيجية العدوانية الأميركية في استهدافها لمحور المقاومة-منذ بدايات القرن الحالي- على الأمور والتدابير التالية:

أولا: وقف التأييد العقائدي/الأيديولوجي عن قوى المقاومة. (صحيح! في هذا السياق أين موقف الأزهر وخطيب المسجد الحرام وعلماء الدين في العالم العربي فيما يخص القدس والمسجد الأقصى وفصائل المقاومة في فلسطين تحديدا ولبنان والعراق واليمن ...)

ثانيا: استهداف القيادات المقاومة (كما يحصل من استهداف إجرامي لقيادات محور المقاومة في فلسطين ولبنان وإيران والعراق وسوريا (وصولا إلى تهديد ترامب بقتل الرئيس المنتخب شعبيا في سوريا ودولة ممثلة في الأمم المتحدة). العدوان الغادر، جريمة العصر،

التي ارتكبتها القوات الأميركية بأمر من ترامب نفسه، باغتيال الشهيدين العظيمين: سيد شهداء محور المقاومة الفريق قاسم سليماني، ونائب رئيس الحشد الشعبي في العراق، ألحاج أبو مهدي المهندس (رضوان الله تعالى عليهما وعلى الشهداء الذين ارتفعوا معهما).

ثالثا: منع مجاهدي قوى المقاومة من التواجد العسكري في الأماكن التي تعتبرها أميركا أو أدواتها في المنطقة حساسة أو استراتيجية تؤثر على وجود هؤلاء جميعا. (لم تنجح، لا بل فشلت، الولايات المتحدة الكيان الصهيوني الغاصب من منع قوى المقاومة من التواجد في الأماكن المناسبة في لبنان والعراق واليمن وفلسطين، وهي تحاول منع التواجد في الحدود الجنوبية لسوريا).

رابعا: منع وجود ملاذ آمن لقوى المقاومة. (وهذا ما أخفقت الولايات المتحدة في تحقيقه، حيث تنتشر قوى المقاومة وتحضر قدراتها التخطيطية والتدريبية والتسليحية والعملياتية والقدرة على الحركة بما يتيح لها التهديد المباشر، وتوازن الردع، كما يحصل في لبنان والعراق وسوريا واليمن وفلسطين. وهذا ما سعى إليه الحاج قاسم وقد تحقق بنسبة عالية.)

خامسا: منع قوى المقاومة من الحصول على صواريخ دقيقة. (هنا أيضا فشلت قوى العدوان فشلا ذريعا حيث أصبحت قوى المقاومة مجهزة بهذه الصواريخ من اليمن إلى فلسطين وطبعا في لبنان، ولم تستطيع الولايات المتحدة ولا الكيان الغاصب منع وصول هذه الصواريخ على الرغم من الغارات العدوانية التي تقوم بها قوات الطرفين-الصهيو أميركي.)

سادسا :منع التمويل عن حركات المقاومة. (هذا الإجراء غير الإنساني فشل بنسبة عالية خاصة في لبنان والعراق، وإن كانت قوى المقاومة في فلسطين واليمن قد تأثرت بحدود معينة نتيجة للموقع الجيو-سياسي. ولكن هذه قضية نسبية وباستطاعة مجتمع البيئات الحاضنة لقوى المقاومة أن تصبر وأن تحتمل وتعتمد على الذات. في الأساس، كان هناك دائما محاولات تجويع للشعوب الثائرة، فكيف إذا كانت قوى المقاومة شارفت على طرد كل أشكال الهيمنة والاحتلال من المنطقة؟ لذا فإن المعركة ستشتد على المستويات كافة. والصبر من شيمة الشعوب المكافحة والمجاهدة في سبيل حريتها واستقلالها. «إن مع الصبر نصرا»)

سابعا: منع قوى المقاومة من التواصل والحركة والحصول على المعلومات والاستخبار والإمرة والقيادة...(لا حاجة للقول أن قوى العدوان الصهيو-أميريكي لم تستطع أن تكون فاعلا في هذا الموضوع. على العكس من ذلك استطاعت قوى المقاومة-بغالبيتها-أن تصنع وتبدع في هذه المجالات ما أبعد القدرات القوية لدى قوى العدوان من التشويش أو منع التواصل والحصول على المعلومات. لا بل إن قوى المقاومة اخترقت استخبارات العدو الصهيو-أميريكي في كثير من المحطات. مثلا، إفشال مخطط 5 أيار في لبنان عام 2007، وعملية الجهاد الإسلامي النوعية في اختراق الشاباك الصهيوني ... أما الإمرة والقيادة فهذا ما يؤرق العدو أن قيادات المقاومة هي على اتصال مباشر مع الكوادر والمجموعات والعناصرفي جميع المواقع.)

ثامنا وأخيرا، منع قوى المقاومة من الوصول إلى أهداف داخل أميركا وفي الخارج. (لطالما كانت قوى المقاومة قادرة على تحديد الزمان المكان للعمليات التي يمكن أن تقوم بها أو لمصلحة تقدرها في الإحجام عنها.)

في الخلاصة، استطاعت قوى محور المقاومة أن تشكل رافعة نفسية وجهادية عسكرية وسياسية لشعوب المنطقة. القائد سليماني والقائد نصرالله استطاعا أن يصنعا تاريخا مشرفا لهذه الأمة ليتطور ويصبح نظاما إقليميا وحتى عالميا. معركة التحرر هذه والتي أصبح فيها المعتدى عليه المستضعف رقما عالميا قويا، دليل على وجود ثقافة وقيادة تستطيع إيقاف الهيمنة والاستكبار من الاستمرار. الإمام الخميني العظيم قدس سره أضاء الشعلة واستلمها قائد عظيم آخر يتحلى بمميزات وصفات الخميني العظيم. خمينيون، رساليون مثل الشهيد سليماني والقائد نصرالله يراكمون الانتصارات الوجودية والإلهية. الجمهورية الإسلامية قائدة حضارة عميقة في التاريخ بلغت كمالها باعتناق وإيمان بالإسلام المحمدي الأصيل. عجين الحضارة الإسلامية الحديثة بدأ يخمر في أنفس تتوق للخروج من ظلم استدام واستبداد حرام.

مصادر ومراجع الكتاب

حياة وخطب القائد الشهيد مدونة-أجزاء منها طبعا- في كتاب «قاسم سليماني: ذكريات وخوطر». هذا الكتاب-طبعة ثانية -2020 صدر مترجما إلى اللغة العربية قبل استشهاد الفريق سليماني. أعد الكتاب: على أكبري مزد آبادي، بيروت: دار المعارف الإسلامية الثقافية. هذا الكتاب يعتبر المصدر الأساسي فيما يتعلق بحياة وجهاد وخطب «سيد شهداء محور المقاومة».

كلمات وخطب وتعليمات الإمام الخميني يمكن العودة إلى صحيفة نور بأجزائها العشرون.

المصادر الأساسية باللغة العربية أو المترجمة إلى اللغة العربية:

- توينبي، آرنولد. (1981). الحضارة الإنسانية. ترجمة: نقولا زيادة، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع.
- فايث، دوغلاس. (2010). الحرب والقرار. تعريب: سامي بعقليني، بيروت: دار الإنتشار العربي.
- حماد، مجدي وآخرون. (1999). الحركات الإسلامية والديموقراطية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- حوراني، ألبرت. (1968). الفكر العربي في عصر النهضة. ترجمة: كريم عزقول، بيروت: دار النهار للنشر.

- رجبي، محمد حسن. (2020). الحياة السياسية للإمام الخمينيقدس سره. بيروت: دار المعارف الإسلامية الثقافية.
- سلامة، غسان.(2005). أميركا والعالم: إغراء القوة ومداها. ترجمة: مصباح الصمد، بيروت: دار النهار للنشر
- الصدر، محمد باقرقدس سره. (2014). خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء. بيروت: دار المعارف الحكمية

المصادر الأجنبية

- Brzezinski, Zbigniew. (2012). Strategic Vision: America and the Crisis of Global Power. New York: Basic Books.
- Clinton, Hillary Rodman. (2014). Hard Choices. London: Simon and Schuster.
- Djerejian, Edward. (2008). Danger and Opportunity. New York: Threshold Edition.
- Kissinger, Henry. (2014). World Order. New York: Penguin Press.
- Frye, Richard. (1962). The Heritage of Persia. London: Weidenfeld and Nicholson Ltd.
- Fukuyama, Francis. (2011). World Order. New York: Farrar, Straus and Giroux.

ملاحظة ببليوغرافية: الدراسات والمقالات الإنكليزية تم توثيقها وترجمتها في مواضعها، ولا حاجة لإعادة توثيقها ضمن قائمة المراجع. قام الكاتب بترجمة أو تلخيص أجزاء من الدراسات أو المقالات بحسب أهميتها وارتباطها بموضوع الكتاب.